المملكة العربية السعودية.

وزارة التعليم العالي .

جامعة طيبة .

كلية الآداب والعلوم الإنسانية .

قسم اللغة العربية .

تخصص : لغويات .

نظرية نحو النص–دراسة تطبيقية في سورة المؤمنون-

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة (الماجستير)

في تخصص علم اللغة العام

إعداد الطالبة:

لمياء صلاح ربيع السراني .

الرقم الجامعي :٣٠٨٠٣٨٩

إشراف الدكتور:

أ.د. بوشعيب مسعود رآغين.

أستاذ علم اللغة العام بقسم اللغة العربية بجامعة طيبة.

٢٠١٣ م-١٤٣٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار . .

إلى من علمني العطاء بدون انتظار . .

إلى من أحمل أسمه بكل افتخار . .

أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار وسنبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد . . . . والدي العزيز .

إلى بسمة الحياة . . إلى معنى الحنان والتفاني . .

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب . . . أمي الحبيبة . .

إلى من طوّقني كرماً . . وأغرقني بذلاً . . . زوجي الغالي الذي وقف بجواري وأعانني على إتمام هذه الرسالة . .

إلى صغيري . . وبلسم فؤادي . . . ابني الغالي . .

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله . . إلى من آثروني على نفسهم . .

إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة . . . . إخوتي .

إلى كل من علمني حرفا . .

أهدي هذا البحث المتواضع راجية من المولى عز وجل أن تجد القبول والنجاح . . .

الباحثة،،.

الشكروالتقدير

وبعد إنجاز هذا البحث فإني أحمد الله على ما يسر لي من أمر الدراسة، وأشكره على عظيم منه وإحسانه، اللهم لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

وأود أن أشكر كل من أسدى إلى معروفا، أو كان له دور في إخراج هذا العمل، فالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل الدكتور/ بوشعيب مسعود رآغين . المشرف على هذا البحث، الذي أولاه من عنايته واهتمامه ومتابعته، وأرشدني إلى مصادره ومراجعه، وبذل من وقته وجهده ونصائحه حتى ظهر البحث على هذه الصورة فجزاه الله خير الجزاء. كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى الأستاذين الفاضلين . على قبولهما مناقشة هذا البحث وتكبدهما عناء قراءته . والشكر موصول لجامعة طيبة ممثلة في مديرها سعادة الدكتور :عدنان المزروع، ووكيلة الدراسات العليا بالجامعة ، ورئيس قسم اللغة العربية ، وجميع القائمين عليها لحسن العناية والمتابعة.

ثم الشكر لوالدي الحبيبين اللذين ما فتئا يدعوان لي بالتوفيق والسداد، أسأل الله أن يثيبهما وأن يمدهما بموفور الصحة والعافية. والشكر لزوجي على ما بذل من وقت وجهد، وقد كان نعم المعين على إتمام هذا البحث، والشكر لإخوتي وأخواتي على تذليلهم الصعاب، و تهيئة وسائل الراحة لي ولإبني ، و الشكر كذلك موصول لجميع زميلاتي ولكل من وقف معي أودعا لي، فجزى الله الجميع خير الجزاء...

وأخيرا... فهذا عملي الذي أرجو أن يكون فيه ما ينفعني عند ربي، فإن كان فيه ما أطمح إليه فذلك من توفيق الله تعالى وتيسيره، وإن كان فيه من الزلل والخطأ فحسبي أني قد اجتهدت والكمال لله وحده.

أسأل الله العلي العظيم أن يوفقني لما يحبه و يرضاه، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم إنه القادر على ذلك وهو أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، ، .

الباحثة : لمياء بنت صلاح السراني.

ملخص البحث

عنوان هذا البحث :نظرية نحو النص –دراسة تطبيقية في سورة المؤمنون - وقد قصدت الباحثة دراسة نظرية نحو النص عند علماء اللغة قديما وحديثا والمفسرين العرب ، وعند علماء اللغة في الحاضر الغربي ، ومن ثم تطبيقها على سورة المؤمنون.

و تهدف هذه الدراسة أيضاً إلى الكشف عن الخصوصية العربية لسورة المؤمنون ، التي لابد وأن تظهر في استقدام واستثمار ها عناصر تحليل تنتمي إلى ثقافة النص ،مع وضعها في إطار رؤية منهجية جديدة تابعة لعلم لغة النص. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يسير في بابين تسبقهما مقدمة وتمهيد ،ويتلوهما خاتمة وفهارس البحث. **أما المقدمة :** وفيها أهمية الموضوع ، وهدفه ، وأسباب اختياره ، ومنهج البحث ،وأهم العقبات والصّعوبات الّتي واجهت الباحثة . **وفي التمهيد:** التعريف بعلم النص ونحو النص .

أما الباب الأول: فيتناول نظرية نحو النص بين التراث العربي والدراسات اللغوية المعاصرة وهذا من خلال ثلاثة فصول: **الفصل الأول**: النص ونحو النص (الحدود والمكونات)، وفيه ثلاثة مباحث : المبحث الأول :مفهوم النص : المطلب الأول :النص في التراث العربي (قديماً وحديثاً). المطلب الثاني: النص بين التراث العربي و التراث الغربي ، المطلب الثالث: النص في الدرس اللساني، المبحث الثاني :نحو النص والبحث اللغوي : المطلب الأول : المصطلح والتعريف ،المطلب الثاني: فضاء النشأة، المطلب الثالث : مهمة نحو النص ،المبحث الثالث : البحث اللغوي بين نحو الجملة ونحو النص. **أما الفصل الثاني** : معالم نظرية نحو النص في التراث العربي. ففيه ثلاثة مباحث **:** المبحث الأول: خصائص نظرية نحو النص في التراث العربي الإسلامي، و المبحث الثاني: تجليات علم النص من خلال علم التفسير و علوم القرآن ومنها : المطلب الأول :الطبري في: الربط بين الجمل ،و المطلب الثاني :البقاعي في تناسب الآيات و السور، و المطلب الثالث : السيوطي " التنظير لعلم المناسبات، المبحث الثالث: العلاقة بين النص والسياق في المساهمات العربية : المطلب الأول :عند النحويين ،والمطلب الثاني :عند البلاغين ،و المطلب الثالث : عند المفسرين . **الفصل الثالث** : الحاضر الغربي ونحو النص، و فيه ثلاثة مباحث **:** المبحث الأول : هاليداي ورقية حسن ونحو النص، المطلب الأول :النص عند هاليداي ورقية حسن. المطلب الثاني :أدوات الاتساق عند هاليداي ورقية حسن، و

المبحث الثاني: فنديك وجهوده، المطلب الأول: من أهداف "فنديك" ،والمطلب الثاني : فنديك ونحو النص، و المبحث الثالث : براون ويول ونحو النص.

أما الباب الثاني فيتناول : **التحليل النصي لسورة المؤمنون ، وفيه ثلاثة فصول : الفصل الأول :** الدائرة النصية معالمها ونحو النص. من خلال ثلاثة مباحث: المبحث الأول : معالم الدائرة النصية، و المبحث الثاني : البنى النصية الكبرى، و المبحث الثالث: البنى النصية الصغرى ، **الفصل الثاني: سورة المؤمنون والتماسك النصي، ،من خلال ثلاثة مباحث :** المبحث الأول: مضمون السورة و مقاصدها، **و** المبحث الثاني: المناسبة، المطلب الأول : المناسبة ، التعريف بالمصطلح، و المطلب الثاني : أهمية المناسبة وعلاقتها بالتماسك النصي، والمبحث الثالث : المناسبة في سورة المؤمنون ، المطلب الأول :أنواع المناسبة في سورة المؤمنون ،والمطلب الثاني: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها . والمطلب الرابع :مناسبة السورة للسورة التي قبلها ..**وأما الفصل الثالث: فيدرس** الوحدة الموضوعية للسورة ،على ضوء أدوات الاتساق وتحقيق الرؤى من خلال ثلاثة مباحث هي: المبحث الأول : الإحالة ،والمبحث الثاني :العطف ،والمبحث الثالث : التكرار ، ثمّ الخاتمة: وفيها تمّ إبراز أهم النّتائج الّتي توصّل إليها البحث والتَّوصيات ، ثمّ تعقبها الفهارس الفنيّة للبحث .

أما عن المنهج العلمي الذي سارت عليه هذه الدراسة فقد اعتمدت على المنهج الوصفي التطبيقي ،لهذه الظاهرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين و صلّى الله على سيدنا ونبينا محمّد ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدّين .

الطالبة : لمياء صلاح السراني. مشرف الرسالة :أ.د. بوشعيب رآغين

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي منَّ بعلمه علينا، فأهدى قرآنَه إلينا، فأرشدنا سواء السبيل، ووضَّح لنا الطريق القويم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسَلِين سيدنا ونبينا محمد - صلَّى الله عليه وسلَّم - وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللغة العربية .. لغة القرآن الذي نزل فكانت أُولى العلوم التي لامست شرفه ، وتشربت فيضه ، وحملت معانيه ، وواكبت إعجازه . وزادها الله شرفًا أن بعث خير المرسلين بلسان عربي مبين ، فجمعت أسباب الشرف من جميع أقطابه.

إن القرآن الكريم هو النص المعجز ، عجز عن الإتيان بمثله أساطين الفصاحة و البلاغة و البيان ، و انبهروا ببنائه المنفرد ، في حروفه و في مقاطعه و ألفاظه ، و في آياته و سوره ، تأملوه في كل ذلك ، فلم يجدوا كلمة نابية عن مكانها ، بل وجدوا اتساقا بهر العقول ، و نظاما و التئاما و إحكاما عجز عنه الناس ، وقد غدا مصدرا لكثير من الدراسات الإسلامية و اللغوية ، فهو مصدر التشريع بالدرجة الأولى ، و أول مصادر اللغة العربية بالدرجة الثانية ، يمثلها في أدق مستوياتها و أعلاها ، و بذلك صار الورد الموروود للباحثين يجدون في اكتناه أسراره و بيان إعجازه ، فقد تحدث القدماء و المحدثون من نحاة و لغويين و مفسرين و نقاد و بلاغيين عن بلاغته و إعجازه و تحديه غير أن كل دراسة لموضوع من موضوعاته ستبقى قاصرة عن الوصول إلى سمو الكتاب و عظمته ، إذ تبين لنا من خلال القراءة و المطالعة أن جل الذين عرضوا لدراسة النص القرآني من وجهة نظر حديثة ، غالبا ما يركزون على ما فيه من قضايا فكرية و دينية معززة ببعض التفسيرات اللغوية العابرة ، أما الجوانب اللغوية من صوت و صرف و تركيب و دلالة فيمرون عليها مرورا عابرا ، أو يتناولونها بكيفية لا تشفي غليلا ، و منه نرجو أن نكون بهذه الدراسة ، قد القينا بعض الضوء على جانب لغوي يعد أساسا في كل دراسة لغوية مهما كان منهجها و هدفها.

لقد أُنزل القرآن الكريم منجما على رسول الله ﷺ ، فاختلف ترتيب الترتيل عن ترتيب التنزيل وفي ذلك سر من أسرار إعجازه ، لأن ترتيب الآيات والسور في الخطاب القرآني أمر توقيفي بأمر من الله عز وجل ولم يكن اجتهاداً من الرسول ﷺ ولا من الصحابة رضوان الله عليهم .

لكن هذا الترتيب يخفي من ورائه انسجاماً غريباً يمكن الكشف عنه وفق مناهج تفسيرية قديمة في إطار علم المناسبات ومناهج لغوية لسانية حديثة في إطار لسانيات النص ، للبحث في وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم .

تنطلق هذه الدراسة من اعتبار من يرى النص عامة والنص القرآني خاصة وحدة متكاملة عليها يتأسس بناء المعنى وتماسكه .

ومن هنا يعد التماسك النصي عنصرا أساسيا يقوم عليه مفهوم النص ويقصد به توفر مجموعة من " العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية من ناحية وبين النص والبيئة المحيطة به من ناحية أخرى "[١]. ولارتباط موضوع النص بعنوانه أهمية بارزة في تحديد النص باعتباره سمة أساسية أخرى تتجلى فيها مجموعة من الدلالات المركزية للنص ، وقد اعتبره علماء الخطاب " بأنه العنصر الموسوم بـ "سيمولوجيا النص " وعليه فالعنوان سمة محددة تلعب دوراً رئيسا في توجيه الدلالة الماثلة في الموضوع ناهيك عن وظيفتها الجمالية التي تفضي على شكل النص . والخطاب كما تصوره أحمد المتوكل " هو كل إنتاج لغوي يربط فيه ربط التبعية بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية "[٢]

ونحو النص، هو فرع من فروع علم اللسانيات العامّة ، يدرس النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى ، ويبيّن جوانب عديدة فيه ، منها : التماسك والترابط وأنواعه وأدواته ، والإحالة وأنواعها ، والسياق النصي ودور المشاركين في النص عند إنتاجه وتلقّيه ، سواء كان منطوقًا أو مكتوبًا [٣]. بل هو " نمطٌ من التحليل ذو وسائل بحثية مركّبة ، تمتدّ قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة ، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكوّنات التركيبية داخل الجملة ، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرّجي ، يبدأ من علاقات ما بين الجمل ثمّ الفقرة ، ثمّ النص أو الخطاب (discourse) بتمامه"[٤]

وبذلك يصبح لمظاهر الانسجام اللغوي الذي نروم إنجازه إبراز التماسك الشديد بين أجزاء السياق المشكِّلة للنّص القرآني عامة ،عبر الوقوف على الوسائل اللغوية التي

---

[١] الفقي ، علم اللغة النصي ، ص ٩٦٠
[٢] أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية من الجملة إلى النص ، ص ١٦
[٣] الفقي ، علم اللغة النصي ، ص٣٦
[٤] د. أنس بن محمود فجال ،الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني ، ، ص ٤٥ ، رسالة دكتوراه ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٩

تصل بين العناصر اللغوية المكونة له ، ممثلة في الضمائر و العناصر الإحالية من أسماء موصولة ونعوت وصفات ، وكذلك الاهتمام بوسائل الربط المتنوعة كالفصل والوصل والعطف للكشف على أنّ النَّص القرآني يشكِّل نسقاً منتظماً في سلك تعبيري موحدً وجسما متلاحم الأعضاء .

لذلك تأتي دراستنا هذه لإبراز الوحدة العضوية للنص وأن لا سبيل لتحصيل دلالته إلا عبر تعاطيه بالتحليل في كليته وهذا ما تسعى الدراسة التوصل إليه من خلال ما يمليه منطق الرؤية الشمولية لسورة المؤمنون قصد تحديد هويتها عبر طرق عدة لغوية ودلالية وتداولية في إطار مبدأ المكاملة بين السياقين الداخلي والخارجي لها .

ستعتمد الدراسة على منهج نظريات نحو النص بصورة أساسية مع تدعيمه بمفردات أخرى من مناهج علم النص عند كل من ماك هاليداي ورقية حسن ،وفنديك و يول وغيرهم ،ناهيك عن تدعيمه بمفردات أخرى فرضتها خصوصية النص القرآني ، ،كمفردات علوم القرآن من فاصلة ومناسبة وهي مفردات راعت الباحثة تحقيقها لخصوصية أدائية تميز النص العربي عامة والقرآني خاصة بغية استكمال عملية اكتشاف حدود النص مع غيرها من الأدوات الأخرى .

ومن هنا جاء مسمى البحث" نظرية نحو النص دراسة تطبيقية–في سورة المؤمنون - أمّا فيما يتعلق بالدراسات السابقة في هذا الموضوع فمنها :

- المناسبة في القرآن الكريم دراسة لغوية في انسجام النص . للباحث: فهمي سالم علي عسكر لنيل درجة: الماجستير ٢٠٠٤ م اليمن.
- انسجام النص القرآني (دراسة نصية في تفسير ابن عاشور التونسي) للباحث: عبد الوهاب يحيى أحمد المؤيد لنيل درجة الدكتوراه ٢٠٠٥ م اليمن.
- لسانيات الخطاب القرآني : مظاهر الاتساق و الانسجام . للباحثة : خديجة أيكر لنيل درجة: الدكتوراه ٢٠٠٧م الجزائر.
- الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني للباحث : أنس بن محمود فجال ،رسالة دكتوراه ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٩.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)،للباحث :صبحي الفقي .٢٠٠٠م.

إن ما نروم الكشف عنه في هذه الأطروحة هو الكيفية التي تم بها إبراز القدرة المفهومية المتمثلة في العقيدة والشريعة، والأخلاق والسلوك، والمبادئ والقيم عبر قناة اللغة - النص – الخطاب ممثلة في سورة المؤمنون، وما هي العلاقة القائمة بين هذه المضامين والأشكال اللغوية والتعبيرية التي حملتها إلى العالمين، و بمعنى آخر هل كلما انتقلنا من تصور أو مفهوم إلى تصور آخر أو مفهوم تغيرت معه اللغة - الأداة -؟ ونقصد باللغة هنا جميع مستوياتها بدءا بالمستوى الصوتي والصرفي ، و مرورا بالمستوى التركيبي ، الأسلوبي، وانتهاء بالمستوى الدلالي و التداولي .

إن هذه التساؤلات كلها تولد سؤالا مركزيا هو محور هذه الأطروحة ألا و هو كيف يتم تحقيق التوازن بين مكونات النص – الخطاب - القرآني و المخاطبين به ؟ ثم كيف يتماسك النص، وكيف يحدث فيه الانسجام ؟ لماذا نجد إذن تراثا تفسيريا هائلا، وإلى ماذا تعزى هذه الكثرة الكاثرة ، و هل هناك تناقض بين النص - الخطاب - القرآني والواقع ؟.

إن القرآن ميسر لا يحتاج إلى وسائط بينه وبين متلقيه من حيث التفاعل الوجداني، أما من حيث استنباط الأحكام النظرية والعملية، واستخلاص المفاهيم والتصورات، و المبادئ و القيم فإنه يحتاج إلى تدبر وتفكر وتأمل. والتدبر هو الفهم الذي يسهل التواصل بين المرسل و المرسل إليه، و هو الأداة التي تمكن من استخلاص الجهاز المفاهيمي الذي يكون مقومات الذات، و يثبت الهوية ، و يقيم الحضارة .

ورغم وجود دراسات وأبحاث تتعلق بالدراسة النصية للقرآن الكريم أو لسوره وتقارب بشكل أو بآخر قضية لسانيات الخطاب القرآني بصفة عامة، فقد ظلت الحاجة ملحة لدراسة تحيط بمكونات النص - القرآني، و تبرز العلاقات التي تربط بينها سواء على المستوى التركيبي و الدلالي و الأسلوبي الجمالي، ولا تغفل دراسة الجانب التداولي -حيث سياق الحال مؤازرا سياق المقال - الذي يشكل هو الآخر عاملا مهما من عوامل تماسك النص القرآني واتساقه .

ستعتمد الدراسة بشكل أساسي على منهج نظرية نحو النص والذي يعد أحدث المناهج اللغوية التي ظهرت في أوربا ، بهدف الانتقال في السورة من تحليل "الجملة القرآنية

" إلى تحليل النص ككل تركيزا على عنصري نصية النص (السبك والحبك)،أو (الاتساق والانسجام).

من هنا جاء البحث لتحقيق أغراض أهمها :

أولاً :الكشف عن نصية السورة من خلال مبحث الانسجام المعجز في القرآن الكريم عبر جانبين : نظري وتطبيقي .

ثانياً: إبراز الجهود العربية الإسلامية وإسهاماتها في مجال نحو النص .

ثالثاً: المكاملة بين جهود القدماء والمحدثين في الدفاع عن دور الانسجام في تحقيق وجه من وجوه نصية سورة المؤمنون .

رابعاً: إن ظاهرة الانسجام النصي – الخطابي - لَم تَنَلْ حَظَّها الوافر من الدِّراسة عند الباحثين، فلَمْ تَلْقَ عنايةَ كثير من الدَّارسين في مجال دراسة اللغة، على الرَّغْم من أهميتها، فعندما تبحث عن هذه الظاهرة في مؤلفات اللُّغويين في العصر الحديث، لا تَجد لها حضوراً يسيرا تمثل في بضع رسائل جامعية في بعض الجامعات العربية .

خامساً: يضاف إلى ذلك ندرة دراسة هذه الظاهرة دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، على الرغم من أن القرآن الكريم مَعين لا ينضب، وبَحر لا ينفد في مجال المصاحبات اللغوية بين الألفاظ.

سادسا ربط ماضي دراسة مظاهر نصية القرآن الكريم بحاضرها عبر المكاملة بين التحليل العربي القديم واللساني الحديث.

لذلك كانت أسباب موضوع البحث ذاتية قبل أن تكون موضوعية ، بل تلاحم فيها الذاتي بالموضوعي ،مما يصعب الفصل بينهما . كذلك سد الثغرة التكوينية في مجال لسانيات الخطاب ، لعدم إدراج موضوعاتها ضمن الخطة الدراسية لقسم اللغة العربية بجامعة طيبة بشقيها العالي و البكالوريوس.

يفتح تطور علوم اللغة حديثاً آفاقاً جديدة للباحث ، تحفزه على المضي والإقدام .. قصد الاطلاع على الأعمال العربية و التعرف على التراث العربي الإسلامي ، ليتمكن في الأخير من خدمة كتاب الله عز وجل ، والرد على الطاعنين فيه .بآليات العصر

الحاضر التحليلية ، ثم السعي نحو تأصيل العديد من المفاهيم التي يبدو للقارئ المستعجل أنها من صنع المحدثين ولا قبل للتنظير اللغوي العربي القديم بها .

وقد توفرت عدة أهداف دعت إلى دراسة موضوع : " "نظرية نحو النص دراسة تطبيقية – في سورة المؤمنون " ، و هي على النحو الآتي :

١. الوصول إلى رؤية منهجية شمولية ،وموضوعية في التعامل مع نص سورة المؤمنون لأجل تحديد هويتها عبر مسالك لغوية ودلالية وتداولية ـآخذة بعين الاعتبار أسباب النزول .
٢. تعميق الفهم العام لسورة المؤمنون كونها مجالا للتفاعل عند الإنسان المسلم.
٣. الكشف عن الخصوصية العربية للسورة والتي لابد وأن تظهر في استقدام عناصر تحليل تنتمي إلى ثقافة النص واستثمار ،مع وضعها في إطار رؤية منهجية جديدة تابعة لعلم لغة النص.
٤. الكشف عن نصية السورة من خلال الكشف عن كيفية تماسك النَّص القرآني و انسجامه ، أي كيفية تشكل الآي والسُّور نصَّاً منسجماً ، وذلك عن طريق استخراج الوسائِل والعلاقات والآليات التي تَفطّنَ المفسِّرون واللُّغويون إلى إسهامها في جعل النّص القرآني آيات وسوراً كلاً واحداً موحَّداً على الرغم من اختلاف مكانه وأوقات نزوله وتعدد أسبابه.
٥. الدفاع عن متعلقات القدماء التحليلية والبرهنة عن حدوثها في القول بانسجام الخطاب عند المفسرين والأصوليين وخاصة عند الشاطبي (٧٩٠هـ) الذي عرض بدوره لبحث الوحدة الموضوعية للسورة في كتابة (الموافقات).

أما عن المنهج العلمي الذي سارت عليه هذه الدراسة فقد اعتمدت على المنهج الوصفي التطبيقي ، فقد جاءت في بابين تسبقها مقدمة وتمهيد ، ويتلوها خاتمة وفهارس البحث.

أما مقدمة البحث: فهي متضمنة أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخُطَّة البحث، والمنهج الذي ستسير عليه، وأهم الصعوبات التي واجهت الباحثة. وأما التمهيد : فهو التعريف بعلم النص .

والباب الأول : نظرية نحو النص بين التراث العربي والدراسات اللغوية المعاصرة و تناولت هذا من خلال ثلاثة فصول:

الفصل الأول : النص ونحو النص (الحدود والمكونات)، وفيه ثلاثة مباحث :

-المبحث الأول :مفهوم النص : وفيه ثلاثة مطالب:

أ - النص في التراث العربي قديماً وحديثاً. ب - مفهوم النص في التراث الغربي . ج - النص في الدرس اللساني.

-المبحث الثاني :نحو النص والبحث اللغوي، وفيه ثلاثة مطالب:

أ -المصطلح والتعريف . ب - فضاء النشأة. ج -مهمة نحو النص .

-المبحث الثالث : البحث اللغوي بين نحو الجملة ونحو النص.

الفصل الثاني : تجليات نظرية نحو النص في التراث العربي. وفيه ثلاثة مباحث : المبحث الأول : خصائص نظرية نحو النص في التراث العربي الإسلامي. -المبحث الثاني: بين النظرة التجزيئية والنظرة الشمولية للنص . المبحث الثالث : علم النص من خلال علم التفسير و علوم القرآن وفيه ثلاثة مطالب : أ - الطبري في: الربط بين الجمل . ب - البقاعي في تناسب الآيات و السور. ج - السيوطي " التنظير لعلم المناسبات. -المبحث الثالث : العلاقة بين النص والسياق في المساهمات العربية ،وفيه ثلاثة مطالب: عند النحويين . - عند المفسرين . - عند البلاغين .

ويدرس الفصل الثالث : الحاضر الغربي ونحو النص ، وفيه ثلاثة مباحث : - المبحث الأول : هاليداي ورقية حسن ونحو النص.، وفيه مطلبان: أ - النص عند هاليداي ورقية حسن. ب -أدوات الاتساق عند هاليداي ورقية حسن: الإحالة ، والاستبدال ، والحذف ،و العطف ، والاتساق المعجمي ، -والمبحث الثاني فنديك وجهوده، وفيه مطلبان : - من أهداف "فنديك" . -فنديك ونحو النص .والمبحث الثالث : براون ويول ونحو النص.

وأما الباب الثاني: فيشمل الجانب التطبيقي لهذه الظاهرة في القرآن الكريم، في سورة المؤمنون ،من خلال ثلاثة فصول : **يتناول الفصل الأول** :الدائرة النصية معالمها ونحو النص. من خلال ثلاثة مباحث: -المبحث الأول : معالم الدائرة النصية،و المبحث الثاني : البنى النصية الكبرى ،والمبحث الثالث: البنى النصية الصغرى.

ويتطرق الفصل الثاني : بدراسة التماسك النصي في سورة المؤمنون ، ويشمل ثلاثة مباحث هي : المبحث الأول: مضمون سورة المؤمنون.

المبحث الثاني المناسبة وفيه مطلبان : ١ -المناسبة و التعريف بالمصطلح .

٢ -أهمية المناسبة وعلاقتها بالتماسك النصي.

المبحث الثالث : أنواع المناسبة في سورة المؤمنون ، وفيه مطالبان: أ - المناسبة على مستوى السورة المفردة. و يشمل : ١ – مناسبة اسم السورة لمضمونها . ٢ -مناسبة أول السورة لآخرها. ٣-التماسك النصي بين اسم السورة والسورة عبر الآية الأولى. ٤ - مناسبة آيات السورة لبعضها البعض .ب - مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها .

ج -مناسبة السورة للسورة التي قبلها.

أما الفصل الثالث فيتناول الوحدة الموضوعية للسورة ،على ضوء أدوات الاتساق وتحقيق الرؤى، من خلال ثلاثة مباحث : المبحث الأول : الإحالة ،وفيه أربعة مطالب : -الإحالة إلى الذات الإلهية . -الإحالة إلى الرسول ﷺ. -الإحالة إلى المؤمنين . - الإحالة إلى المشركين. المبحث الثاني: العطف وفيه أربعة مطالب: - العطف عند الذات الإلهية . -العطف عند الرسول ﷺ. - العطف عند المسلمين -العطف عند المشركين . المبحث الثالث : التكرار، وفيه أربعة مباحث: التكرار عند الذات الإلهية . التكرار عند الرسول ﷺ. التكرار عند المسلمين . التكرار عند المشركين .

ثم الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها، وأما **الفهارس الفنية وتشمل:** قائمة المصادر و المراجع، و فهرس المصطلحات اللسانية ، وفهرس الموضوعات.

وقد واجهت الباحثة بعض الصّعوبات، ، من أهمها قلة المصادر والمراجع المتعلقة بلسانيات النص ،كون هذا العلم مازال في طور التنظير مما اضطرني إلى البحث في العديد من الجامعات والمكتبات الوطنية والعربية ، إلى أن تم الحصول على عدد معتبر

منها ، ويعود الفضل قبل كل شيء لله عز وجل .ثم الشكر لأستاذي الفاضل الدكتور بوشعيب رآغين حفظه الله .

وأخيراً .. أسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والسداد، ويجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم .

الباحثة .. لمياء السراني..

تمهيد : التعريف بعلم النص.

يمثل علم النص مجالاً معرفياً في العلوم الإنسانيّة ، وقد أثار مصطلح " النص" إشكاليّة نقديّة في الدراسات الأدبيّة الحديثة ، أدت إلى اختلافٍ في مناهج البحث وتباين في تحديد مفهوم " النص " وسماته ، ممّا جعل البحث النصّي صعباً يتطلب درايةً واسعةً بمناهله المعرفيّة التي صدر عنها .

ولم يحظ أي من التعريفات الكثيرة للنص بالرضا من قبل المناهج النقديّة المختلفة ، وبرزت " تعريفات " متعدّدة تشرح مفهوم النص (Text) بصفة عامّة ، وأخرى تبرز الخواص النوعيّة الماثلة في بعض أنماطه المتعيّنة [١] ، وأخرى تحاول أن " تبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدِّمت له في البحوث النسويّة والسيولوجيّة الحديثة" [٢]، لرسم معالم علم جديد يمكنه احتواء التداخل المعرفي بين هذه الاتجاهات المختلفة .

غير أن منهجيّة البحث وطبيعة النص كشفت أنّ الاتفاق على مفهوم محدّد للنص أمر لا يمكن الوصول إليه ، ولا يمكن أن تتطابق رؤى الباحثين في فهمهم له ، إذ إنّ كل اتجاه يفهمه وفقاً للمرجعيّة المعرفيّة التي ينطلق منها ، والطريقة التي يتعامل بها معه ، وبدا أن مسألة وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقيّة من جهة التصور اللغوي؛ وذلك لاختلاف المدارس اللغويّة التي ينتمي إليها علماء اللغة ، واختلاف حدود المصطلحات التي ترتكز عليها بحوثهم [٣].

---

(١) فضل ، صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص . ط١، (مصر : الشركة المصريّة العالمية للنشر – لونجمان ، د.ت)، ص ٢٩٤

(٢) فضل ، مرجع سابق، ص ٢٩٤ .

(٣)بحيري ،سعيد حسن ، علم اللغة النص : المفاهيم والاتجاهات ، (ط ١) مصر : الشركة المصريّة العالمية للنشر – لونجمان ،ص ١٠٧

وقد أفرزت هذه الاتجاهات والتصوّرات المتباينة كمّاً هائلاً من التعريفات للنص ، جعلت الباحثين يصنّفونها وفق معايير وضوابط كثيرة أيضاً ، فأخذ فريق يصنّفها بحسب الاتجاهات النقديّة التي أفرزتها [١] ، وراح فريق آخر يبحث في صلتها بالبنى النصيّة والسياقات النصيّة [٢] ، وصنّفها فريق ثالث بحسب صلتها بالجملة[٣].

وعند تصفح هذه الجهود النقديّة نجد أنّ كثيراً من النقاد والباحثين العرب الذين تناولوا مصطلح "النص" درجوا على البحث في ما إذا كان موجوداً بلفظه ، أو بمعادله المعنوي في التراث العربي ، وأخذوا يربطون بين المعنى الاشتقاقي والمعنى الاصطلاحي له ، فوجدوا أنّ جذر " ن ص ص " قديم في اللغة العربيّة وليس من الألفاظ الدخيلة أو المولدة ، وأنّ معاني " النص " اللغويّة لا تنأى عن الرفع والإظهار بالمعنى الحسّي ، والرفع والإسناد بالمعنى المجرّد ، ولكن لا موقع للنص بمفهومه المعاصر في المعاجم العربيّة القديمة ؛ كما أنّ المعاجم العربيّة الحديثة لم تتناوله من حيث هو مفهوم أدبي ونظرية نقديّة[٤].

لذا أصبح مصطلح " نص " في الثقافة العربية يستعمل بمعنى مختلف عما كان عليه في التراث العربي القديم[٥] .

---

(١) عزام ، محمد ، النص الغائب : تجليات التناص في الشعر العربي ، ط١ ،(دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العربي ،د.ت)، ص ١١ -٢٥

(٢)الجراح ،عبدالمهدي ،الخطاب وأثره في بناء نحو النص: تطبيق على المعلقات السبع . رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد ، الأردن ، ص ١٩ -٢٧

(٣)الشاوش ، محمد ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحويّة العربيّة : تأسيس نحو النص ، ط١ ،(تونس : كلية الآداب بمنوبا ، وبيروت : المؤسسة العربيّة للتوزيع ، د.ت)،ص ٨٢ -٩٣

(٤)أبو زنيدة ، عثمان ، نحو النص – إطار نظري ودراسات تطبيقية – ط١،(إربد : عالم الكتب الحديث ،د.ت)ص١٢

(٥)قياس ، ليندة ، تقديم : عبدالوهاب شعلان ،لسانيات النص – النظرية والتطبيق – مقامات الهمذاني أنموذجاً ، ط ١ ،(القاهرة : ميدان الأوبرا ، مكتبة الآداب ، د.ت)،ص ١٥

(إن الاستعمالات القديمة لمفهوم النص في كتب البلاغة والنقد لم تكن تلجأ إليه باعتباره مفهوما جامعا ، وكانت تسمي كل تجلٍّ نصاً بحسب انتمائه إلى جنس أو نوع معينين)[١] .

وبيّن كذلك أنّ النص غريب أيضاً عن الدراسات النحويّة العربيّة والغربيّة قديمها وحديثها مصطلحاً ومفهوماً ، ولم يظهر إلا في النظريّات اللسانيّة الحديثة التي ظهرت في العقد السادس من القرن العشرين ، وكان ظهوره في اللسانيّات الغربيّة بعد إرهاصات قدّمها هيا لمسلاف (Hjelmslev) وهاريس (Harris) ؛ إذ عدّ الأول النص قسماً أكبر قابلاً للتحليل ،وتجاوز الثاني الجملة واهتم بتحليل الخطاب [٢] .

(١)يقطين ، سعيد ، من النص إلى النص المترابط ،ط١،(الدار البيضاء :المركز الثقافي ، د.ت)ص١١٥

(٢)الشاوش ، مرجع سابق ، ص ١٨٣

الباب الأول :

نظرية نحو النص بين التراث العربي والدراسات اللغوية المعاصرة

الفصل الأول :

النص ونحو النص (الحدود والمكونات)، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :مفهوم النص :

- المطلب الأول :النص في التراث العربي (قديماً وحديثاً).
- المطلب الثاني: النص بين التراث العربي و التراث الغربي .
- المطلب الثالث: النص في الدرس اللساني.

المبحث الثاني :نحو النص والبحث اللغوي :

- المطلب الأول : المصطلح والتعريف .
- المطلب الثاني: فضاء النشأة.
- المطلب الثالث : مهمة نحو النص .

المبحث الثالث : البحث اللغوي بين نحو الجملة ونحو النص.

المبحث الأول :مفهوم النص :

لا بد لدراسة أي موضوع أن نضبط مجاله الذي يدور فيه ، والمفاهيم والمصطلحات التي يعتمد عليها ، فيتعين بذلك موقعه من الاختصاصات المختلفة والمتنوعة والمتداخلة ويتمكن بذلك المتقبل من الولوج إلى المفاتيح القائمة على تلك المفاهيم ، وتعدُّ هذه العملية ضرورة ابستمولوجية ، وبذلك لا يستقيم الحديث عن الاتساق والانسجام وما اتصل بهذين المفهومين من آليات وأدوات دون الإشارة إلى أننا نتحدث عنهما في إطار النص، الذي يُعدُّ الوحدة الأساسية للتحليل في دراسات لسانيات النص ، " ومن الملاحظ بوجه عام أن هذا الاتجاه – لسانيات النص – قد أثار نقدا شديدا وخلافا كبيرا بين الدارسين حول حدود النص وتصوراته وعلاقاته ، ويرون أنه لا توجد مصاعب تواجه علما من العلوم مثلما هي الحال بالنسبة لهذا العلم ، حيث إنه حتى الآن ، وبعد مرور ما يربو على ثلاثة عقود على نشأته الفعلية لم يتحدد بدرجة كافية ، بل إنه مسمى لاتجاهات وتصورات غاية في التباين وفروع علمية غاية في الاختلاف ، ونتيجة لذلك فإنه لا يسود حول مقولاته وتصوراته ونظرياته الأساسية أي اتفاق بين الباحثين إلا بقدر ضئيل للغاية ، رغم الجهود المضنية التي بذلها أعلامه لوضع حدود واضحة بينه وبين العلوم الأخرى [١].." ، ولم يكن بذلك حظ مصطلح " نص " أسعد حالا من مصطلح " جملة " فثمة اختلاف شديد ... في درجة التناقض أحيانا والإبهام أحيانا أخرى [٢]، كما سنرى لاحقا إذ لا يوجد تعريف واضح ومتفق عليه من قبل الباحثين في مجال لسانيات النص بشكل مطلق .

وجدير بالذكر أن الاختلاف في التعريف بمصطلح النص ليس بدعا في الدراسات اللغوية ، بل في العديد من العلوم ، خاصة في بداية نشأتها ، وهذا

---

(١)البحيري ،علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص ١١٥

(٢)البحيري ، مرجع سابق ، ص ١٠١

أمر طبيعي - أمر عدم الاستقرار على التعريف بالمصطلحات - وطبيعة العلوم وأهدافها ... وغيرها من الجوانب المتعلقة بكل علم [١]، ولم يكتف مصطلح النص بدلالاته المعجمية ، واكتسب دلالات أخرى جديدة ، ولذلك كان من اللازم التعريج على المفهوم المعجمي وكذلك الاصطلاحي للنص ، حتى تتحدد لنا الدراسة التي نحن بصددها ، فاضطررنا بذلك إلى الوقوف على كمٍّ هائل من التعاريف سواء في المعجم منها أو الاصطلاح التي تستند في معظمها إلى وجهات نظر خاصة ، ومنطلقات ومرجعيات مختلفة ، إذ يقول أحد الباحثين في هذا الصدد : " وتأتي صعوبة القبض على النص وتحديد ماهيته وأبعاده من تعدد الرؤى ، ولكونه فضاء لأبعاد متعددة ومتنازعة ، إضافة إلى كونه شحنة انفعالية ، تحكمها قواعد لغوية ومعايير أخلاقية وقيم حضارية وخصائص اجتماعية "[٢] ، ورغم الاختلاف في الرؤى وتعدد مفاهيم النص إلا أننا سوف نرصد ما تشترك فيه تلك المفاهيم من الناحية اللغوية والاصطلاحية في تحديد ماهية "النص ".

المفهوم اللغوي :

لقد تعددت المعاني اللغوية لمادة (ن . ص .ص) ، فهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) في كتابة العين يقول : " نَصَصْتُ الحديث إلى فلان نَصًّا ، أي رفَعَتْه ، قال طرفه بن العبد :

ونصَّ الحديثَ إلى أهله فإنَّ الوثيقةَ في نَصّه

والمِنَصَّة التي تقعد عليها العروس ،ونَصَصْتُ الرَّجلَ أي استقصيت مسألته عن الشيء ، يقال نص ما عنده أي استقصاه ، و أَنْصتُّه استمعت

---

(١)الفقي ، صبحي إبراهيم ، علم اللغة النص ،ج١، ص ٢٢٧

(٢)بوسقطة، السعيد، مجلة الموقف الأدبي، شعرية النص بين جدلية المبدع والمتلقي ، -مجلة – إلكترونية -أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العدد ٣٧١ آذار ٢٠٠٢ م .

له ومنه قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٤ .

وفي حديث – منسوب لعلي رضي الله عنه –(إذا بلغ النساء نَصَّ الحِقَاق فالعَصَّبةِ أولى) أي : إذا بلغت غاية الصِّغَر إلى أن تدخل في الكِبَر ، فالعصبة أولى بها من الأم ، يريد بذلك الإدراك والغاية " [١].

ولقد جاء في لسان العرب لابن منظور قوله: النص : رفعك الشيء ، نص الحديث ينصُّه نصًّا : رفعه ، وكل ما أظهر فقد نُصَّ ، وقال عمرو بن دنيار: " ما رأيت رجلا أنصَّ للحديث من الزهري أي أ رفع له وأسند ، يقال نص الحديث إلى فلان أي رفعه ، وكذلك نصصتُه إليه ، ونصت الظبية جِيدَها أي رفعته.

ووضع على المِنَصَّة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور ونص المتاع نصا : جعل بعضه على بعض [٢] ، وقد جاء في معلقة امرئ القيس قوله : (الطويل)

وجيدٍ كجيد الرِّئمِ ليس بفاحشٍ إذ هي نَصَّتْهُ ، ولا بِمُعطَّل[٣]

وقد جاء في مختار الصحاح في مادة (ن. ص .ص) ما يلي : نصّ الشيء : رفعه وبابه ردَّ ومنه مِنصَّة العروس ، ونَصَّ الحديثَ إلى فلان رفعه إليه ونَصُّ كل شيء منتهاه [٤].

---

(١)الفراهيدي ،الخليل بن أحمد ، كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي ، ابراهيم السامرائي ، د.ط،(دار ومكتبة هلال ، د.ت) ج٧ ، ص ٨٦ -٨٧

(٢)ابن منظور ، لسان العرب ،مادة ن ،ص،ص ،ط١ ،(بيروت: دار صادر ، د.ت) مج ١٤ ،ص٣٣٠

(٣)قميحة ،مفيد، المعلقات العشر ، شرح ودراسة وتحليل ، ط٥،(بيروت :دار الفكر اللبناني ،٢٠٠٥م) ، ص ٦٨

(٤)الرازي : محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح ، د. ط،(مكتبة لبنان ناشرون ١٩٩٣م)،ص٢٧٦

ومن العجيب أنه ليس هناك اختلاف معجمي يذكر في معنى " نص " بين هذه المعاجم العربية القديمة ،فما نجده عند الخليل بن أحمد نجده عند ابن منظور ونجده كذلك عند محمد بن أبي بكر الرازي .

ومما يلاحظ على المعاني اللغوية لمادة (ن. ص.ص) في هذه المعاجم أنها متعددة وتدل إما على :

- الرفع بنوعيه الحسي والمعنوي .
- أقصى الشيء وغايته .
- ضم الشيء إلى الشيء .
- الإظهار.

أما المعنى الشائع والمستقر بين متكلمي اللغة العربية المعاصرة ، فهو صيغة الكلام الأصلية التي وردت في المعاجم الحديثة مثل المعجم الوسيط والمنجد ، إذ جاء في الأول أن النص هو: " صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف ... أو ما لا يحتمل إلا معنى واحداً أولا يحتمل التأويل ، ومنه قوله : " لا اجتهاد مع النص "[١] .

النص اصطلاحا :

لقد تعددت تعريفات النص الاصطلاحية ، وتنوعت بتنوع التخصصات المعرفية ، وبتعدد الاتجاهات والنظريات والمدارس اللسانية ، هذا ما أدى بالباحثين إلى التباين في إمكانية وضع مفهوم موحد للنص يجمعون عليه ، لأن لكل باحث تصوره وخلفياته المعرفية التي تنير فكره وترسم طريقة إلى ذلك، و رغم هذا فإنه لابد لنا من أن نتطرق إلى بعض التعريفات المسندة إليه قصد تقريب مفهومه إلى الأذهان ، محاولين تقديم أهمها ، مما جاء به بعض

(١)مصطفى، ابراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ، ط٤، (القاهرة : مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٥ م) ، ص٩٢٦

الدارسين العرب منهم حيث يعد هذا الاختلاف كبيراً بين الباحثين في تعريف مصطلح النص إلى درجة عدم الاتفاق حول تعريف معين ، بل التناقض أحيانا.

المطلب الأول :النص في التراث العربي (قديماً وحديثاً):

حظي نص القرآن الكريم بدراسة نصية تامة ، وهي أولى مظاهر هذه الممارسة في تاريخ العرب ؛ إذ لم يحظ نص من النصوص التراثية بعناية الباحثين والدارسين مثل ما حظي به القرآن الكريم [١].

وقد أدرك الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) هذا الأمر فقال:" إذا تأمله المتأمل ، تبين – بخروجه عن أصناف كلامهم ، وأساليب خطابهم – أنه خارج عن العادة ، وأنه معجز وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن ، وتميّز حاصل في جمعيه "[٢] .

وإذا ما بحثنا في تضاعيف المعجم العربي القديم ، ألفينا مادة " ن، ص،ص " بعيدة عن الدلالة المستحدثة في الدراسات النقدية الحديثة ، فقد ورد في لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ)أن مادة نصص بمختلف اشتقاقاتها تحيل إلى معنى الرفع والظهور ، ومنه نص الحديث ينصه نصا بمعنى رفعه ، وكل ما أُظهر فقد نُصَّ ، ومثل ذلك قول عمرو بن دينار : " ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري "٣، فكلمة " نص " تحيل إلى معنى الرفع والإسناد .

ومنه نقول : نَصّت الظبية جِيدَها أي رفَعَتهُ ، ومعنى النص أيضا بلوغ أقصى الشيء وغايته ، وتطلق هذه الكلمة أيضا على ضرب سريع من السّير ،ومن الدلالات التي تنطوي عليها كلمة " النّص ":

- التوقيف والتعين على شيء ما .

---

(١) شرشار، عبدالقادر ، تحليل الخطاب الأدبي ، د.ط ،(دمشق :اتحاد الكتاب العرب ، د.ت) ،ص ١٥

(٢)الباقلاني ،إعجاز القرآن ، شرح وتعليق عبدالمنعم خفاجي ،د.ط ،(دار الجيل ، بيروت ،د.ت) ص٨٦

(٣)ابن منظور،لسان العرب ، مج ١٤ ، مادة (ن ،ص، ص)ص ٢٧١ .

- بلوغ أقصى الشيء ومنتهاه .

- الوضوح والظهور (ومنه نص الحديث ونص السنة أي ما دل عليه ظاهر لفظهما من الأحكام).

- التحريك (نصَّ الشيءَ حرَّكه).

- النصنصة (تحرك البعير إذا نهض من الأرض)[١].

نخلص مما سبق إلى أن مادة " نصص " تحيل حسب الشاهد الذي أتينا على ذكره على معنى الظهور والتحريك ، والرفع والإسناد.

ومن ثم فإن دلالتها اللغوية المباشرة، هي التي غذَّت دلالتها الاصطلاحية في حقل أصول الفقه [٢]،فصار مفهوم " النص " يحيل على ما لا يحتمل إلا دلالة واحدة ، وبمعنى آخر لا يحتمل التأويل[٣].

إذا كانت مادة " النص " في حقل الأصول تشير إلى "المعنى الواحد " ودلالته اللغوية تشير إلى معنى " الظهور "، فالذي لا يحتمل إلا معنى واحداً أي لا يحتمل التأويل لابد أن يتصف بالظهور ، والوضوح ،وهذا يؤكد عمق الصلة بين دلالته اللغوية والاصطلاحية .

فالنص دلالته من منظور علماء الأصول هو ما لا يتطرق له أي احتمال أو تأويل أي أنه يحمل دلالة واضحة ومحددة . وكل هذه الصفات والخصائص تدفع عنه اللبس والغموض.

---

(١)ابن منظور لسان العرب ، مج ١٤ ،مادة ن ،ص ،ص، ص ٢٧١ .

(٢)قياس ، ليندة ، تقديم : عبدالوهاب شعلان ،لسانيات النص – النظرية والتطبيق – مقامات الهمذاني أنموذجاً، ص١٧

(٣)الشريف الجرجاني : التعريفات ، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود ، ط١، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م)، ص ١١٠

كما وظف في بيئة النحويين من مثل ما نجده عند **ابن جني** (ت ٣٩٢ هـ) إذْ قال :" ... اعلم أن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص ..."[١] حيث استعمله بصيغة اسم المفعول ، واستعمل ابن هشام (ت ٧٦٢ هـ) مصطلح نص بصيغة الفعل ، يقول : " ... نص سيبويه ..." [٢].

يتضح من الشاهد السابق أن دلالة مصطلح (نص)في تراثنا النحوي قد ارتبطت بالفعل ولم تتمخض للاسمية كما هو شأنها اليوم .

فمما جاء في الدراسات الحديثة التعريف الذي قال به **عبدالرحمن طه** بأنه – النص – " كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات "[٣]، ويعدُّ هذا التعريف من أهم التعريفات العربية المعاصرة للنص ، وقد جاء هذا الأخير على أساس منطقي ، يُظهر فيه صاحبه بأنه عبارة عن جمل مترابطة داخل بناء بعلاقات معينة .

ويذهب **نور الدين السد** في كتابه "الأسلوبية وتحليل الخطاب "إلى أن النص ليس " مجموعة جمل فقط ، لأن النص يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا نثرا أو شعرا ، حوارا أو مونولوجا ، يمكن أن يكون أي شيء من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها من نداء استغاثة حتى مجموعة مناقشة

---

(١)الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط٣ ، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ م)، ج١ ، ص١٩٠

(٢)مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، د.ط ، (بيروت: المكتبة العصرية ، ٢٠٠٣ م) ، ج١، ص٩٨

(٣)طه عبدالرحمن ، في أصول الحوار وتجديد الكلام ، ط٢، (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٠م) ،ص٣٥

الحاصلة طوال يوم في لقاء هيئة "[١].

ثم يذهب بعد ذلك إلى أن النصية هي التي تميز النص من اللانص ، فيقول : " النصية تحقق للنص وحدته الشاملة ، ولكي تكون لأي نص نصيته ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية ، بحيث تسهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة "[٢].

فقد انطلق **السد** في تعريفه للنص من رؤية لسانية تصنف النص تصنيفا نوعيا من خلال تحقق وحدة النص الشاملة من عدم تحققها ، ويرجع تحقق هذه الوحدة النصية إلى مجموعة من الوسائل اللغوية ،التي يأتي على رأسها كما يذكر السد "الاتساق "الذي يعد المقوم الأساسي في الحكم على نصية أي نص فيقول : " فإذا توفرت وسائل الاتساق كان المقطع اللغوي كلا موحدا ، وإذا افتقد إلى الخصائص التي تميزه ، والوسائل التي تجعل منه متسقا موحدا وجملة غير مترابطة ، فقد مقومات وجوده"[٣] ، وقد وضع – السد - مخططا بيانيا يوضح فيه الفرق بين الظاهرتين : (النص واللانص)

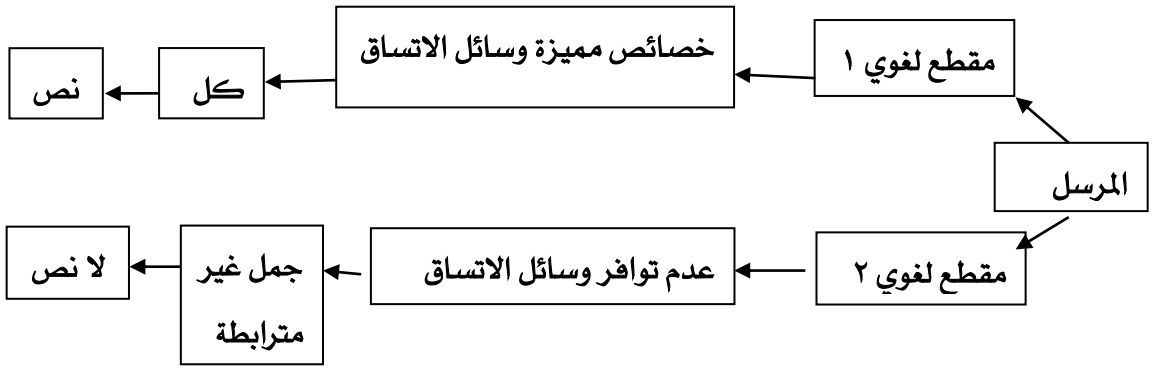

ولتوضيح ما سبق ذكره يضرب السد المثال التالي قصد بيان نصية نص

(١)نور الدين السد ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، د.ط، (الجزائر : دار هومة للطباعة والنشر ،١٩٩٧م) ، ج ٢ ،ص٦٩

(٢) نور الدين السد ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ص٦٩

(٣)نور الدين السد ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ،ص٦٩

ما : " اقطف قليلا من الزهور ، ضعها في مزهرية قاعة الاستقبال " ، غني عن البيان أن الضمير " ها " في الجملة الثانية يحيل قبليا إلى الزهور في الجملة الأولى ، وما جعل الجملتين متسقتين هو وظيفة الإحالة القبلية للضمير " ها " وبناء على ذلك فإن الجملتين تشكلان نصا [١].

أما مفهوم النص عند **عبد الملك مرتاض** فإنه:" لا ينبغي أن يحدد بمفهوم الجملة ،ولا بمفهوم الفقرة التي هي وحدة كبرى لمجموعة من الجمل، فقد يتصادف أن تكون جملة واحدة من الكلام نصا قائما بذاته مستقلا بنفسه ،وذلك ممكن الحدوث في التقاليد الأدبية كالأمثال الشعبية والألغاز والحكم السائرة والأحاديث النبوية التي تجري مجرى الأحكام وهلم جرا"[٢].

أما النص من حيث دلالته : (فهو شبكة معطيات ، ألسينة وبنيوية ، وأيديولوجية كلها تسهم في إخراج النص إلى حيز الفعل والتأثير ؛ وهنا يستند مرتاض على نظرية القراءة في تحديد مفهوم النص الأدبي ، " فالنص قائم على التجديدية بحكم مقروئيته ، وقائم على التعددية بحكم خصوصية عطائيته تبعا لكل حالة يتعرض لها في مجهر القراءة ،فالنص من حيث هو ذو قابلية للعطاء المتجدد المتعدد بتعدد تعرضه للقراءة)، ولعل هذا ما تطلق عليه " جوليا كريستيفا " (إنتاجية النص)حيث إنه يتخذ من اللغة مجالا للنشاط فتراه يتردد إلى ما يسبق هذه اللغة محدثا بعدا بين لغة الاستعمال اليومية – وهي اللغة المسخرة لتقديم الأشياء والتفاهم بين الناس – والحجم الشاعر للفعاليات الدالة ؛ فتنشط اللغة التي هي الأصل الأدبي في كل مرحلة نشاط

---

(١) السد ،نور الدين ،الأسلوبية وتحليل الخطاب ،ص٧٠

(٢)مرتاض، عبدالملك ، في نظرية النص الأدبي ، المجاهد (الأسبوعية الجزائرية) ،عدد ١٤٢٤ ،ص٥٧ . نقلا عن : رابطة أدباء الشام :www.odabasham.net

هذه اللغة التي هي أصل النص في كل مراحله ومظاهره"[١] .

ويعرف النص الأدبي بأنه : « عالم ضخم متشعب متشابك معقد ، ورسالته مبدعة تنتهي لدى الفراغ من تدبيجه ، فهو لا يرافقه إلا في لحظة المخاض ، أو لحظة الصفر كما يطلق عليها " رولان بارت [٢] (١٩١٥ - ١٩٨٠) "»[٣].

وإذا تأملت هذا التعريف الذي قدمه **مرتاض** للنص الأدبي ، وألمحت النظر إلى بعض الكتب التي تتمحور دراستها حول لسانيات النص نجد أنه قد أحسن في تعريفه هذا ووضع مصطلح " عالم " كون كتب لسانيات النص تضع المصطلح القريب منه والمتمثل في " عالم النص ".

ويذهب **صبحي إبراهيم الفقي** في كتابه "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق "إلى تبنى تعريف "روبرت دي بوجراند " ، ويعّده من التعريفات الجامعة إذْ يرى بوجراند النص " أنه حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة ، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير :

١ - السبك أو الربط النحوي (Cohesion).

٢ - الحبك (Coherence) التماسك الدلالي ، وترجمهما تمام حسان بالالتحام .

٣ - القصد (Intentionality) وهو الهدف من إنشاء النص .

---

(١) مرتاض ، مرجع سابق ، ص٥٧

(٢) ناقد أدبي ، ومنظر اجتماعي ، ودلالي ، هو من خليفة :ميشيل فوكو وجاك دريدا.

(٣)عبدالملك مرتاض ، النص الأدبي من أين ؟ وإلى أين ، د.ط ، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٩٨٣ م)، ص٤٢

٤ -القبول أو المقبولية (Accptability) وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص .

٥ - الإخبارية أو الإعلام (Informativity) أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه .

٦ - المقامية (Situationality) وتتعلق بمناسبة النص للموقف.

٧ - التناص (Intertextuality)"[1].

وما هو واضح من التعريف الذي يتبناه صبحي إبراهيم الفقي إنه تعريف شامل لا يلغي أحد أطراف الحديث الكلامي في التحليل ، حيث أنه جمع بين المرسل للرسالة ومتلقيها وكذلك السياق بالإضافة إلى أدوات الربط اللغوية ، حيث كل هذه العناصر النصية كانت محل اهتمام في التحليل النصي لديه ، ومما هو ملاحظ عليه أنه لا يعطي عنصرا اهتماما أكثر على حساب العناصر الأخرى بل يساوي بين كافة عناصر التحليل النصي .

وعليه فإن مفهوم (النص) عند العرب ، لا ينصرف إلى معنى الوضوح والانكشاف فقط ، بل يشمل الظهور ، والثبات، وعلو المصدر، والتركيب ، والترتيب ، والاقتصاد .

(١)الفقي :صبحي إبراهيم ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج١ ،ص٣٣ -٣٤

المطلب الثاني :مفهوم النص بين التراث العربي والتراث الغربي :

يشير الأصل اللاتيني لكلمة " Text "، " Texte" المشتقين من " Textus" إلى النسيج " Tissu" المشتقة بدورها من " Texere" بمعنى نسيج [١].

فالأصل اللاتيني يحيل على " النسيج " ودلالة هذه المادة تحيل على شدة التنظيم وبراعة الصنع .

أو أنه يوحي بالجهد والقصد ، ولعله يوحي أيضا بالكمال والاستواء ، بينما يدل الأصل في اللغة العربية على الاستواء والكمال ، وعلى النسيج أيضا، على الرغم من أن ابن منظور في مادة " نصص " لم يشر إلى ذلك [٢].

فإذا لم يرد في لسان العرب ما يشير إلى أن النص يحمل معنى النسيج والجهد ، إلا أننا إذا عدنا إلى المعاجم العربية وبحثنا في مادة " ن،س،ج " فإن المعاجم الأخرى نجد فيها ما يحيل على ذلك.

يرى **ابن منظور** أن مصطلح النسيج يعني ضم الشيء إلى الشيء ،هذا هو الأصل ، نسجه ينسجه نسجا فا نتسج ،ونسجت الريح التراب تنسجه نسجا : سحبت بعضه إلى بعض ،والريح تنسج الماء إذا ضربت متنه فانتسجت له طرائق كالحُبُك ، ومن هذا المنطلق يمكن القول : نَسَجَ الحائك الثوب يَنْسِجُه وَيْنسُجُه نسجا ، من ذلك لأنه ضم السَّدَى إلى اللُّحْمة ، ونسج الكذاب الزور :لَفَّقَه ونسج الشاعر الشعر : نظمه ، وإذا كان الشاعر ينسج الشعر ،فإن الكذاب ينسج الزور [٣].

نخلص من مقارنة أصل الاشتقاقيين في اللغتين العربية واللاتينية ، إلى أنهما يؤديان معنى بلوغ الغاية والاكتمال وجودة الصنع ، وشدة التنظيم .

---

(١)قياس ، ليندة ،لسانيات النص – النظرية والتطبيق – مقامات الهمذاني أنموذجاً، ص١٨

(٢) شرشار ، تحليل الخطاب الأدبي ، ص ١٨

(٣)ابن منظور ، لسان العرب ، مج ١٤ ، مادة (ن،س،ج)،ص ٢٤٣ -٢٤٢

إن مصطلح النص بمعناه العربي – هنا – لا يختلف كثيرا عن الدلالات التي تتحتوي عليها مادة " Text" التي تحمل معنى البناء والنسج والسياق ، وهي دلالات حركية ديناميكية ، لا تنفي الدلالة التوقيف للشيء ولذلك نقول نص القرآن أو نصت السنة أي قالت بظاهر العبارة ، وحينما نقول نص القانون فيعني ذلك جمله وفقراته البينة وحينما نقول النص الأدبي ، فيعني ذلك كل ما هو ثابت بعد قوله التلفظ به أو تدوينه ... .

ونلمح توظيفا لهذه الدلالة في تعريف **رولان بارت** " R .Barthes" لنظرية النص ، حيث أشار إلى أن كلمة Texte (نص)تعني النسيج ، وهذا النسيج هو عبارة عن نتاج وستار جاهز يختفي وراءه المعنى ، ويركز بارث في تعريفه للنص على الفكرة التوليدية التي ترى أن النص يصنع ذاته ويعتمل ما في ذاته عبر تشابك دائم ، تنفك الذات وسط هذا النسيج الضائعة فيه ، كأنها عنكبوت تذوب هي ذاتها في الإفرازات المشيدة لنسيجها ، ومن هذا المنطلق يمكن تعريف نظرية النص بأنها علم نسيج العنكبوت[١].

فالنص حسب **بارت** نسيج عنكبوت لبراعة نسجه وتماسكه ، بحيث يتعلق بعضه ببعض ، ويلتقي أول خيط نسج به بآخره ، وهنا تبرز خاصية أساسية وجوهرية للنص ، وهي ترابط وتشابك مكوناته على نحو وحدته الكلية .

لقد أصبح مصطلح "النص " من المفاهيم الجديدة حيث صار يستعمل بمعنى مختلف عما كان عليه في العصور السابقة ، إن دلالته في التراث تقف على النقيض من تعريف البنيوية له ، التي تنظر إليه على أنه بنية منغلقة تنطوي على معنى ثابت ومحدد لا تبرز فيه فاعلية التناص[٢].

---

(١) قياس ، ليندة ،مرجع سابق،ص١٩

(٢)قياس ، ليندة ،مرجع سابق ،ص٢٠٩

فالنص من وجهة نظر البنيويين بنية مغلقة ومنتهية ، إنه جسد ميت لا حراك له ، ويكون القارئ بذلك متلقيا سلبيا .

ويرى **محمد مفتاح** أنه في العصر الحديث تم توظيف مصطلح " النص " في الدراسات الأدبية العربية بناء على ما يجري استعماله في الجامعات الغربية ، وهو يختلف كل الاختلاف عما تقدمه التصورات العربية القديمة المتعددة[1].

وعليه ،فإن الباحثة ترى أن مصطلح " نص " في اللغة العربية وبالتحديد – في العصر الحديث – قد شحن بدلالات غربية غير التي أنتجتها الثقافة العربية في الماضي وذلك بتأثير مباشر من الثقافة الغربية ، بحجة تحديث المصطلح .

(١)مفتاح ،محمد ،المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي ، ط ١، (الدار البيضاء :المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٩م) ص٣٠

المطلب الثالث :النص في الدرس اللساني:

يجمع كثير من النقاد والدارسين على أن البحث عن تعريف لمفهوم النص أمر صعب لتعدد معايير هذا التعريف ، ومداخله ، ومنطلقاته ، ومضامينه ، وخلفياته المعرفية .

وإذا كان النص أثراً للغة وشكلا من أشكالها المرتبط ببعض استخدامات الكلام، فينبغي أن يكون مفهومه الأساسي أنه وسيلة لنقل الأفكار بين المتخاطبين ، فالهدف من دراسة النص بوصفه مظهرا من مظاهر استعمالات اللغة هو تحسين الاتصال بين البشر ،لأن" المبرر الأكبر للدراسات اللغوية هو تحسين الاتصال "[١] .

شغل " تعريف النص " مساحة كبيرة من اهتمام علماء لغة النص ، وعلى الرغم من التعدد والتباين في المدارس التي ينتمون إليها ، والمذاهب الفلسفية والفكرية التي ينطلقون منها ، إلا أن هناك قاسما مشتركا بين جلّ هذه التعريفات ،وهو التأكيد على خاصية ترابط النص وضرورة النظر إليه على أنه وحدة كلية مترابـــطة الأجزاء وليس سلسلة من التتابعات الجملية، من هذا المنطلق رفض جون ليونزJohn Lions الإجابة عن ماهية النص ، والتي ترى أن النص عبارة عن ترابط مستمر من الجمل .رفض جون ليونز تلك الإجابة قائلا بأن هذا التحديد غير مقنع ، إذا كانت هذه الجمل المشار إليها هي الجمل التي يتكون منها النص فهذه سمة تميز النصوص (الشكلية) ذات الصبغة الكلية ، إلا أن هذا لا ينفي حسب رأيه وجود نصوص مستعملة في التواصل تتكون من جمل مختلطة أو مزيج من الجمل – شظايا الجمل –

(١)ناصف، مصطفى ، اللغة والتفسير والتواصل ، د.ط ، (المجلس الوطني الكويتي ،١٩٩٥ م)،ص ٢٤١

تعبيرات جاهزة [١].

ويرى **جون ليونز** أن تعريف النص بعيد كل البعد عن أن يكون مجرد تتابع لبعض الجمل ، لا رابط بينها .

ومن ثم يؤكد على أن النص بكليته لا بد أن ينطوي على مجموعة مميزة من الخصائص التي تفضي إلى التماسك والانسجام [٢].

ويرى **هارفج** R. Harweg أن النص " ترابط مستمر للاستبدالات السنتجميمية / المركبية signtagmatique التي تظهر الترابط النحوي في النص "[٣].

وفي هذا السياق يرى **فاينرش** H. Weinrich بأن النص عبارة عن بنية ترتبط أجزاؤها بعضها ببعض ؛ إذ تستلزم وحداتها اللغوية بعضها البعض لفهم الدلالة الكلية [٤].

فالنص حسب " **فاينريش** " وحدة كلية مترابطة الأجزاء متلاحمة العناصر ، إن تشابك هذا النسيج اللغوي داخل الوحدة الكلية للنص يفضي إلى فهمه فهما معقولا.

ويقرر هاليداي Haliday / ورقية حسن R .Hassen. أنه إذا كانت الجملة وحدة أساسية في الدرس النحوي ، فإن النص ليس بنية نحوية أكثر حجما من الجملة ، أو مجرد سلسلة من الجمل أو جملة كبرى ، وإنما هو بنية من نمط مختلف ، إنه يشكل وحدة دلالية Semantic Unite الوحدة التي

---

(١)عفيفي، أحمد ، نحو النص ، ط ١ ، (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق ، ٢٠٠١م)، ص٢٣

(٢)عفيفي، نحو النص ، ص٢٣

(٣)البحيري ،سعيد حسن : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ،ص١٠٨ ؛ عمر عبد الواحد ، التعليق النصي ، ص١٠

(٤)البحيري ، مرجع سابق ،ص١٠٨

لها معنى Sens في سياق Context [١].

ومن أمثلة تحديدات النص المتعلقة بالتواصل ندرج تعريف **شميت** S.J. Schmidt فقد حدّه بأنه كل تشكيلة لغوية منطوقة من حدث اتصالي في إطار عملية اتصالية ،محدد من جهة المضمون ، ويؤدي وظيفة اتصالية يمكن إيضاحها ، أي يحقق إمكانية قدرة إنجاز واضحة وجلية [٢].

وتؤكد الباحثة من خلال ذلك السمة التواصلية الإبلاغية للنص ، كما يشترط أن تكون له وحدة موضوع ، ووحدة مقصد .

والتأكيد على الوظيفة التواصلية للنص من القضايا المنطقية ، وذلك لأن التواصل هو خاصية تشترك فيها جميع اللغات ، ويستلزم التواصل وجود مرسل ومستقبل ، ولا تعد اللغة الوسيلة الوحيدة للاتصال بين بني البشر[٣].

إن المتأمل في التعريفات السابقة ، يجد أن لها إما خاصية متعلقة بوحدة النص وترابطه (جون ليونز ، وهارفج وفاينريش) ، وإما بدلالة النص (هاليداي ورقية حسن)، وإما ببراغماتية تداولية النص (شميت)، فكل تعريف من هذه التعريفات يركز على جانب ويسقط جوانب أخرى .

وفي هذا السياق حاولت المقاربة اللسانية الفرنسية إرساء أسس نظرية نصية متكاملة للمشروع اللساني النصي ،فقد قرر جون ميشال آدام (J.M. Adam)في كتابه المهم عن اللسانيات النصية كون النص إنتاجا متماسكا ، مترابطا ومتلاحما ، وليس رصفا عشوائيا للمفردات والجمل

---

(١)عبدالمجيد، جميل،البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، د.ط، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٨م)،ص٦٨

(٢)البحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص٨١

(٣)خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، ط٢، (الكويت: عالم المعرفة ، ١٩٧٩م) ،ص٣١

وأشباه الجمل وأفعال الكلام [١].

ويمكننا أن نضيف إلى ملامح النص ما أطلق عليه روبرت دي بوجراند Beaugrand Robert de وفلجانج دريسلر Wolfgang Dressler المعايير النصية السبعة التي بدونها لا يكون النص نصا ،وهي السبك والالتحام والقصد ورعاية الموقف والقبول والتناص والإعلام [٢].

أ - السبك Cohesion : ونعني به الكيفية التي يتم بها ربط العناصر اللغوية على مستوى البنية السطحية بحيث يؤدي السابق منها إلى اللاحق .

ب - الالتحام Coherence :ونقصد بها الطريقة التي تتم بها ربط التراكيب على مستوى البنية العميقة للنص ، التي ربما لا تظهر على مستوى السطح.

ج - القصد Intentionaliy :ويعني أن النص حدث لغوي مخطط له ، وليس رصفا اعتباطيا للجمل والكلمات إنه بنية لغوية يقصد بها أن تكون متسقة ومنسجمة ، لتحقيق غرض منشئها .

د - القبول Acceptability : ويتضمن موقف المرسل إليه أو متلقي النص

،إزاء كون صورة ما من صور اللغة ، ينبغي لها أن تكون مستحسنة ، من حيث هو نص متسق ومنسجم .

هـ -رعاية الموقف Situationality : ويسمى كذلك السياق أو المقام ، وينقسم إلى سياق لغوي وسياق غير لغوي ، وهذا الأخير يحيل إلى خارج النص ويشمل السياق الثقافي والديني والاجتماعي ، والتي أسهمت كلها في تكوين

---

(١)قياس ،ليندة ،لسانيات النص – النظرية والتطبيق – مقامات الهمذاني أنموذجاً، ص٢٢

(٢)روبرت ، دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء،(ترجمة : تمام حسان)، ط١،(القاهرة: عالم الكتب ، ١٩٩٨م)، ص١٠٣,١٠٤

النص .

و -التناص Intertextuality :ويتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى سابقة أو معاصرة له، بحيث يصبح النص بنية مقتطعة من بنيات أخرى .

ي - الإعلامية أو الإخبارية Informativity :أن كل نص من النصوص يجب أن يتضمن قدرا من المعلومات،وتختلف طبيعة هذه المعلومات باختلاف نوع النص .

كما وردت تعريفات متعددة تبعا لذلك في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة تعكس مصادر متعددة للتلقي العربي المنهجي عن الآخر ، لعل أهمها : تعريف **محمد مفتاح** للنص بأنه : مدونة كلامية وأنه حدث يقع في زمان ومكان معينين يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل التجارب إلى المتلقي ... [(١)].

والنص في منظور **الأزهر الزناد** النص علامة كبيرة ذات وجهين : وجه الدال ووجه المدلول ، ويتوفر في مصطلح نص في العربية ، وفي مقابله في اللغات الأجنبية Texte بمعنى النسيج ، فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض ، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في آن واحد ، هو ما نطلق عليه مصطلح النص [(٢)].

وتوسع **مريم فرنسيس** مفهوم النص لتجعله يشمل كل إبداع أو نشاط لغوي يمارسه الإنسان سواء كان علميا أم فنيا ، مكتوبا أم مقروءا ، فالنص من وجهة نظرها لا ينحصر في مجال معرفي معين إنما يشمل جميع

---

(١)مفتاح، محمد ، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)،ط ٣ ،(المغرب : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٢م)، ص١٢٠

(٢)الزناد ، الأزهر،نسيج النص : (ما يكون به الملفوظ نصا) ، ط ١، (، بيروت: المركز الثقافي العربي ٣ ١٩٩ م) ، ص ١٢

الميادين المعرفية ، وإن كانت النصوص تختلف فيما بنيها من حيث نوعية الإبداع ومستوى هذه النوعية [١].

تبرز كثير من التعريفات المتعلقة بالنص – المشار إليه سابقا – خاصية ترابط وحداته ، إذ تستلزم عناصره بعضها البعض لفهم الكل ، كما يؤدي إسقاط عنصر من عناصره إلى عدم تحقق الفهم ، ومن هنا يتأكد دور الربط في النص من خلال المعايير السبعة التي ذكرها كل من **دي بوغراند وزميله دريسلر** لتحقيق ما يطلق عليه بالنصية Textuality فقد جعلا الاتساق Cohesion المبدأ الأول ؛ ويمثل الربط النحوي الذي يعنى بكيفية ربط العناصر اللغوية التي تظهر على مستوى سطح النص ، والانسجام Coherence المبدأ الثاني ؛ ويعبران به عن الترابط النطقي للبنية العميقة للنص .

وبناء على ما سبق يتضح لنا أن هذين المعيارين تربطهما صلة وثيقة بالنص ، كما يشكلان معا الركيزة الأساسية للتحليل النصي المعاصر [٢].

---

(١) فرنسيس، مريم ،بناء النص ودلالته (محاور الإحالة الكلامية)، ط١ ،(دمشق: منشورات دار الثقافة ، ١٩٨٩م) ، ص٣٠

(٢)عفيفي، نحو النص ، ص٩٠

المبحث الثاني : نحو النص والبحث اللغوي :

المطلب الأول :المصطلح والتعريف :

نحو النص :

يعد نحو النص أحد المصطلحات التي وُضعت لترجمة مصطلح لساني حديث شاع في الدراسات النصيّة الأوروبيّة ، وهو في الإنجليزية (Text Grammar) ، وفي الفرنسيّة (Grammaire de Text) ، وفي الهولنديّة (Textgrammatik)؛ فقد عبّر عنه بعض المترجمين بنحو النص ، وبعضهم الآخر بنحو النصوص ، أو بعلم اللغة النصّي ،أو بنظريّة النص ،أو بعلم النص أو بعلم لغة النص، أو بأجروميّة النص ، أو بلسانيّات النص أو بلغويّات النص ، وهذا الاضطراب راجع إلى عدم استقرار هذا المصطلح في الغرب ؛ فقد عُبِّر عنه في الإنجليزيّة أيضاً بـ(Linguistics of Text) و (Text Linguistics) إلى أن أصبح (Text Grammar)أكثرها قبولاً ودوراناً [١].

ومصطلح " نحو " هنا ذو دلالة خاصّة فهو يعني كل القوانين التي تحكم نظاماً ما [٢]، وليس مجموعة من القواعد أو القيود الصارمة التي تطبّق على النص وتحتم على النص أن يخضع لها مهما اختلف جنسه ، وإنّما يتضمّن مجموعة من القوانين الاختيّارية التي تستخلص من النص ذاته بوصفه بنية كليّة أو بنية شاملة [٣].

وبما أن النحو في اصطلاح النحويين : (علم بأصول يعرف بها أحوال

---

(١)الزناد ، نسيج النص ، ص٦ –ص١٤ ؛ بحيري ، علم اللغة النص ، ص١٣٤ – ص ٢١٨ ؛ و الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ، ص ٢١٠

(٢)الزناد ، مرجع سابق ، ص١٨

(٣) بحيري ، علم لغة النص ، ص ٢١٨ -٢١٩

أواخر الكلم إعراباً وبناءً، وغرضه معرفة صواب الكلام من خطئه) [١]، فإن نحو النص في اصطلاح النصيين : (علم بمبادئ وأصول يعرف بها تماسك النص انسجاماً واتساقاً ، وغرضه معرفة مدى تحقق نصيّة النص).

تعريفُ نحوِ النصِّ :

(نحو النص هو فرع من فروع علم اللسانيات العامّة ، يدرس النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى ، ويبيّن جوانب عديدة فيه ، منها : التماسك والترابط وأنواعه وأدواته ، والإحالة وأنواعها ، والسياق النصي ودور المشاركين في النص عند إنتاجه وتلقّيه ، سواء كان منطوقاً أو مكتوباً).

ونحو النصّ « هو نمطٌ من التحليل ذو وسائل بحثية مركّبة ، تمتدّ قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة ، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكوّنات التركيبية داخل الجملة intra sentential constituents ، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرّجي ، يبدأ من علاقات ما بين الجمل intersentential relations ، ثمّ الفقرة paragraph، ثمّ النص text أو الخطاب discourse بتمامة » [٢].

ويوصف بعلم لغة النص « العلمُ الذي يهدفُ إلى وصفِ شروطِ الاتصالِ الإنساني وقيوده ، ووصف تنظيمِها أيضًا»[٣].

المطلب الثاني :فضاء النشأة :

ويذهب أغلب المؤرخين لنحو النص إلى صعوبة نسبة هذا العلم إلى عالم معيّن أو حصره ببلد أو بمدرسة أو باتجاه محدّد ، كما يصعب التأريخ له بسنة معيّنة ، ولكنّهم يرون أنّ ملامحه المميّزة ظهرت في العقد الثامن من

---

(١)الجرجاني ، العوامل المائة النحوية في أصول علم العربيّة ، ط١، تحقيق : البدراوي زهران، (دار المعارف ، د.ت) ص ١٤٦

(٢) فجال، أنس محمود ، الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني ،ص٤٥

(٣)الفقي ، صبحي ، علم اللغة النصي بين النظريّة والتطبيق ، ط١،(القاهرة :دار قباء للنشر ، ٢٠٠٠م)،ص٣٦

القرن العشرين ؛ إذ شهدت الدراسات اللسانية في تلك المدة توجّهًا نحو الاهتمام بقضايا النصّ واتخاذه موضوعاً للدارسة.

وبما أنّ الدراسات اللسانية التقليدية تتخذ الجملة وحدة لغوية كبرى للتحليل ، فإنّ من أُغرقوا في البحث في بدايات الاهتمام بالنصّ أخذوا يلتمسون إشارات – أوردها بعض الباحثين تفتح المجال لتجاوز الجملة ولا تشترط الوقوف عندها – ليعدّوها بدايات أوّلية لنحو النص.

ولذلك فقد أشير سنة ١٨٨٧ م إلى عمل مبكّر **لفايل** (H. Weil) ، علّق فيه تتابع اللفظ على تتابع الأفكار ، وفصل هذا التتابع عن النحو ، وقدّم من خلال ذلك المعايير الوظيفية للجملة ، كما أشير إلى فصل من أطروحة باحثة أمريكية اسمها (I. Nye) تناولت فيه الربط بين الجمل وعلاقتها الداخلية على أسس نصيّة ، وكان ذلك سنة ١٩١٢م[١]، وعُدّت إشارة **هيالمسلاف** (Hjelmslev) إلى ظاهرة التناسق والترابط وشبه الاعتراف بوجود النص كيانًا لغويًّا محطةً أخرى من محطات نحو النص .

ولكنّ محاولات زيليج هاريس (Zellig Harris) لنقل المناهج البنيوية التوزيعية في التحليل وإقامة الأقسام إلى مستوى النصّ وربط النص بسياقه الاجتماعي تعدّ في نظر أغلب الباحثين البدايات الفعلية لنحو النص ، وكان ذلك في بحث نشره سنة ١٩٥٢ م بعنوان (تحليل الخطاب)[٢].

وفي هذه الفترة كانت الدراسات اللسانية في أوروبا ومناطق أخرى من العالم قد فتحت باب الدرس اللساني على علوم البلاغة والنقد والاجتماع والنفس والفلسفة ممّا شجّع على دكّ الحواجز التي أُقيمت بينها ، والجمع بين الاعتبارات اللفظيّة والتركيبيّة والاعتبارات المعنويّة و المقاميّة في مجال البحث

---

(١)بحيري ، علم لغة النص ، ص١٨

(٢) فجال، أنس محمود ، مرجع سابق ،ص٤٥

اللساني [١]؛ ولكن هذه النقلة الإجرائيّة في إعادة تشكيل المعرفة اللغويّة على هذا النحو كان **لها أسباب هي** :

١ - ضيق مجال الدراسة اللسانيّة ؛ فقد بدأ الباحثون يشعرون بأن فضاء نحو الجملة ضيّق ولم يعد كافياً للإجابة عن تساؤلاتهم ، ففيه إقصاء كبير للدلالة والمعنى والسياق ،بسبب تركيزه على دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها ممّا يجعل اللغة لا تعدو كونها هيكلاً شكلياً منطقياً مجرّداً ، فكان التوجّه إلى بعض المعطيات التداوليّة ، وتوسيع دائرة البحث من الجملة إلى النص ، وربط ميدان البحث بعلوم إنسانيّة أخرى .

٢ - التداخل المعرفي وانفتاح الدراسة اللغويّة على الدراسات الاجتماعيّة والنفسيّة والفنّية والإعلاميّة ؛ ممّا أدّى إلى دراسة أثر هذه العوامل في بناء اللغة التي تظهر أقوالاً منجزة على شكل نصوص .

٣ - أزمة الاتجاهات النقديّة ؛ فقد شهدت التيارات النقديّة في العقد السابع من القرن العشرين أزمة جعلتها تتوجّه إلى علم اللغة بحثاً عن حلول لمآزقها ، فوجدوا أنّه – بأدواته المتوفرة آنئذٍ – عاجز عن تلبية آمالهم ، ولّما كان عمادُ الأدب والنقد النصوصَ لا الجملَ وفنونَ الكلام لا أشكال اللفظيّة المجرّدة فقد وجدوا في ذلك شرعية للدعوة لتوسيع موضوع الدراسة اللغويّة ليشمل النص والخطاب ويتجاوز حدود الجملة .

٤ - الحرص على توفير ملاءمة الدراسة اللغوية للواقع اللغوي ؛ فقد وجد اللسانّيون أن اختياراتهم المنهجية والنظرية الماثلة لها خصوصيّات تختلف عن تلك التي سادت قبل التفاتهم إلى النص من حيث هو بنية لغويّة ، ولا سيّما بعدما وجّه النقد إلى نظريّة تشومسكي التوليدية التحويليّة وزيد الشّك في جدواها [٢].

---

(١)الزناد ، نسيج النص ، ص٥

(٢)الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ، ص ٨٠ -٨١

ومن الجدير بالذكر هنا ،أن يكون أحد البلاغيين العرب المحدثين قد تنبّه لهذه الأسباب سنة ١٩٣١م ، ودعا إلى تجاوز مستوى الجملة إلى ما وراء الجملة في الفقرة والنص [١] ، حيث يقول أمين الخولي : " ... فالبحث في المعاني إنّما هو بحث في طرفي الجملة – المسند والمسند إليه – وتوابعهما ، ... ونجد أبحاث البيان لا تتجاوز دائرة الجملة أيضاً ، ... أمّا وراء بحث الجملة فلا تجد شيئاً ، بل تجد أنّ الأبحاث التي كان المرجو لها أن تتجاوز الجملة قد ردّت إليها ، وألزمت حدودها فقط ، فالبحث في الإيجاز والأطناب والمساواة مثلاً كان يصحّ فيه النظر إلى غرض الأديب كله ، وكيف تناوله وهل أسهب في ذلك أم أوجز ... ، لكنّهم لم ينظروا من ذلك إلا إلى الجملة أو ما كان هو كالجملة وراحوا يفاضلون بين جملة " القتل أنفى للقتل " وجملة " في القصاص حياة "(كذا) بعدِّ حروفهما ، فهذا التضييق في دائرة بحث البلاغة ... وأمّا التحلية فبأشياء منها توسعة دائرة البحث وبسط أفقه ،فلا يقتصر على الجملة ... فإنّنا اليوم نمدّ البحث بعد الجملة إلى الفقرة الأدبيّة ، ثمّ إلى القطعة الكاملة من الشعر أو النثر . ننظر إليها نظرتنا إلى كل متماسك ، وهيكل متواصل الأجزاء ، نقدّر تناسقه وجمال أجزائه ، وحسن ائتلافه ... "[٢] .

وهذه دعوة قيّمة ومبكرة جداً ، وقد كانت حرية – لو وجدت من يتابعها أن تحدث ثورة في الدرس اللساني والبلاغي في العربية ، تنتقل به من " نحو الجملة " إلى " نحو النص " ، وتبدو هذه الرؤية ناضجة ، وصاحبها يُشخّص أسباب ضيق مجال الدراسة اللغويّة وعدم إتيانها بشيء ذي بال قياساً على ما يتوقع من توسيع دائرة البحث ، ولكنّها ذهبت أدراج الرياح .

---

(١)أبو زنيد ، عثمان ، نحو النص – إطار نظري ودراسات تطبيقية ، ط١ ، (اربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠ م)، ص٣٤؛ وينظر: فجال، أنس محمود ، الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني ،ص٤٥

(٢)الخولي ، أمين ، فن القول ، ط١ ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٤٧ م) ،ص ٥٢ ، ص١٨٦؛ وينظر :فجال، أنس محمود ، مرجع سابق ،ص٤٥

وما تشترك فيه هذه الدعوات والمحاولات – بغض النظر عن أصحابها – هو أنّ نحو النص كان إفرازاً حتميّا لمجموعة من التحوّلات المعرفيّة والمنهجيّة التي جدّت في نظريّة اللغة ، وأصولها ، ومستوياتها ووظائفها ، والفلسفة العلميّة الكامنة وراءها ، وقد بدأ هذا الإفراز يتشكّل منهجياً مع الدراسات التي توغّلت في التنظيم الداخلي للنصوص ، ولا سيّما محاولات **هارفنج** (Harweng) و**إيزنبرغ** (Isenperg) و **رقية حسن** التي ظهرت سنة ١٩٦٨م ، إذ حاول الأول وصف التنظيم الداخلي للنص من خلال الحديث عن بعض العلاقات فيه ، مثل علاقة الإحالة ، والاستبدال ، والتكرار والترادف ، والعطف والترتيب ؛ واعتنى الثاني بالبحث في العوامل المتحكّمة في اختيارات صاحب النص ، وعلاقات المجاورة بين الجمل ، وجعلت الثالثة بحثها الموسوم بـ"علاقات التماسك النحويّة في الانجليزية المكتوبة والمنطوقة" منصبّاً على كشف علاقات الاتساق في داخل النصوص ، ومعرفة القواعد النحويّة التي تنظم النص[١] .

وبعد ذلك تسارعت الأبحاث في هذا الإطار ونشر **هاليداي** (Halliday) بحثاً عدّ فيه النص والسياق وجهين لعملة واحدة ، وأن فهم اللغة يستوجب فهم الكيفيّة التي تعمل بها النصوص ، وبيّن أثر سياق الموقف في بناء النص ، كما نشر فان دايك (Van Dijk) سنة ١٩٧٢م كتاباً بعنوان :(بعض مظاهر نحو النص)اعترض فيه على النحو التقليدي ودعا إلى اتباع طرق جديدة في تحليل النص والتعامل مع النص على أنّه بنية كبرى ، ومحاولة تحديد القواعد التي تحكم بنية المعنى الكلي للنص[٢].

وفي سنة ١٩٧٦م ظهر كتاب مشترك **لهاليداي ورقية حسن** شكّل أوّل دراسة نصيّة متكاملة – قياساً على ما سبق – بعنوان : الاتساق في الإنجليزيّة

---

(١)أبو زنيد، نحو النص – إطار نظري ودراسات تطبيقية ،ص ٣٥ ؛وينظر : فجال، أنس محمود ، مرجع سابق ،ص٤٥

(٢)بحيري ، علم لغة النص ، ص٢١٩؛ وينظر : فجال، أنس محمود ، مرجع سابق ،ص٤٥

(Cohesion in English) عالج فيه مؤلفاه مفاهيم مثل : النص ، والنصيّة ، والاتساق ، ... ، وبحثا مظاهر الاتساق مثل : الإحالة والاستبدال ، والحذف والوصل ، والاتساق المعجمي [١]، واعتبرا الاتساق جزءاً من مفهوم اللغة ، ومفهوماً دلالياً قوامه العلاقات المعنويّة الموجودة في النص وهو في الآن نفسه ما يكون به النص نصاً .

وبعد ذلك بعام ، أعاد **فان دايك** صياغة ما تجمّع له من آراء العلماء المتفرقة ونشر كتاباً بعنوان : " النص والسياق " (Text and Context) ركّز فيه على الظواهر الدلاليّة والتداوليّة ، وبحث في مفاهيم الترابط والاتساق ومحلل الخطاب والعلاقات بين دلاليّة الخطاب و تداوليّته [٢]، وقد عَدّه بعضهم مؤسس علم اللغة النصي الذي انبثق منه نحو النص .

وجاء كتاب " النص والخطاب والإجراء " **لدى بو جراند** سنة ١٩٨٠ م يمثل مرحلة متقدّمة ، ويوضح القضايا التي عُولجت بشكل أعمق وأشمل ، وأهمّ ما امتاز به هذا الكتاب أنّه بيّن أنّ الصفة المميزة للنص هي استعماله في الاتصال وأنّ الخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة ، وبيّن معايير النصيّة لأي نص [٣]، بعد أن أقام مقارنة بين النص والجملة [٤].

ومن أهمّ الدراسات التي عدّها بعض الدارسين نقلة نوعية في نحو النص وتحليل الخطاب دراسة من تأليف **براون ويول** (G. Brown & G. Yule

---

(١)خطابي ، محمد ، لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب ، ط١ ، (الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩١م) ، ص١١

(٢)دايك ،فان، النص والسياق : استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، (ترجمة : عبدالقادر قنيني) ، ط١ ، (الدر البيضاء : أفريقيا الشرق ،٢٠٠٠م)، ص ؛وينظر : فجال، أنس محمود ، مرجع سابق ،ص٤٥

(٣)دي بوجراند، روبرت ، النص والخطاب ولإجراء ، (ترجمة : تمام حسان)، ط١، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٩٨ م) ، ص١٠٣؛وينظر : فجال، أنس محمود ، مرجع سابق ،ص٤٥

(٤)دي بوجراند، النص والخطاب ولإجراء ،ص٨٩

) وعنوانها " تحليل الخطاب " (Discourse Analysis) [١]، ويتمثل الفرق بين دراستهما وسائر المقاربات التي تناولت النص أو الخطاب في أنّهما عدا الخطاب مادة وموضوعاً وغايةً ، وقد اختزلا وظائف اللغة في وظيفتين هما نقل المعلومات والتفاعليّة [٢]، كما ركّزا اهتمامهما على المتلقي للنص أكثر من منشئه ، وجعلا تأويل المتلقي للنص من أهم عوامل انسجامه[٣].

المطلب الثالث :مهمّة نحو النص :

ازدهر هذا الفرع المعرفي الجديد في الثمانينيات من القرن الماضي ، وطُرحت في إطاره آراء عديدة ونذكر منها ما هو متباين إلى حد ما ، وأصبح الاعتماد على تصوّر موحّد أمراً صعباً ، ولكن برزت بين هذه الأطر قواسم مشتركة ؛ أنّ تلك الدراسات عالجت نصوصاً ، وكانت في معالجاتها تسعى إلى إبراز الطبيعة الكليّة للنصوص من خلال الوصف والتحليل وربط ذلك بالحاجات الاجتماعيّة[٤].

وهذه القواسم المشتركة تخللها حديث عن النتائج المرجوة من البحث النصّي ،والمهام التي يمكنه القيام بها ؛ فقد اتفقت آراء العديد ممَّن عالجوا النص وتكرّرت رؤاهم ، إذ لا يغادرون – في حديثهم عن وظائف نحو النص ومهمّاته – أمرين :

أولاً : الوصف النصّي .

---

(١)يشير فان دايك إلى أن مفهوم علم النص سمّي في المجال اللغوي الفرنسي بعلم النص (Science du Texte) ، وفي الإنجليزية بتحليل الخطاب (Discourse Analysis) ، ينظر : دايك ،تون أ. فان ، علم النص : مدخل متداخل الاختصاصات ، (ترجمة : سعيد بحيري) ، ط١، (القاهرة : دار القاهرة للكتاب ، ٢٠٠١ م)،ص١٤؛ وينظر : فجال، أنس محمود ، مرجع سابق ،ص٤٥

(٢)براوند ويول ، تحليل الخطاب ، (ترجمة : محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي)، ط١ ، (الرياض : منشورات جامعة الملك سعود ، ١٩٩٧ م) ، ص١

(٣)خطابي ، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٤٧ -٥٠؛ وينظر : فجال، أنس محمود ، مرجع سابق ،ص٤٥

(٤)أبو زنيد، نحو النص – إطار نظري ودراسات تطبيقية ،ص٣٧

ثانياً : التحليل النصّي [١].

ويشمل الوصف والتحليل مختلف العلاقات الداخليّة والخارجيّة للنص بأبنيته ومستوياته المختلفة ، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة ،وبيان التأثيرات التي تحدثها النصوص على المتلقين [٢]، كما يشملان وصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي وأشكال الاتصال وكيفيّة قيام النص بوظائفه .

فمهام نحو النص تتجاوز مهمّة علم اللغة التقليدية ، ولا تقتصر مهامه على مجرد تنظيم الحقائق اللغويّة فحسب ، ولا تقف عند المستويات اللغويّة ؛ الصوتيّة والصرفيّة والدلاليّة من خلال وصف ظواهر كل مستوى وتحليلها ، وإنما تعدّته إلى الاهتمام بالاتصال اللغوي وأطرافه وشروطه وقواعده وخواصه وآثاره ، وأشكال التفاعل ومستويات الاستخدام وأوجه التأثير التي تحققها الأشكال النصيّة في المتلقي ، وأنواع المتلقين وصور التلقي ، وانفتاح النص وتعدّد قراءاته [٣]،فهو يهدف إلى صياغة نظريّة نصيّة عامّة تشكّل الأساس لوصف شامل للأشكال النصيّة المتباينة وعلاقاتها المتبادلة يسهم بشكل فعّال مع النظريّة اللغويّة في تشكيل نظريّة عامّة للاتصال الفعلي الذي يتم عبر النص.

وهكذا فمهمّة نحو النص تنحصر أو تكاد في توضيح السمات والخواص الفرديّة وأشكال الأبنية وأنواع السياقات ومستويات اللغة ودرجات الربط النحوي والترابط الدلالي ، وتحليل الخواص المعرفيّة العامّة التي تجعل

---

(١)الفقي ، صبحي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ط١ ، (القاهرة : دار قباء للنشر ، ٢٠٠ م)، ص٥٥

(٢)فضل ، صلاح ،بلاغة الخطاب وعلم النص ، ط١، (مصر : الشركة المصرية العالمية للنشر ،١٩٩٦م)، ص ٣١٨ - ٣١٩

(٣)بحيري ، علم لغة النص ، ص١٦٢ - ١٦٣ .

من الممكن إنتاج البيانات النصيّة المعقدة في مرحلة الأداء ، وإعادة إنتاجها في مرحلة التلقي [١].

إن الاتساع المعرفي الذي يختصّ به نحو النص يجعل أداء مهمته لا يعرف الاجتزاء ، ولا يتوقف عند حد ، ولا يقبل شروطاً مسبقة ، وإنّما ينتقل من مستوى إلى مستوى آخر ، وفي إطار وحدة كليّة ، وفي صورة منظمة، بحيث يعالج ظواهر نصيّة مختلفة مثل : علاقات التماسك النحوي النصيّ، وأبنية التطابق والتراكيب المحوريّة ، والتراكيب المجتزأة ،وحالات الحذف ، والجمل المفسّرة ، والتحويل إلى الضمير ، والتنويعات التركيبيّة التي تخرج عن إطار الجملة المفردة ، والتي لا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً دقيقاً إلا من خلال وحدة النص الكليّة .

وقد حاول أحد الباحثين ترتيب خطوات هذا الأداء **بما يلي** :

أولاً : إحصاء الأدوات والروابط التي تسهم في التحليل .

ثانياً : وصف شكل النص ، وموضوعاته ، ووصف هذه الأدوات والروابط .

ثالثاً : التحليل ، بإبراز دور هذه الروابط في تحقيق التماسك النصيّ مع الاهتمام بالسياق والتواصل [٢].

وهذه المحاولة هي إحدى المحاولات المطّردة الرامية إلى وضع منهاج علمي يحدّد العلاقات النحويّة في النص ، ويدرس الترتيب ، والتنظيم مع التنبيه على أهمّ الروابط التي تسهّل على كل من المبدع والقارئ إدراك التماسك النصّي وربطه بالمستوى التداولي [٣]، الذي يصمّم دور المتلقي والموقف وهدف النص والمقام ونوع المعلومات المطروحة وأنواع التفاعل وأشكال السياقات ، وكيفيّة التواصل .

---

(١)بحيري ، مرجع سابق، ص١٤٣

(٢)الفقي ، علم اللغة النصي بين النظريّة والتطبيق ، ص٥٦

(٣)خليل ، إبراهيم ، الأسلوبية ونظرية النص ، ط١ ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩٧ م)، ص١٤٧

وبذلك يمكن لنحو النص أن يقدّم تفسيراً مقنعاً لكثير من الظواهر التي توصف بالشذوذ في قواعد اللغة ، ويمكن أن يكون معيناً على تفسيرها تفسيراً مقنعاً ، لأن نحو النص ينظر إلى النص بشكل كلي ، ولا يقف عند بنائه التركيبي إلا بقدر ما يؤثر هذا الركن البنائي في النص الكلي .

ومن مهمّات نحو النص الأخرى التي توقعها **فان دايك** : أن يمكّن من صياغة القواعد التي تمكّننا من حصر كل النصوص النحويّة في لغة ما [١] ، كما توقع دي جراند أن تؤثر مساهمات نحو النص في دراسات الترجمة لأنها أمر من أمور الأداء التي عجزت اللسانيات التقليديّة عن تقديم ما يساعدها في الترجمة الآليّة [٢].

(١)البحيري ، علم لغة النص ، ص١٥٦ -١٥٧

(٢)دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص٥٧٦

المبحث الثالث :البحث اللغوي بين نحو الجملة ونحو النص:

على الرغم من محاولات أتباع علم اللغة الاجتماعي ربط اللغة بالسياق والبعد الاجتماعي ، فقد عجز نحو الجملة عن تقديم المقتضيات المعرفيّة اللازمة لفهم اللغة بأشكالها الفاعليّة المختلفة ، ومستويات استخدامها المنتوعة بسبب وقوفه عند حدود الجملة واعتبارها البنية الكبرى في الدراسة والتحليل ، ممّا جعل تجاوز مستوى الجملة أمراً ضرورياً ؛ فثمة ظواهر لا يمكن أن توصف في إطار الجملة التي تنتقل من كونها كلاً في مرحلة عزلها عن سياقها المقالي و المقامي إلى مرحلة تكون فيها جزءاً من منظومة أكبر هي النص [١].

ولا يعني هذا – بحال من الأحوال – إلغاء ذلك التراث النحوي الضخم الذي بيّنت مفاهيمه ورسمت تصوّراته منذ قرون على أيدي أجيال متعاقبة من اللغويين أو إقصاءه، إنما هو السعي لإثراء البحث اللغوي بأدوات ووسائل جديدة في البحث والتحليل لاستكمال جوانب النقص وسدّ الثغرات في الجهود السابقة [٢]؛ فوجود البينة الكليّة العليا " النص " لا يقصي مقولات نحو الجملة ، بل على النقيض من ذلك تماماً ؛ إذ يشكّل مستوى الجملة الأساس لأي وصف تالٍ [٣]، ومنه ينطلق البحث عن عناصر توضّح منطقيّة الجمل وصلتها بالموقف التواصلي الذي يجعل من النص وحدة كليّة .

فالنص نظام شامل ؛ تتحكم بالمستوى الأول منه القواعد النحويّة والدلالية التي تحدد الترتيب الداخلي فيه ، ويتعلق ذلك بمستوى الجمل أو المتواليّات الجمليّة ؛ أمّا المستوى الثاني فيتحدد بالنظر إلى النص كاملاً بوصفه وحدة كليّة ، ويتم ذلك بتجاوز مجموع المعاني الجزئيّة التي تتحصل

---

(١)دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص ٨٩

(٢)بحيري ، علم لغة النص ، ص ١٣٣

(٣)بحيري ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩

عبر المستوى الأول [١]، حتى يتم الوصول إلى المستوى الأشمل ، وهو البينة الكبرى التي تتركب من قضايا تحيل على الوقائع نفسها .

ونحو الجملة أو اللسانيات التقليديّة يقف عند وصف الجمل وصفاً يستند إلى المكوّنات النحويّة ، أما نحو النص فيستعمل وصف الجمل كعتاد من أجل وصف النصوص ، ويمكنه أن يفيد – في ذلك – من جميع المنجزات التي حققتها الأسلوبية والبلاغة والشعرية الحديثة وإخضاعها لمفاهيم التراتيب في الأبنية الكبرى[٢]. فكل منهما – نحو الجملة ونحو النص – قائم على الآخر ، وكما أن الكلمة تتكون من الحروف والجملة تتكون من كلمات ، فإن النص يتكون من الجمل ، وكما أن الكلمة لا تقدم في الجملة إلا معنى معجمياً جزئياً ، فإن الجملة لا تقدم إلا دلالة جزئية غير مكتفية بذاتها ، ولكنه يرتكز عليها ارتكازاً شديداً [٣]؛ وليس المقام مقام مفاضلة بين نحو الجملة ونحو النص – كما قال بتوفي – فإن لكل حدوداً وأهدافاً ووسائل ، ولا خلاف في أن الجملة هي المقولة الأساسية في النظرية اللغوية ، ولكن الوحدة الأساسية للاتصال ليست الجملة بل النص [٤].

وتحليل نص ما يتطلب تصورات واسعة تشمل عناصر نحوية ودلالية ومنطقية وتداولية يحددها نوع النص ؛ إذ تتغير عناصر التحليل بتغير نموذج النص شكلاً ومضموناً ،ويتسم التحليل النصي با لدينامية الحرة في استخلاص المعايير والقيود من النص ، ولا يفرض شكلاً تحليلياً معيناً على نص من خلال تصورات مسبقة [٥]؛ لأن النص لا يخضع لقواعد معيارية مثل

(١)بحيري ، مرجع سابق ، ص ٢١٩

(٢)فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ،ص٣٤٩

(٣)الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ص٤٩

(٤)بحيري ، مرجع سابق ، ص٢٨٥

(٥)بحيري ، مرجع سابق، ص ١٤٠ -١٤١

الجملة [١].

ولكن هناك أنظاراً عامة يضعها الباحث النصي بين عينيه عند معالجة أي نص ، ومن هذه الأنظار : التماسك النصي ، و مقبولية النص و تحقيقه للتواصل .وقد ذكر محمد خطابي أن اتساق النص وانسجامه – وهما ركنا التماسك النصي - يحتلان موقعاً مركزياً في جميع الدراسات التي تبحث في تحليل الخطاب ونحو النص ، ولا نكاد نجد واحدة منها تخلو من هذين المفهومين أو من أحدهما [٢].

ميّز علماء النص بين هذين المفهومين ؛ فقد عدّوا الاتساق(Cohesion) قائماً على الصياغة ، والانسجام (Coherenco) قائماً على المضمون ، و الاتساق **كما يرى دي بوجراند** من المظاهر النحوية والانسجام من المظاهر المقبولية [٣].

ويمثل الاتساق والانسجام أهم معلمين من معالم نصية النص ، وغالباً ما يبحث اتساق النص قبل انسجامه ؛ لأنّ دراسة الاتساق هي جزء من دراسة تحقق الانسجام ، فبعض القرائن اللفظية يجعل من نص ما منسجماً كما يمكن أن يتحقق الانسجام دون وجودها ،إذ تكون عندئذٍ مظاهر الانسجام تأويلية لا لغويّة ؛ " ويقصد عادة بالاتساق : ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص خطاب ما،و يهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمّته [٤].

ومن أجل وصف اتساق الخطاب – النص - يسلك المحلل الواصف طريقة خطية ، متدرجاً من بداية النص (الجملة الثانية منه غالباً) حتى

(١)الزناد ، نسيج النص ، ص٢٠ ؛ الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ، ص١٠٢ -١٠٣
(٢)خطابي ، لسانيات النص ، ص٥
(٣)الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ، ص١٠٩
(٤)الشاوش ، مرجع سابق ،ص١٠٩

نهايته ، راصداً الضمائر والإشارات المحيلة ، إحالة قبلية أو بعدية ، مهتماً أيضاً بوسائل الربط المتنوعة كالعطف ، والاستبدال ، والحذف ، والمقارنة والاستدراك وهلمّ جراً.

أما الانسجام فهو أمر نسبي ، ولكنه أعم من الاتساق وأعمق ؛ إذ يتطلب من المتلقي الاهتمام بالعلاقات المعنوية الظاهرة والخفية [١]، ويعتمد على معرفته بالعالم الذي تحيل عليه الجملة أو الجمل ، فقد يكون النص الواحد منسجماً أو غير منسجم بحسب معرفة المتلقي بعالم النص ، وجملة المعارف الحاصلة في ذهن منشئه أو متقبله ؛ ومثل هذا الطرح يجعل من الانسجام بين القارئ والنص أكثر منه بين الأجزاء المكونة للنص ، وقد أدّى التطرف في هذا الطرح إلى دعوى موت المؤلف ، وافتراض انسجام النص مسبقاً ، واعتبار المتلقي معيداً لإنشاء النص [٢].

ويلاحظ أن باحثي نحو النص لا يختلفون حول وجوب الاهتمام بصورة ائتلاف الجمل في النص ، ولكنّهم يختلفون في نظرتهم لانسجام النص بحسب منطلقاتهم ، فالذين يركّزون على صياغة قواعد نحوية تركيبية للنص يطيلون الوقوف عند التتابع الخطي للجمل – وأبرز مثال على هؤلاء : **هاليداي ورقية حسن** في : (Cohesion in English) - ، وأما الذين يغلبون الدلالة والتأويل فيرون أن التتالي الخطي الأحادي البعد ليس مجال انسجام النص ، فمجاله تنظيم ترتيبي متعدد الأبعاد تحكمه مجموعة من الشروط ، وانسجام النص ووحدته يرتكزان على مجموعة من العناصر ، بحيث تشكل الروابط المختلفة من وسائل لغويّة وغير لغويّة تنظم عناصر العالم النصّي ، ويكون حينئذٍ انتظام جمل النص دليلاً على انتظام العناصر

(١)خطابي ، مرجع سابق ،ص٦ -٥

(٢)الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ، ص ١١١ ، ١١٣

المكونة لعالم ذلك النص [١].

وبذلك فإنّ السمة الأساسية القارة في النص هي صفة الاطراد والاستمراريّة ، وهي التي تكون بالتواصل والتتابع والترابط بين الأجزاء المكوّنة للنص [٢]، وتتمثل بما يعرف بالتماسك النصي وهو مجموعة الروابط النحويّة والدلاليّة التي تحقق الصلابة والوحدة الضروريّة اللازمة لإبراز الطابع العلمي لأي نظام تفكير [٣]،وهو ما ينضوي تحته كل من الانسجام والاتساق .

أخذ الاتساق والانسجام الحيّز الأكبر في البحث النصّي ، ولكن معالجتهما تباينت من باحث لآخر ؛ فقد عالج هاليداي ورقية حسن الاتساق بشكل مفصل في كتابهما " الاتساق في اللغة الإنجليزيّة " ، وعالج كل من **فان دايك وبراون وبول** الانسجام ومقوماته دون أن يعنوا بالتفاصيل الدقيقة للاتساق ؛ ولكن معالجاتهم أثبتت أن التماسك النصّي – الذي يبيّنه الاتساق والانسجام – ليس مجرد خاصيّة تجريديّة للأقوال ، كما أنّه لا يتحدّد على مستوى علاقات الترابط بين المتتاليات والجمل فحسب ، وإنّما عن طريق البنية الكبرى التي استند إليها هاليداي وطوّرها فان دايك .

فالأبنية الصغرى التي يمثلها كل من المتتاليات والجمل تأتي جزاء من التمثيل الدلالي الكلي الذي يحدد معنى النص باعتباره عملاً كلياً فريداً وهو البنية الكبرى ، وبدون هذه البنية الكبرى والقواعد التي تحكمها

---

(١)بحيري ، سعيد حسن ، دراسات لغوية تطبيقية في البنية والدلالة ، ط١ ، (القاهرة : مكتبة زهراء الشرق ،١٩٩٩م)،ص ٧٩ -٨٠

(٢)عبدالمجميد ،جميل ، بلاغة النص : مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، ط١، (القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ،د.ت) ص١٥

(٣)الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ص٧٣ ؛ وبحيري ، علم لغة النص ،ص١٢٠ - ١٢١ ؛ وفضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص٣٤٠

وتكمن تحتها يمكن أن ينزلق بسهولة إلى تصوّر أن التماسك النصّي مجرد رابط سطحي وخطي بين الوحدات الجزئية ، في حين نجد أن البنية الكبرى تشكل التماسك الكلي المتضمّن للاتساق والانسجام ، وتحتوي التماسك الجزئي المحلي في المستوى الكامن تحت متتاليات الجمل ؛ أي تتضمن التعالق والترابط بين الأبنية الصغرى والأبنية الكبرى [١].

فالتحليل النصي يبدأ – إذن – من البحث في تحقق البنية الكبرى فعلياً ، عن طريق الاتساق والانسجام ، وفيما يلي سنعرض موجزاً لأدوات كل من الاتساق عند **هاليداي ورقية حسن** والانسجام عند فان دايك ، وسيتم تفصيل ذلك كله خلال تطبيقه على سورة المؤمنون .

أولاً: أدوات الاتساق عند **هاليداي ورقية حسن**، ويمكن إيجازها بالشكل التالي [٢]:

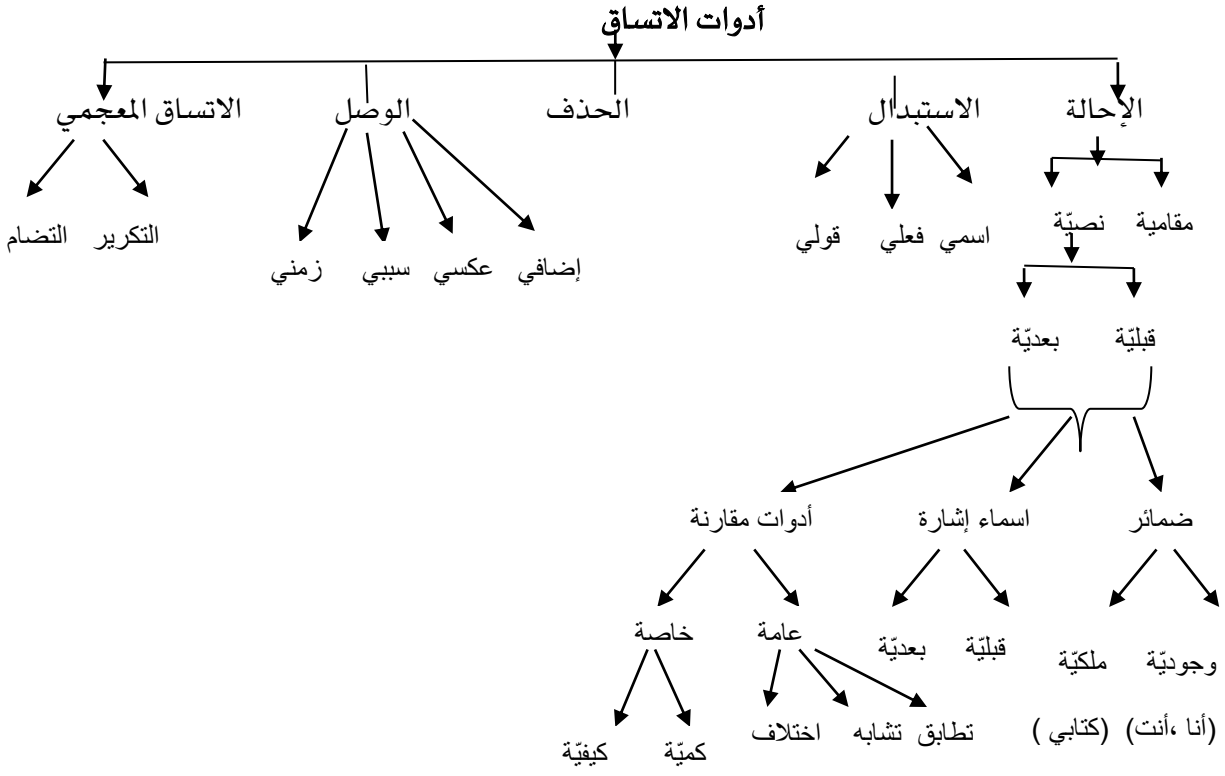

(١)فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ،ص٣٤٤

(٢)خطابي ،لسانيات النص ، ص١٦ -٢٥ ؛ والشاوش ، أصول تحليل الخطاب ،ص١٢٤ -١٥٠

ثانياً : وسائل الانسجام عند فان دايك ، وقد اختزلها محمد خطابي بما يلي [١]:

أ - تطابق الذوات ؛ مثلاً التطابق بين الاسم والضمير المحيل إليه .

ب - علاقات : التضمن ، الجزء – الكل ، والملكيّة ، مثل الغرفة جزء من البيت المملوك لشخص ما .

ج - مبدأ الحالة العاديّة المفترضة للعوالم عموماً والحالات الخاصّة للأمور أو مجرى الأحداث .

د - مفهوم الإطار ، ويرتبط بتضييق تأويلات السياق غير المرتبطة بالسياق .

هـ - التطابق الإحالي .

و - تعالق المحمولات .

ز - العلامات الرابطة بين المواضيع الجديدة ، مثل الحوار الداخلي (المنولوج) والتذكير .

ويرى **فان دايك** أن تبين وسائل الانسجام هذه يتم بالتزامن مع العلاقات التي تحكم ترتيب الوقائع في النص ،وهي :

- ❖ العام – الخاص .
- ❖ الكل – الجزء .
- ❖ المجموعة – المجموعة الفرعيّة – العنصر .
- ❖ المتضمِّن – المتضمَّن .
- ❖ الكبير – الصغير .
- ❖ الخارج – الداخل .
- ❖ المالك – المملوك .

ويعدُّ هذا الترتيب دون أن يحقق أغراضاً معيّنة سلفاً سبباً في جعل الخطاب غير منسجم [٢].

---

(١)خطابي ، لسانيات النص ، ص٧٣ ؛ دايك ، النص والسياق ، ص١٤ -١٦ ،ص١٨،ص٧٣ -٧٤ ، ٧٨ -٨٥ ، ١٤٤ -١٤٩

(٢)خطابي ، مرجع سابق ،ص٣٦ -٤٠

ولكن **براون ويول** لا يعتبران الانسجام شيئاً معطى ، أو شيئاً موجوداً في النص ينبغي البحث عنه والعثور على مجسداته ؛ إذ لا يملك النص في ذاته مقومّات انسجامه ، وإنّما المتلقي هو الذي يسند إليه هذه المقومّات ، بحيث يكون كل نص قابل للفهم والتأويل منسجماً ، وإلا فلا ؛ وهما بذلك يستندان إلى السياق ويجعلان له دوراً مزدوجاً ، فهو مرشد إلى فهم النص وتأويله ، وموجّه نحو التأويل المقصود ومحدّد له في آن واحد [١].

إن فاحص هذه الأنظار والمحاولات المختلفة يجد أن في كل منها قصوراً ، وتتجه نحو غاية تنحرف عن معالجة الموضوع بشموليّة ، وتقرب من منطلقات حدّدها أصحابها سلفاً، واتبعوا في مقارباتهم وسائل متباينة من فريق لآخر ، ولكن تضافر معطيات هذه المحاولات جميعاً ومحاولة التأليف بينها يجعل منها منهجاً شمولياً وطريقة معبّرة للتعامل مع النص وبيان أدوات تماسكه مجتمعة .

وقد حاول بعض الباحثين الإفادة من هذه المحاولات مجتمعة ، وحدّد وسائل التماسك وأدواته بالشكل التالي [٢].

أدوات التماسك النصي

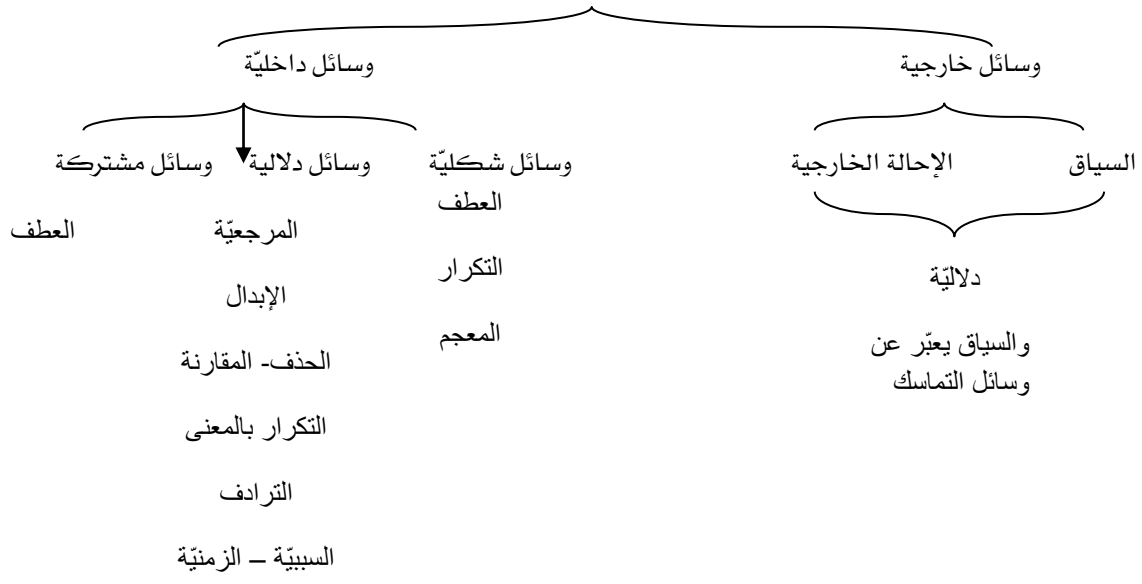

(١)خطابي ، لسانيات النص ،ص٥٢ ؛ الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ، ص١٥٣ -١٧٨

(٢)الفقي ، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ،ص١٢٠

ويبدو من هذه المقارنات أن صياغة نظريّة شاملة لنحو النص لم تتحقق بعد ، ولكن يمكن رصد العلاقات النصيّة داخلها وخارجها من خلال الاتكاء على هذه المقاربات جمعياً ، من نظريّات النقد وعلم اللغة والبلاغة وعلم الدلالة والتداوليّة واللسانيات الاجتماعيّة ومعطيات علم النفس.

الفصل الثاني :

تجليات نظرية نحو النص في التراث العربي.وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: خصائص نظرية نحو النص في التراث العربي الإسلامي.

المبحث الثاني: بين النظرة الجزيئية والنظرة الشمولية للنص.

المبحث الثالث: تجليات علم النص من خلال علم التفسير و علوم القرآن ومنها :

- المطلب الأول :الطبري في: الربط بين الجمل .
- المطلب الثاني :البقاعي في تناسب الآيات و السور .
- المطلب الثالث : السيوطي " التنظير لعلم المناسبات.

المبحث الثالث: العلاقة بين النص والسياق في المساهمات العربية .

- المطلب الأول :عند الأصوليين
- المطلب الثاني :عند البلاغين .
- المطلب الثالث: عند النحويين .
- المطلب الرابع: عند المفسرين .

المبحث الأول :خصائص نظرية نحو النص في التراث العربي الإسلامي.

إن التراث العربي الإسلامي منظومة واحدة ، تتكامل فيها المعارف وتتشابك الاختصاصات ، فهل يحق لنا بعد ذلك الحديث عن علم النص مرتبطا بعلم النحو أم بالبلاغة ، أم بالنقد ، أم بالفلسفة ، أم بعلوم القرآن والتفسير ؟ ،أم بها جميعا . فهل كان الجرجاني نحويا فقط أم بلاغيا وناقدا أيضا ؟،وهل كان حازم القرطاجني مثلا ناقدا أم بلاغيا ...؟.

يمكن تجاوز هذه التساؤلات بإبراز الجانب الغالب ،لدى كل عالم من هؤلاء لكن قبل ذلك يجب تحديد جوانب النظرة التراثية ، وهي كالتالي [1] :

١ - التراث الديني : أ - التفسير . و ب - علوم القرآن.

٢ -التراث اللغوي : أ - النظرة البلاغية . ب - النظرة النحوية .

٣ - التراث النقدي ..

فإذا كانت النظرة التراثية لا تتعدى أمورا أربعة هي : التراث الديني واللغوي و الأدبي والفلسفي ،فقد وقع الاختيار على بعض فروعها وعلى بعض أعلامها لاتساع البحث وتشعبه .

ففي التراث الديني وقع الاختيار على أهم فرعين فيه هما ، علوم القرآن وعلم التفسير حديثا وقديما . أما التراث اللغوي : فيبرز في البلاغة مثلا في شخص ابن قتيبه و الباقلاني ، أما في النقد فتتجلى جهود حازم القرطاجني .

إن المتتبع للتراث الإسلامي العربي سيجده يتميز بخصائص مختلفة منها :

- الاتساع ، والتنوع والثراء.
- تداخل الاختصاصات .

---

(١)المسدي ، عبدالسلام ، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ط٢ ، (تونس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٦م) ، ص٣٦

وهذا دليل على الغنى الفكري الذي عرفته الثقافة الإسلامية . لذلك سيجد الباحث نفسه مضطرا للكشف عن أصول لسانيات النص عند العرب ، والمسلمين في هذا المورث الإسلامي العربي الضخم ، و لن يتوقف البحث به عندما قدمته البلاغة ، والتفسير ، وأصول الفقه ، باعتبارها تمثل لسانيات النص [١] بل يمتد إلى معارف وأبحاث من نقد وفلسفة ... لأنها عرفت إرهاصات وبدايات الوعي بتجاوز حدود الجملة إلى مستوى النص كله .

المبحث الثاني :بين النظرة التجزيئية ، والنظرة الشمولية للنص :

تميزت القصيدة الجاهلية بغياب الوحدة الموضوعية ، والوحدة العضوية فكان الشاعر يرحل عبر مواضيع القصيدة ، كما يرحل في حياته ، وقامت القصيدة الجاهلية على وحدة البيت ، لا على وحدة القصيدة ، فانعكس ذلك على طبيعة النقد قديما ووظيفته، فأصبح هو الآخر ذوقيا جزئيا . ينظر إلى القصيدة الشعرية نظرة تجزيئية ، حتى إنه يحمد للبيت أن يستقلّ بمعناه فلا يتعلق بما يليه ، وبما سبقه واصطلح على هذا العيب الفني بالتضمين ، فغابت في القصيدة النظرة الشمولية للنص الشعري ، خلال القرنين الأول والثاني بصفة خاصة [٢].

أما النص القرآني ، فقد كان نصا منسجما – وإن كان انسجامه خفيا – فرغم تعدد موضوعات السورة الواحدة ، إلا أن الوحدة العضوية التي تشد كل آية إلى أختها موجودة ،ثم إن تعدد المواضيع في السورة الواحدة، له ما يبرره ويدعمه . لذلك بدأ الوعي بالنظرة الشمولية إلى النص القرآني ، وليس إلى النص الشعري ، أو الخطابي ، أو غيره ، لأن طبيعة النص فرضت

---

(١)الخطابي ، مدخل إلى انسجام الخطاب . لسانيات النص ، ص٩٥

(٢)الخلف ، نوال ، الانسجام في النص القرآني سورة النور أنموذجا – رسالة دكتورة من جامعة الجزائر ، ص١٠٣

اتجاهها في التحليل والرؤية .فالنص الشعري القديم القائم على استقلالية البيت ، فرض نظرة جزئية .

أما النص القرآني فقد فرض اتجاها آخر ونظرة أخرى ، قدمت وعيا مبكراً في البحث في انسجام وتماسك النص . معنى ذلك أن الرؤية تتأثر بطبيعة النص الداخلية قبل أن تؤثر فيها أمور خارجية تتعلق بطبيعة الحياة المعيشة وسعة الأفق المعرفي أو غيره [١].

وهنا سوف أعرض لثلاثة من علماء العرب والمسلمين كان لهم إسهام بين النظرة الشمولية للنص القرآني ، وهم : الأمام الطبري ، والأمام البقاعي ، والأمام السيوطي .

(١)الخلف ، نوال ، مرجع سابق، ص ١٠٣ -١٠٤

المبحث الثالث : تجليات علم النص من خلال علم التفسير وعلوم القرآن.

المطلب الأول : الطبري في: الربط بين الجمل .

يعد تفسير **ابن جرير الطبري** (ت ٣١٠هـ) من أشهر التفاسير بالمأثور ، لأن صاحبه كان يجتهد قدر الإمكان ألا يلجأ إلى التفسير بالرأي ، وكان يقول " القائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلا بيان رسول الله- ﷺ - وإن وافق قبله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه قائل بما لا يعلم ، وإن وافق قبله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه "[١].

كان **الطبري** مؤرخا ، وعالما باللغة ، والشعر ، فلا يخلو تفسيره من الاستشهاد بالشعر ، كما لا يخلو من مسائل إعرابية وقضايا بلاغية ، ومن القضايا التي كان يشير إليها في ثنايا تفسيره ، قضية الفصل و الوصل " وإذا كان مصطلح الفصل والوصل قد نشأ في حضن علم القراءات ، وكان الطبري ضليعا في هذا العلم وله جهود كبيرة في هذا الميدان ، فإنه من الطبيعي أن نقول – إنصافا للحقيقة – ألا تكون مادة الفصل والوصل من ابتكاراته ، إنّما وجد تراثا مبعثرا فأضاف وجمع أشتاته وضم أوصاله "[٢] .

كذلك اهتمت الدراسات البلاغية بقضايا الفصل والوصل وكان جلّ اهتمامها بعطف الجمل دون عطف المفردات ، فانصرفوا بذلك عن بلاغة التنسيق إلى بلاغة التركيب [٣]، أما التفسير فقد اهتم بهذا الشأن ، فاهتم بالعلاقات بين الكلمات والعلاقات بين الجمل بشكل ينم عن التفكير والتحليل .

---

(١)الطبري ، أبو جعفر بن جرير ، الجامع البيان ، ط ١، (د.ت)، ج ١ ،ص٥٩

(٢)دوب، رابح ، البلاغة عند المفسرين في نهاية القرن الرابع الهجري ، ط١ ، (القاهرة : دار الفجر ، ١٩٩٧م) ،ص ٤٠١

(٣)الشرقاوي ، عفت ، بلاغة العطف في القرآن الكريم ، دراسة أسلوبية ، د.ط ، (دار النهضة ، د.ت)، ص١٠٤

ويبدو إدراك الطبري للعلاقات بين الجمل من خلال جعله الوصل في المفردات مدخلاً لمعرفة الوصل في الجمل ، وقد رأى أن الوصل في الجمل على ضربين : وصل مجموع الجمل والعطف على جمل الحال ، ثم جمل الشرط المعطوفة على جمل الجزاء ثم العطف على جواب الشرط بالواو .

وجعل **الطبري** أغراض الوصل في : الوصل لأمن اللبس ، و الوصل للتمييز تشريفا ، ما نجده في قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ البقرة: ٩٨ .

ومع ذلك فقد يكون الفصل أبلغ من الوصل ، وقد يكون التناسق الداخلي للجمل أقوى من وصلها برابط . ويتحدث عن أدوات الفصل مركزا على ما يأتي :

- ضمير الفصل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأنفال: ٣٢.

ويسميه الطبري العماد في الكلام على قول الكوفيين.

- في الجملة المعترضة : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ الواقعة: ٧٥ - ٧٧

فالجملة المعترضة هي :﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ الواقعة: ٧٧ ، **كذلك ثمة اعتراضان هنا : الأول :** (لَّوْ تَعْلَمُونَ) جملة معترضة بين الصفة والموصوف .

الثاني :(وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) اعتراض بين القسم وجوابه.

- في الاستثناء المنقطع : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ البقرة: ٧٨.

يقول : ويخرج بإلا ما بعدها من ما معنى ما قبلها ومن صفته وسمي ذلك بعض علماء العربية استثناء متقطعا لانقطاع الكلام الذي يأتي بعد إلاّ عن معنى ما قبلها . وحددّ الطبري أغراض الفصل في الجمل في :

- إيضاح المعنى وبيانه .
- التفصيل بعد الإجمال .
- الاستطراد .
- الاستئناف .
- إجابة عن سؤال مقدر [١] .

ولقد كانت دراسة **الطبري** للوصل والفصل في ثنايا تفسيره ، دراسة ذكية خاصة في حديثه عن أغراضهما ، فقد عمل على تأويل الحروف الرابطة ووظائفها وهو في هذا أجدر مما قدمه فان دايك عن الفصل والو صل .

(١)رابح دوب ، البلاغة عند المفسرين ، ص ٤٠٢ -٤١٢

المطلب الثاني : البقاعي في تناسب الآيات و السور.

يعد كتاب **البقاعي** (ت ٨٨٥هـ) "نظم الدرر في تناسب الأي والسور"، من أبرز الكتب التي التفتت إلى قضايا نحو النص ، على مستوى التطبيق ، في التراث العربي ،رغم عدم إشارة الُمحْدَثين إليه ، إلا نادرا . وقد سبقه في هذا أبي بكر النيسابوري ،فقد ذكره الزركشي في "برهانه" ،فقال : " أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ بِبَغْدَادَ عِلْمَ الْمُنَاسَبَةِ وَلَمْ نَكُنْ سَمِعْنَاهُ مَنْ غَيْرِهِ هُوَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيُّ، وَكَانَ غَزِيرَ الْعِلْمِ فِي الشَّرِيعَةِ وَالْأَدَبِ، وَكَانَ يَقُولُ عَلَى الْكُرْسِيِّ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ: لِمَ جُعِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى جَنْبِ هَذِهِ؟ وَمَا الْحِكْمَةُ فِي جَعْلِ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى جَنْبِ هَذِهِ السُّورَةِ؟ وَكَانَ يُزْرِي عَلَى عُلَمَاءِ بَغْدَادَ لِعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِالْمُنَاسَبَةِ " انْتَهَى.[1] وكذلك القاضي أبو بكر بن العربي (٥٤٣هـ) ، وأبو جعفر بن الزبير (٧٠٨هـ) في كتابه " البرهان في تناسب سور القرآن " وقد نقل عنه البقاعي كثيراً ، وأبو الحسن الحراليِّ المغربي (٦٣٨ هـ) ، قال عنه المناوي في " الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية " (وصنف تفسيراً ملأه بحقائقه ، ودقائق فكره ، ونتائج قريحته ، وأبدى فيه من مناسبات الآي والسور ما يبهر العقول ، وتحار فيه الفحول ، وهو رأس مال البقاعي ، ولولاه ما راح ولاجاء ، لكنه لم يتم ، ومن حيث وقف ، وقف البقاعي في مناسباته) [2].وقد عرف عنه في مضمار الربط بين الجمل ، في المتتالية النصية ، سواء على مستوى ربط السورة الواحدة ، أو ربط السور المتتالية ، والمتباعدة ، حتى إنه ربط سورة الناس بالفاتحة ، وما بعدها ، ولم يأل جهدا في ربط ما بينهما ، وهذا ينفي دعوى سعيد حوى ، في أنه غير مسبوق ،ادّعى رحمه الله في " الأساس في التفسير " أنه قدم لأول مرة نظرية جديدة في موضوع الوحدة القرآنية فضلاً عن وحدة السورة وإبراز سياقها الخاص ، الذي

---

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج١ ، د.ط ،(دار المعرفة ، ١٩٩٠م) ،ص٦٢

(٢) المناوي ، الكواكب الدرة في السادة الصوفية ،ج١ ،ص١٢٢

أعطى لكل سورة آفاق جديدة ..[١] ،وأن **البقاعي** قد جهد لربط السورة الواحدة ، دون ربط السور ببعضها ؛ إذ يقول البقاعي في حديثه عن سورة الناس " ومقصود هذه السورة ، معلول لمقصود الفاتحة ، الذي هو المراقبة ، وهي شاملة لجميع علوم القرآن ، التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان ، ببراعة الختام ، وفذلكة النظام ، كما كانت الفاتحة شاملة لذلك ، لأنها براعة الاستهلال ، ورعاية الجلال والجمال ، فقد اتصل الآخر بالأول ، اتصال العلة بالمعلول ، والدليل بالمدلول ،والمثل بالممثول " [٢].

وللبقاعي رحمه الله كتاباً آخر هو تمهيد لكتابة النفيس " نظم الدرر في تناسب الأي والسور " والكتاب موسوم بـ " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور " .

وقد ركز في تفسيره ، على ربط الجمل بعضها ببعض ، أكثر من عنايته بربط الجملة فيما بينها من عناصر، ولم يكن ذلك إنكارا منه لوجود الرابط ؛ بل لأنه قرر ، أنه أسهل تناولا من نظيره ؛ أي أسهل من ربط الجملة بالجملة ، فيقول :" وهذا العلم – يقصد علم المناسبات – يكشف أن للإعجاز طريقتين : أحدهما [٣]نظم كل جملة عل حيالها بحسب التركيب ، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب ، والأول أقرب تناولا "[٤].

ويقول في توضيح الفكرة الثانية : " والذي نبغي في كل آية ،أن يبحث أول كل شيء ، عن كونها تكملة لما قبلها ، أو مستقلة ، ثم المستقلة ، ما وجه مناسبتها لما قبلها "[٥].

---

(١)حوى ، سعيد ، الأساس في التفسير ، مج ١، ص٢١

(٢)البقاعي ، برهان الدين ، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، مج ٨ ،د. ط، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ)، ص٦١١

(٣)هكذا اللفظ في "نظم الدرر في تناسق الآي والسور "والأصل أن يقال : طريقتين إحداهما ...

(٤)البقاعي ، مرجع سابق، مج ١ ، ص٧

(٥)البقاعي ، مرجع سابق ، مج ١ ، ص٦

ويعلن أن الأسلوب هو الترتيب المخصوص في نظم الآي ، فيقول متبنيا ما نقله الأصفهاني [١] -صاحب تفسير " أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية "توفي سنة ٧٤٩ هـ - من رأي **الرازي** ، في سورة البقرة : " ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة – يقصد البقرة – وفي بدائع ترتيبها ، علم أن القرآن ، كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه ، وشرف معانيه ، فهو أيضاً بسبب ترتيبه ، ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا : معجز بسبب أسلوبه ، أرادوا ذلك "[٢].

ويؤكد – كما أكد **الجرجاني** ، في دلائله – أن المفسرين قصروا عن هذا الباب ؛ لدقة مداخله ، فيقول : " إلا رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف ، غير منتبهين لهذه الأسرار ، وليس الأمر في هذا الباب ، إلا كما قيل (البسيط):

والنجمُ تصغرُ في الأبصارِ صورتهُ فالذَّنبُ للطَّرفِ لا للنَّجْمِ في الصِّغرِ [٣]

ويرى أن هذا العمل ليس عبثا ، بل له ثمرة وفائدة ؛ إذ يقول : " وثمرته – أي علم المناسبات – الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء ، بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق ، الذي هو كلحمة النسب ، فعلم مناسبات القرآن ، علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه ، وهو سر البلاغة ؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني ، لما اقتضاه الحال "[٤].

ويحدد **البقاعي** طرق الوصول إلى تعلم هذا العلم ، فيقول : " وتتوقف الإجادة فيه ، على معرفة مقصود السورة ، المطلوب ذلك فيها ، ويفيد ذلك ، معرفة المقصود من جميع جملها ؛ ولذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة ، وكانت نسبته إلى علم التفسير ، نسبة علم البيان من النحو "[٥].

---

(١) أبو الثناء شمس الدين محمود بن عبدالرحمن الأصفهاني .

(٢) البقاعي ، مرجع سابق ، مج ١ ، ص٦

(٣)البقاعي ، مرجع سابق ، مج ١ ، ص٦ -٧

(٤)البقاعي ، مرجع سابق، مج ١ ، ص٥

(٥)البقاعي ، مرجع سابق، مج ١ ، ص٥

وينقل البقاعي في بداية سورة الفاتحة ، عن شيخه [١] منهجه العملي في هذا العلم ، فيقول : " الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن ، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض ، من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات ، في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات ، إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع ، إلى الأحكام ، واللوازم التابعة له ، التي تقتضي البلاغة شفاء العليل ، يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها . فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، وإذا فعلته تبين لك –إن شاء الله – وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة ، والله الهادي "[٢].

والعمل الذي حاوله البقاعي ، في هذا السفر ، حاوله قبله نفر من علماء العربية ، ولكن مع فارق أن أولئك ، كانوا يتحدثون بالمسألة ، كلما عنّ لهم شيء من تلك التناسبات ، ولكن البقاعي – غير مسبوق – ألزم نفسه بمنهج ثابت ؛ إذ حاول أن يربط كل سورة ، بما قبلها وبما بعدها من السور ، وكل آية بما قبلها وبما بعدها أيضا ، كما أسلفت . وهذا منهج كان يستعمله المفسرون ، عندما تكون حاجة ماسة ، إلى مثل هذا الربط – من وجهة نظرهم – أو عندما يسألون عن علة مثل هذا الترتيب ، في القرآن ولكنهم – غالبا - كانوا ينصرفون عن مثل هذا المنهج في جل أعمالهم ، منشغلين في تفسير النص آية آية ، أو جملة جملة ، وفي أقصى اعتبار موضوعات منفصلة ، دون الولوج إلى عوالم النص الداخلية ؛ لإحكام أجزائه بعضها ببعض – إن ترابط الفقرات مع بعضها بعضا ، فقد قدم في سورة

(١)هو محمد بن محمد بن المغربي البجائي المالكي صاحب شرح جمل الخونجي في المنطق توفي سنة ٨٦٥ هجرية .

(٢) البقاعي ،نظم الدرر في تناسق الآي والسور ، مج ١،ص١١

البقرة هذا الترابط بقوله " وإن شئت قلت : مقصود هذه السورة وصف الكتاب فقط وما عدا ذلك فتوابع ولوازم "(١).

وقد تنبه إلى عمل مبدأ الضدية في تناسب الآيات فقال :" ولما أردف البيان لأوصاف المؤمنين التعريف بأحوال الكافرين ... في معرض الجواب لسؤال من كأنه قال:هذا حال الكتاب للمؤمنين فما حاله للكافرين ؟ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴿٦﴾ ﴾ البقرة: ٦ أي حكم بكفرهم ... وداموا على ذلك بما دل عليه السياق بالتعبير عن أضدادهم ... ولما دل هذا الحال على أنهم عملوا ضد ما عمله المؤمنون من الانقياد كان المعنى لقوله تعالى :﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ ﴾ البقرة: ٦ "(٢).

وتنبه إلى الانتقال بين الكلي والجزئي وحسن التقسيم فقال :" ولما افتتح سبحانه بالذين و اطأت قلوبهم ألسنتهم في الإيمان وثنى بالمجاهرين من الكافرين الذين طابق إعلانهم إسرارهم في الكفران اتبعه ذكر المساترين الذين ألسنتهم خالفت قلوبهم في الإذعان وهم المنافقون ... أي لما أرسلنا رسولنا انقسم الناس قسمين : مؤمن وكافر وانقسم الكافر قسمين : فمنهم من جاهر وقال : لا نؤمن أبدا ، ..."(٣).

و أدرك أثر المعادل للموضوع حين يكون محسوسا على ملموس فقال :" فلما علم ذلك كله وكانت الأمثال ألصق بالبال وأكشف للأحوال مثل حالهم في هداهم الذي باعوه بالضلالة بالأمور المحسوسة لأن التمثيل بها شأن عظيم في إيصال المعاني إلى الأذهان الجامدة وتقريرها فيها "(٤).

وتنبه إلى حسن التهيئة والقديم قبل الولوج إلى غاية الخطاب ومراده فقال : " ولما ثبت بهذا البيان عما للكافرين بقسميهم من الشقاوة مع تمام

---

(١)البقاعي ، مرجع سابق ، مج ١ ،ص٣٢

(٢)البقاعي ، مرجع سابق، مج ١ ،ص٣٧

(٣)البقاعي ، مرجع سابق ، مج ١ ،ص٣٩

(٤)البقاعي ، مرجع سابق، مج ١ ،ص٤٨

القدرة شمول العلم المستلزمان للوحدانية أنتج قطعا إفراده بالعبادة الموجبة للسعادة المضمنة بـ"إياك نعبد" فوصل بذلك قوله مقبلا عليهم بعد الإعراض عنهم عند التقسيم إيذانا بأنهم صاروا بما تقدم من ضرب الأمثال وغيرها من حيز المتأهل للخطاب من غير واسطة تنشيطا لهم في عبادته وترغيبا وتحريكا إلى رفع أنفسهم بإقبال الملك الأعظم عن الخضوع لمن هو دونه بل دونهم و بشارة لمن أقبل عليه بعد أن كان معرضا عنه بدوام الترقية ..."[١] ثم نقل عن الحرالي قوله : " اعلم أنه كما اشتمل على القرآن كلّه فاتحة الكتاب فكذلك أيضا جعل لكل سورة ترجمة جامعة تحتوي على جميع مثاني آيها وخاتمة تلتئم وتنتظم بترجمتها ، ولذلك تترجم السور عدة سور .... "[٢].

وذكر العطف على محذوف مفهوم من النص فقال :" ولما ذكر ما لهم ترهيبا أتبعه ما للمؤمنين ترغيبا فقال صارفا وجه الخطاب بالرحمة إلى نبي الرحمة ﷺ عاطفا على ما تقديره : فأنذرهم بذلك ولكنه طواه لأن السياق للاستعطاف "[٣] .

وتنبه إلى السبب والنتيجة فقال : " فلو ترك التمثيل بها (الأمثال) لذلك لا نسد ذلك الباب الذي هو من أعجب العجاب فقال تعالى على طريق الاستنتاج من المقدمات المسلمات : إن اللّه لا يستحي ...."[٤].

ربما هذا كله يومئ بوجود مجموعة من المبادئ العامة في ذهن البقاعي تحكم النص في تعلق فقراته بعضها ببعض منها مبدأ التضاد ، ومنها التقديم للخطاب وختمه الداخل في مبدأ حسن التقسيم ، ومنها مبدأ الموضوع ومعادله ، ومنها مبدأ الاستنتاج من المقدمات ، ومنها مبدأ العطف على السياق ، ومنها مبدأ الانتقال بين الكل والجزء ، وجعل ذلك مبدأ التبع والملازمة .

---

(١)البقاعي ، مرجع سابق، مج ١،ص٥٣

(٢)البقاعي ، مرجع سابق، مج ١،ص٥٤

(٣)البقاعي ، مرجع سابق، مج ١،ص٧١

(٤)البقاعي ، مرجع سابق، مج ١،ص٧٥

وتجدر الملاحظة أن البقاعي لم يستطع – رغم منهجيته التطبيقية العلمية في الوصول إلى المعنى أو الحكم ، من خلال تتبع الجمل المتتالية ، وصولا إلى رابط معنوي بينها ؛ أي من خلال منهجية لغوية خالصة – تجاوز معرفة العالم ؛ كتخصيص اللفظ العام لغة ، بالرجوع إلى السنة أو السيرة أو التاريخ ؛أي لم يستطع تجاوز الأحكام المبثوثة في كتب التفسير التي سبقته ، وأبرز ما يؤكد هذا حديثه في تأويل قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة [١].

وسنثبت ، تاليا ، أسماء بعض الكتب ، التي عنيت بفكرة الربط ، أو وحدة النص ، مما اطلع عليه البقاعي ، وأفاد منه [٢] وهذه الكتب ، هي :

- كتاب : سراج المريدين لأبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ).
- كتاب : مفاتيح الغيب ، المعروف بالتفسير الكبير، للأمام .فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) .
- كتاب: مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل ، والعروة ،والتوشية والتوفية ،لأبي الحسن ، علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي المغربي (ت ٦٣٧هـ) .
- تفسير :التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني السميع البصير ،لابن النقيب الحنفي (ت٦٩٨ هـ)
- كتاب :البرهان في ترتيب سور القرآن ، لأبي جعفر ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ)، شيخ أبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)
- كتاب: تفسير " أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية "، شمس الدين ، محمود الأصفهاني (ت٧٤٩هـ).

---

(١)البقاعي ، مرجع سابق ، مج ١،ص٨٦ -١١٤

(٢)ذكرت هذه الكتب لسببين ، الأول : الإشارة إلى أن البقاعي لم يكن تفاحة مجنونة على ما يقال ... أو طفرة في التفاته إلى هذه الفكرة ، والثاني : الإشارة إلى أن الالتفات إلى جهد البقاعي التفات إلى هذه الجهود السابقة بالضرورة.

- كتاب: مصاعد النظر في الأشراف على مقاصد السور ، للبقاعي، برهان الدين (٨٨٥هـ).
- كتاب : البرهان في علوم القرآن ،لبدر الدين ، محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤ هـ)

وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة –كتاب مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل ، والعروة ،والتوشية والتوفية ،لأبي الحسن ، علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي المغربي ، وتفسير التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني السميع البصير ،لابن النقيب الحنفي ،وتفسير " أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية "، شمس الدين ، محمود الأصفهاني ،تعد أكثر الكتب ظهورا ، في سفر البقاعي ، مما يعني : أنها كانت تحمل الفكرة التي دار حولها البقاعي أكثر من غيرها .

المطلب الثالث : السيوطي " التنظير لعلم المناسبات.

يرأى د.صبحي إبراهيم إن من أهم العوامل التي تسهم في تحقيق التماسك النصي [١]، اقترب مفهوم المناسبة بين الآيات والسور من مفهوم الانسجام وليس المناسبة،فلا بد البحث في هذه العوامل التي تسهم في تحقيق ذلك .

وبعبارة أخرى فإن البحث في انسجام النص القرآني يضطلع به علم المناسبة الذي يجعل للمسلمين والعرب السبق في إدراك علم النص ، وفي تحليل على مستوى يتجاوز حدود الجملة الضيقة .

ويعد كتاب (الإتقان في علوم القرآن) **لجلال الدين السيوطي** (ت ٩١١) من أهم الكتب في علوم القرآن التي تناولت علم المناسبة تناولا تنظيريا ، بعدما أفرد لهذا العلم فصولا خاصة به ، وعليه ، فالسيوطي أسهم مع الزركشي في هذا الجانب ،فلا غرور بعد ذلك إذا عددنا الزركشي و السيوطي من كبار منظري علم النص في التراث الإسلامي والعربي .

ومن المعلوم أن **السيوطي** كان مقلدا ومتبعا أكثر ممّا كان مبدعا ، يبدو تأثره بالزركشي وبالبقاعي واضحا ، فإنه يحمد له حسن الترتيب والتصنيف . وقد استفاد السيوطي من الدراسات القرآنية وكتب التفسير التي تناولت علم المناسبة تناولا تطبيقيا ، وقام بوضع الأسس النظرية لهذا العلم وشاركه الزركشي في ذلك.

بدأ **السيوطي** بذكر أهم المؤلفات والآراء التي تناولت علم المناسبة ، ثم انتقل إلى ضبط المفاهيم والمصطلحات ، ومادة البحث ومنهجه ، ولن يبتعد التنظير لأي علم عن هذه الأمور :

---

(١)صبحي إبراهيم ، علم اللغة النصي، ص١٠١

- ضبط المفاهيم .
- ضبط المنهج .
- تحديد موضوع البحث .
- الاتكاء على مؤلفات سابقة للتنظير .

يقول **السيوطي** : " المناسبة في اللغة المشاكلة ومرجعها في الآيات ، ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي ، أو حسي ،أو خيالي ، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني ، كالسبب والمسبب ، والعلة ، والمعلول ، والنظيرين والضدين ونحوه "[١] .

يحدد **السيوطي** وقبله **الزركشي** أنواع العلاقات التي تربط بين السور ، والآيات جاعلا إياها في :

- رابط عام أو خاص ،أي الانتقال من الجزء إلى العام أو العكس .
- رابط عقلي أو حسي أو خيالي ... وهذه العلاقات لا تختلف في الكثير من تفاصليها عما حدده " فان دايك " في دراساته .
- التلازم الذهني : السبب والمسبب .

  العلة والمعلول .

  النظيرين .

  الضدين [٢] .

قد تكون هذه العلاقات واضحة بين الآيات والسور ، خاصة إذا كانت على وجه التأكيد ، أو التفسير أو الاعتراض أو البدل ، وقد تكون خفية يكشف الارتباط بينها من خلال قرائن معنوية كالتضاد ، والاستطراد ، وحسن التخلص .

---

(١)السيوطي ، ، الإتقان في علوم القرآن ،تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج١ ، د.ط، (القاهرة :دار التراث، د.ت) ص١٠٨

(٢)السيوطي ، مرجع سابق ، ج ١ ،ص١٠٨

ولا يخلو تنظير السيوطي من تقديم أمثلة تطبيقية من الآيات والسور تدعم أفكاره وتؤكدها ، يقول مثلاً : " ... وبهذا يظهر أن ما في سورتي الأعراف والشعراء من باب الاستطراد لا التخلص لعوده في الأعراف إلى قصة موسى "[١].

بقوله تعالى: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٩ ، وفي الشعراء إلى ذكر الأنبياء والأمم.

ولا يعني ذلك أن السيوطي لم يهتم إلاّ بالعلاقات المعنوية ، ونفي العلاقات الأخرى بل إن إدراك السيوطي بطبيعة الروابط وأنواعها ، جعله يقف على روابط شكلية وأسلوبية وصوتية وتركيبية أيضا .

تبدو العلاقات الأسلوبية ، والصوتية خاصة بين فواتح السور وخواتمها ، أو ما سمّاه **السيوطي** مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع :

" ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها حتى إن منها ما يظهر تعلقها به لفظا كما في (فجعلهم كعصف مأكول)(لإيلاف قريش)"[٢].

كما يبدو التناغم الصوتي ، والانسجام الصوتي بين سورتي المسد وسورة الإخلاص ، حيث تنهي سورة المسد بالدال لتكون الفاصلة في السورة الموالية ، سورة الإخلاص .

ويقدم **السيوطي** تفسيرا لافتتاح بعض السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحد بما بدئت به ، وذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها ، فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له كسورة ق بدئت لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف [٣].

ومن العلاقات الشكلية ما يبدو واضحا بين السور ، فإنما سميت السور السبع حم على الاشتراك في الاسم لما بينهن من المتشاكل الذي اختصت

---

(١)السيوطي ، مرجع سابق ، ج ١ ،ص١١٠

(٢)السيوطي ، مرجع سابق ، ج ١ ،ص١١١

(٣)السيوطي ، مرجع سابق ، ج ١ ،ص١١٤

به ، وهو أن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظم [١].

ويقدم السيوطي أمثلة على طوال من السور والآيات التي تجعل النص منسجما متلاحما كما يقدم الأمر الكلي لمعرفة ذلك :

- معرفة الغرض الذي سيقت له السورة ، أي هدف النص بتعبير "ج – م – آدام " .
- ربط المقدمات بذلك الغرض .
- مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب .
- استشراق الأحكام واللوازم التابعة للمطلوب.
- الوقوف عليها .[٢]

أي أنّ هناك خطوات يجب أن تراعى قبل الوصول إلى معرفة العلاقات بين السور والآيات : أهمها معرفة غرض السورة ، ولذلك من المفيد الاطلاع على أسباب النزول قبل معرفة أسباب الترتيب .

إن تجديد السيوطي للروابط شكلية كانت أم معنوية جعله يقترب مما قدّمه " فان دايك " من تحليل على المستويين الصوري ، و الدلالي ، للوصول في الأخير إلى انسجام النص .

(١)السيوطي ، مرجع سابق ، ج ١ ،ص١١٤

(٢)السيوطي ، مرجع سابق ، ج ١ ،ص١١٠

المبحث الرابع : العلاقة بين النص والسياق في المساهمات العربية.

المطلب الأول : عند الأصوليين :

المسألة الأولى :الشافعي (٢٠٤هـ):

فالإمام الشافعي أسبق من الشاطبي في هذا المجال ، والإمام أبو حامد الغزالي كذلك ..

فقد تنبه الإمام الشافعي إلى أهمية النظرة الكلية (للنص) للوصول إلى معانيه الحقيقية ودلالاته الصحيحة ، قال : " إنما خاطب الله بكتابة العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها ، وكان ممّا تعرف من معانيها اتساعُ لسانها .وأن فطرته أن يُخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يرادُ به العامُّ الظاهر ، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره. وعاماً ظاهراً يرادُ به العامُّ ويدخله الخاصّ ، فيستدلُّ على هذا ببعض ما خوطب به فيه ، وعاماًّ ظاهراً يراد به الخاص . وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غيرُ ظاهره . فكلُّ هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره .

ونبتدئ الشيء من كلامها يُبين أول لفظها فيه عن آخره ، ونبتدئ الشيء يُبين آخر لفظها منه عن أوله وتكلَّمُ بالشيء تُعَرِّفُه بالمعنى، دون الإيضاح باللفظ، كما تعرِّف الإشارةُ، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها، لانفراد أهل علمها به، دون أهل جَهَالتها. وتسمِّي الشيءَ الواحد بالأسماء الكثيرة، وتُسمي بالاسم الواحد المعانيَ الكثيرة."[١]

(١) الشافعي ، الرسالة ،(تحقيق :أحمد محمد شاكر)،ط ١ ، (دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)،ص٥١ -٥٢

المسألة الثانية :الشاطبي (٧٩٠هـ):

كان الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) ،فقيها وفيلسوفاً ، عاش بغرناطة وتوفي هناك ، وكان معاصراً لأعلام ثلاثة : لسان الدين بن الخطيب ، وابن خلدون ، وابن القباب في عهد الانحطاط السياسي والانتعاش الثقافي . ألف كتابه (الموافقات) للتعريف بعلم مقاصد الشريعة ، فالكتاب وسيلة إلى فقه الاستنباط وتشخيص علم المقاصد ، وفقه في الدين ، ومثال متميز في الاستقراء الكلي ، وعلم متكامل بنظام الشريعة وأسس التشريع ومقاصده في مصالح العباد في الداريين [١] .

تحدث الشاطبي عن العلاقة بين النص والسياق ، فيقول في " الموافقات" له :" لابد لفهم السورة على وجهها الصحيح من دراستها كلَّها إجمالاً، وردّ أولها إلى أخرها ، وأخرها إلى أولها ، فإنها وأن اشتملت على قضايا متعدّدة لكنها نازلة لهدف واحد ، وتندرج تحت مقصد واحد ، فاعتبار جهة النظم مثلاً في السورة لا يتمُّ به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود ، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما ، لا يفيد إلاّ بعد كمال النظر في جميعها . فسورة البقرة مثلاً كلام واحدُ باعتبار النظم ، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بُث فيها ، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب ، ومنها ما هو كالموعد والمتممّ أو منها ما هو المقصود في الإنزال ، وذلك تقدير الأحكام على تفاصيل الأبواب ، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك ". [٢]

---

(١) الشاطبي ، الموافقات ،ج١ ، ص ط من المقدمة .

(٢) الشاطبي ، الموافقات ،ج٣ ،ص ٤١٤ -٤١٥

المطلب الثاني: عند البلاغيين

المسألة الأولى : ابن قتيبة والنظرة البلاغية:

ذكر **ابن قتيبة** (٢١٣ - ٢٧٦) في كتابة تأويل مشكل[١] القرآن الذي ألفه في القرن الثالث الهجري ، فهدف الكتاب كان واضحا ومحددا من البداية هو الرد على الملحدين الذين يريدون الطعن في القرآن فقد قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾

آل عمران: ٧

يقول **ابن قتيبة** : " فأحببت أن أنصح عن كتاب الله ، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة والبراهين البينة ، وأكشف للناس ما يلبسون "[٢].

لذلك بدأ **ابن قتيبة** كتابة بسرد ما يقوله الطاعنون عن كتاب الله ، ثم عقد أبوابا للرد عليهم في وجوه القراءات ، وفيما ادعى على القرآن من اللحن ، والتناقض والاختلاف والمتشابه ثم ينتقل إلى المجاز وأبوابه . لأنه أكثر ما يقرب منه الطاعنون : " ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريض والإفصاح والكناية "[٣].

يبدأ **ابن قتيبة** بتقديم حجج هؤلاء ، ثم يقوم بدحضها ، وكثيرا ما يستدل بالأحاديث النبوية الشريفة ، والشعر أيضا ، ثم ينتقل إلى عرض حججه بمنهج واضح وبموضوعية تجعل **ابن قتيبة** يخطو الخطوة الأولى للدرس العلمي في تراثنا العربي الإسلامي ،و أكثر من هذا استطاع ابن قتيبة

---

(١)المشكل من أشكل ،أي دخل في شكل غيره فأشبهه و شاكله ، كما يورد ذلك ابن قتيبة في كتابة وهو يتحدث عن المشابه ص ١٠٢

(٢)ابن قتيبة ، أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ،شرح ونثر السيد أحمد صقر ، ط ٣ ، (المدينة المنورة : المكتبة العلمية ، ١٩٧١م)، ص ٢٠

(٣)ابن قتيبة ، مرجع سابق ، ص٢٠

أن يقدم دراسة للنص القرآني تقترب في الكثير من الأحيان مما يعرفه علم النص حديثا ، **يتجلى ذلك في ما يلي** :

١ - النظرة الشاملة للنص القرآني كله ، فلا يقدم موقفه إلاّ بعد عرض مختلف الآيات الواردة ، من ذلك في باب تكرار الكلام والزيادة فيه ،مثل واو النسق : قد تزداد حتى يكون الكلام كأنه لا جواب له كقوله تعالى :﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ الزمر: ٧٣ . والمعنى قال لهم خزنتها ، وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ يوسف: ١٥.

وقوله تعالى :﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الصافات: ١٠٣ ، وغيرها من الآيات .

فابن قتيبة كان يعرض مختلف السياقات التي وردت فيه الواو زائدة ، وهو بهذا يفرق بين واو ، كأداة ربط والواو غير الرابطة ، فابن قتيبة كان يهتم بدور أدوات الربط في اتساق النص .

٢ - حديثة عن التكرار والحذف في القرآن الكريم : من ذلك أن يأتي بالكلام مبينا أن له جوابا ، فيحذف الجواب اختصارا لعلم المخاطب به ، ويمنحه بعدا تداوليا كقوله تعالى :﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ النور: ٢٠، أراد لعذبكم ، فحذف[1] لعلم المتلقي بذلك ، فهو يولي اهتماما بدور المتلقي في الربط بين الآيات " وقد حذفت العرب الجملة ، والمفردة ، والحرف ، والحركة وليس من ذلك إلاّ حيث يرد دليل عليه ، وإلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفيه "[2].

---

(١)ابن قتيبة ، مرجع سابق ، ص٢١٣

(٢)ابن جني ، أبو الفتح عثمان ،الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، ط٢، (المكتبة العلمية ،د.ت) ،ج ٢ ،ص٣٦٠

٣ - انسجام القضايا الواردة في النص القرآني :ليبدو ذلك واضحا وهو يرد على من ادعى على القرآن التناقض والاختلاف ، يقول : " فأما التناقض في مثل ذلك قوله تعالى :﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾ الرحمن: ٣٩ ، وهو يقول في موضع آخر ،قَالَ تَعَالَى:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الحجر: ٩٢ – ٩٣ فالجواب في ذلك : أن القيامة تكون كما قال الله تعالى ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾ المعارج: ٤ ،ففي مثل هذا اليوم يُسألون وفيه لا يَسألون ... "[١].

من أهم القضايا التي طرحها **ابن قتيبة** في كتابة إذن قضية انسجام النص القرآني التي تنظر إلى السور ، والآيات المتباعدة نظرة موحدة متآلفة ، وكانت هذه القضية قضية خطابية نصية ، كان من الممكن أن يترتب عنها تنظير في نسق النص ،غير أن النقاش البلاغي حولها وقف عند حدود الكلام [٢].فلو اتسع البحث في هذه المسألة ، لجعل البلاغة العربية تعرف درساً آخر ولكانت البحوث اللسانية الحديثة على غير ما هي عليه الآن.

ولا يعني ذلك أن **ابن قتيبة** كان رائداً في طرح كل القضايا الواردة في كتابة فقد تأثر بالجاحظ وبغيره ، ولكن تأثيره في غيره أكبر ، كتأثيره في البلاغيين : الرماني والخطابي و الباقلاني الذين استطاعوا أن يكشفوا في النص القرآني مكامن الابداع وخصوصيته ، ويتوصلوا إلى مفاهيم جمالية جديدة .

المسألة الثانية : الباقلاني :

كان **الباقلاني** (ت٤٠٤ هـ) سنيا أشعريا ، بل من أبرز متكلمي أهل السنة ، ألف العديد من الكتب ، واهتم بالرد على المعتزلة ، وإبطال آرائهم وحججهم ، ومن أشهر كتبه " إعجاز القرآن " وكان هدف الكتاب ، كما

---

(١)ابن جني ،مرجع سابق ،ص٦٥

(٢)العمري ،محمد ،البلاغة العربية ، أصولها وامتدادها ، د.ط، (الدار البيضاء :أفريقيا الشرق ،١٩٩٩م)،ص١٤٥

هو واضح من العنوان الوقوف على سر إعجاز القرآن ، لكن ما لبث أن تحول إلى البحث في قضايا بلاغية نصية **متكئا في ذلك على دعامتين** :

الأولى : الاعتماد على الحجاج المنطقي ، والأسلوب الإقناعي ، حتى إنه كثيرا ما يلجأ إلى المقارنة بين النص القرآني ، وبين النص الشعري ، وإلى تقديم بعض الآراء حول القرآن الكريم ثم دحضها .

والثانية: الاعتماد على الأدلة المنقولة من القرآن والسنة والأخبار الواردة عن الصحابة والتابعين ، قبل أن يلجأ إلى المنقولة من الأدلة العقلية ، ليكون اللقاء بين العقل والنقل .

وكثيراً ما يلجأ **الباقلاني** إلى أسلوب الحوار ، والجدل . يقول : " إن قال قائل بينوا لنا ما الذي وقع التحدي إليه: أهو الحروف المنظومة أو الكلام القائم بالذات ، أو غير ذلك؟ قيل :الذي تحداهم به أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن منظومة كنظمها متتابعة كتتابعها ، مطردة كاطرادها ولم يتحدهم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم الذي لا مثل له ، وإن كان كذلك فالتحدي واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة التي هي عبارة عن كلام الله تعالى في نظمها وتأليفها، وهي حكاية لكلامه ودلالات عليه وأمارات له على أن يكونوا مستأنفين لذلك لا حاكين بما أتى النبي ﷺ ، ولا يجب أن يقدر مقدر أو يظن ظان أنا حين قلنا إن القرآن معجز وإنه تحداهم إلى أن يأتوا بمثله – أردنا غير ما فسرناه من العبارات عن الكلام القديم، القائم بالذات ، وقد بينا قبل هذا أنه لم يكن ذلك معجزاً لكونه عبارة عن الكلام القديم لأن التوراة والإنجيل عبارة عن الكلام القديم وليس بذلك بمعجز في النظم والتأليف وكذلك مادون الآية – كاللفظه – عبارة عن كلامه وليست بمنفردها بمعجزة ...."[1] .

---

(١)الباقلاني ، القاضي أبي بكر، إعجاز القرآن ، د.ط ،(بيروت : المكتبة الثقافية ، ١٩٧٣م) ، ج١ ،ص١٥٨

ويرى **الباقلاني** أن القرآن معجز في أسلوبه ، ويوّظف مصطلح الأسلوب بمعنى لا يختلف عما تعرفه الدراسات الأسلوبية ، واللسانية الحديثة ، والأجمل من ذلك أنه يربط بين أسلوب القرآن وانسجامه ، بحيث يرى أن إعجازه يكمن في تفرد أسلوبه ، وفي سيره على نمط متجانس ، دونما اختلال أو اضطراب أو تفاوت بين سورة وسورة ، أو آية وآية ، أو موضوع وموضوع [١] .

وكثيراً ما ينظر **الباقلاني** إلى أسلوب القرآن نظرة شاملة ، ويجعله يضم الفواتح والخواتم والمبادئ والمناسب والمطالع ..[٢]

وأكثر من هذا ، يربط **الباقلاني** في استعمالاته بين النظم والتأليف والرصف : كما يبدو ذلك جليا ، وهو يحلل سورة النمل يقول : " انظر في آية آية وكلمة كلمة ، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الوصف -الرَّصف -، فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية ، وفي الدلالة آية ،فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها تجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها ثم من قصة إلى قصة ومن باب إلى باب من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصور لك الفصل وصلا ببديع التأليف وبليغ التنزيل "[٣] .

ويقدم **الباقلاني** نظرة أخرى تجمع بين التحليل البصير ، والتذوق الرفيع ، حين يحاول تفسير انسجام الآيات رغم تباعد مقاصدها ، فقد تجد آيات متباعدة في الموقع نائية المطارح قد جعلها النظم البديع أشد تآلفا من الشيء المؤتلف في الأصل [٤].

---

(١)الباقلاني ، مرجع سابق ،ج :١ ،ص١١

(٢)الباقلاني ، مرجع سابق ، ج:٢ ،ص٢٠٢

(٣)الباقلاني ، مرجع سابق ، ج:٢ ،ص ٥٨ – ٩٥

(٤)الباقلاني ، مرجع سابق ، ج:٢ ،ص ٦٤ -٦٥

وهنا يتحدث الباقلاني عن قوله تعالى :﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ القصص: ٧٧

يقول : " هي خمس كلمات، متباعدة في المواقع، نائية المطارح، قد جعلها النظم البديع أشد تألفا من الشئ المؤتلف في الأصل، و أحسن توافقا من المتطابق في أول الوضع"(١).

ولا يفتأ **الباقلاني** يذكر الأمثلة المختلفة من القرآن الكريم تأكيداً على نظريته هذه محاولاً تفسير انسجام القرآن رغم تعدد مواضيعه ، والانتقال من معنى إلى آخر ، ويكشف عن أوجه الخلوص من احتجاج إلى وعيد ومن إعذار إلى إنذار ومن فنون من الأمر شتى ، مختلفة تأتلف بشريف النظم ، ومتباعدة تتقارب بعليِّ الضّمّ " (٢).

فجاءت المصطلحات المتكررة التالية : الضم – الرصف – النظم – الانسجام . دون أن يبرر كيف كان هذا الرصف ، والنظم ، والانسجام صوريا ، ودلاليا .

المهم أن الجهد البلاغي القديم استطاع أن ينظر إلى النص من حيث ائتلافه وتلاحمه دون أن يتعمق أكثر في ذلك .

بل بقي الموقف جزئيا ، و ذوقيا دون أن يكون ذلك عن قصور أو عجز ، وإنما هو تمثيل لمرحلة معينة لها خواص معينة استدعت بالضرورة نتاجا يلائمها.

وكان المأمول أن تستمر الجهود لتطوير الدرس البلاغي القديم ، والوصول به إلى مرحلة التنظير الكلي ، لكن مرحلة الجمود التي مر بها

---

(١) الباقلاني ، مرجع سابق ، ج٢ ،ص٢٩٥

(٢)الباقلاني ، مرجع سابق ، ج:٢ ،ص ٦٩ -٧٠

الفكر العربي والثقافة العربية ،كانت ذات تأثير بالغ على الدرس البلاغي [١].

(١)محمد عبدالمطلب ،بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، التكوين البديعي ، ط ٢ ،(القاهرة : دار المعارف، ١٩٩٣م) ،ص ٦

المطلب الثالث :عند النحويين (الجرجاني نموذجاً)

تكمن أهمية جهد **الباقلاني** في التأثير على جهود **الجرجاني** (ت ٤٧١هـ)وغيره .

فإذا كان **الباقلاني** لم يجرد من فهمه لفكرة النظم ، والائتلاف أساسا نحويا فإن هذا الأساس النحوي المسؤول عن تضافر الوحدات وتلاحمها ، سيتجسد في نظرية النظم عند الجرجاني [(١)].

ولا يعني ذلك أنه هو مبتكر هذه النظرية فقد سبقه إليها غيره من أعلام اللغة العربية ، خاصة المعتزلة، كالجاحظ ، والرُّماني ، لكن يعود إليه الفضل في بلورتها وصياغتها وحسن تشكيلها .

وقد عمد **الجرجاني** إلى ربط النحو بالدلالة ، فنظر في العلاقة بين المكون التركيبي ، والمكون الدلالي ، العلاقة التي أخرت النظرية التحويلية في إدراكها ومعرفة أهميتها إلى ظهور كتاب شومسكي الثاني بعد كتابه الأول بعشر سنوات "[(٢)].

يقول **عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز** :

" قد سمعنا ما قلتم فخبرونا عنها فماذا عجزوا؟ عن معان من دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول ؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه ، فإن قلتم عن الألفاظ فماذا أعجزهم من اللفظ ؟ أم ما بهرهم منه ؟ فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آية

---

(١)الأخضر، جمعي ، قراءات في التنظير الأدبي والتفكير الأسلوبي عند العرب ، د.ط ، (الجزائر : رابطة الإبداع الثقافية ،٢٠٠٢م)، ، ص ٧٤ -٧٥

(٢) البهنساوي ، حسام ، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ، د. ط، (القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٤م)،ص٥١

ومقاطعها ... "[١]

فنجد الجرجاني قد ربط بين النظم القرآني ، ومضمونه ، فربط بذلك بين المكون التركيبي والمكون الدلالي .

وإلى معنى التأليف والترتيب أشار في أسرار البلاغة :" والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خالصا من التأليف ، و يعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب " [٢].

يتضح من كلام **الجرجاني** أن ما يميز نظرية النظم عنده ، ليس هو النظم في حد ذاته ،إنما هي فكرة تعليق الكلم بعضه بعضا[٣]. وأخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر على الإطلاق لم يكن النظم ، ولا البناء ، ولا الترتيب وإنما كان التعليق [٤] لأن الجرجاني قال صراحة إنه لا نظم في الكلم حتى يعلق بعضها ببعض ، أي أن :

النظم ⟸ التعليق .

داخل الجمل، و مع ذلك لا نجد إجماعا على فهم واحد لنظرية النظم عند الجرجاني .ويعود تعدد فهم هذه النظرية بين الدارسين والنقاد إلى، ما أورده الجرجاني من أراء مختلفة في سياقات متعددة ، وردت فيها كلمة النظم ، تبيح قراءات متباينة ، مع قلة الأمثلة التطبيقية .

---

(١)الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ،تصحيح : محمد محمود الشنقيطي، تعليق : محمد رشيد رضا ، د.ط ، (د.ت)، ص:٤٢

(٢)الجرجاني ، عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، تعليق : محمود محمد شاكر ، ط ١ ، (جدة : دار المدني ، ١٩٩١م)، ص ٤

(٣)التعليق : مفهوم كثيرا ما تكرر في كتب فان دايك ، وإن كان يبحث في العلاقات بين الجمل ، لا العلاقات داخل الجملة الواحدة .

(٤)حسان ، تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ط٣ ، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٩٨م)، ص١٨٨

ويبدو تعدد فهم نظرية النظم منذ القديم ، فالقزويني يرى في النظم تطبيق الكلام على مقتضى الحال [١].

فهل كان **للجرجاني** السبق في إنشاء علم المعاني دون أن يدري ،أم أننا نستطيع أن نفهم من نظرية النظم عند الجرجاني ما فهمه علماء اللغة المعاصرون من العلاقات السياقية ، وأن نفهم من معنى المعنى العلاقات الاستبدالية [٢] .

يعرّف **الجرجاني** الأسلوب على أنه ضرب من النظم والطريقة فيه ، ويعرّفه المحدثون بأنّه إسقاط محور الاختيار على محور التركيب .

النظم = الأسلوب = إسقاط محور الاختيار على محور التركيب .

أما التعليق = الربط بين الكلم .

ليس بناء الأسلوب مجرد ضم الألفاظ ، إنما مسألة الضم إلى عملية التعليق ، ففي التعليق تلعب العلاقات النحوية دورا بالغا .

أما الروابط بين الجمل،من ذلك مثلا الربط بالواو ،لا بد أن يكون هناك ما يجمع بين المعطوف والمعطوف عليه .لذلك يعيب على أبي تمام قوله :

لا والذي هو عالم أن النَّوى صَبِرٌ وأن أبا الحسين كريم

ذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ، ومرارة النوى ، ولا تعلق لأحدهما بالآخر [٣].

---

(١)القزويني ،الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : عبدالحميد هنداوي ، ط .١ ، (مؤسسة المحتار ، ١٩٩٩م)، ص ١١

(٢)أبو زيد ،حامد نصر ،إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، ط٢ ، (الدار البيضاء : المركز الثقافي ، ١٩٩٢م)، ص٢١٨

(٣)الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ،ص ٢٤٠ -٢٤١

يقول : " واعلم أن من الكلام ما أتت المزية في نظمه الحسن ، كالأجزاء من الصيغ تتلاحق ، وينظم بعضها إلى بعض حتى تكبر في العين ، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه ، لا تقضي له بالحذق ، والأستاذية ، وسعة الذرع ، وشدة المنة حتى تستوفي القطعة "[١].

فالمزية في النظم الحسن تستدعي :

- التلاحق بين الأجزاء .

- تلاحم القطعة كلها .

وأكثر من ذلك كان الجرجاني على وعي بدور المتلقي في صناعة النص ، يقول مثلاً : " فإنما أرادوا بقولهم : ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك أن يجتهد المتكلم في ترتيب اللفظ ، وتهذيبه وصيانته من كل ما أحل بالدلالة ، وعاق دون الإبانة "[٢].

فقد اقترح **عبد القاهر الجرجاني** للصياغة أربع مراحل وهي : النظم ، والبناء ،والترتيب ، والتعليق ، واستمد هذا الإطار الفكري من مذهب الأشاعرة في مسألة الكلام النفسي ، وكان سابقا بعدة قرون الدراسات اللغوية النفسية الغربية الحديثة فسبق بهذا مثلا ما قدمه الباحث الأمريكي دي بوجراند [٣].

لكن يعاب على الجرجاني عدم تجاوز حدود الجملة ، رغم الوعي بالعلاقات بين الجمل ، ويعود ذلك إلى غياب اللقاء بين النحو ، وعلم المعاني والانتقال من الاهتمام بالتحليل إلى التركيب ، وهذا دفع **تمام حسان** إلى

---

(١)الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني ،ص٢٦٨

(٢)الجرجاني، أسرار البلاغة ، تعليق : محمود شاكر ، ص١١٤

(٣)روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص٥

اتخاذ هذا الرأي من علم المعاني يقول :

" إن النحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدّعي لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يسمى علم المعاني ، حتى إنه ليحسن في رأيي أن يكون علم المعاني قمة الدراسة النحوية "[١].

بل إن عدم امتزاج النحو بعلم المعاني منع الانتقال من الاهتمام بالتحليل إلى العناية بالتراكيب ، والانتقال من مستوى الجملة إلى مستوى ما فوق الجملة ، فلو كان اللقاء بين النحو ، وعلم المعاني لكان للعرب السبق في ظهور لسانيات النص .

ومع ذلك يبدو أثر **الجرجاني** واضحا فيمن أتى بعده ، وألف في علم البلاغة كا لسكاكي و القزويني .

كما يبدو أثر نظرية النظم على الكثير من المفسرين الذين حاولوا الإفادة من هذه النظرية في بيان إعجاز القرآن، ولعل الزمخشري الذي عاش في القرن السادس كان خير من توسّع في تطبيق هذه النظرية [٢].ذلك أنهما كليهما اعتمد على العقل والتحليل المنطقي، فهل يحق لنا بعد ذلك أن نقول :

"إن النظم يمثل مكونا في نظرية لغوية لا تقل سماتها وضوحا عن سمات

أي نظرية لغوية حديثة ، والواقع أن مفهوم النظم يمثل العمود الفقري لنظرية لغوية عربية ، لا تقل تكاملا من ناحية اتساقها على الأقل عن أي نظرية لغوية حديثة بما في ذلك نظرية (فردينا دي سوسير)"[٣].

كما يذكر **الجرجاني** رأيه عن دور المتلقي مع النظرية التي نشأت أولا

---

(١)حسان ،تمام ، اللغة العربية معناه ومبناها ،ص٣٣٦

(٢)الشروقاي، بلاغة العطف في القرآن ،دراسة أسلوبية ، د.ط، (دارالنهضة ، ١٩٨١م)،ص٣٥

(٣)حمودة ، عبدالعزيز ، المرايا المقعرة ، د.ط ، (الكويت : عالم المعرفة ، ٢٠٠١م)، ص٢٢٠

في ألمانيا وذلك قبل أن يشرع ياوس و أيرز في ترتيب الأطر العامة لنظرية تعني بالتلقي الأدبي والتأثير والاستجابة في مطلع السبعينيات[١] .حتى أ مكنه القول دون مبالغة إن فكرة النظم لعبد القاهرة الجرجاني كانت ملحة على رؤية أيزر وهو يدلي بدلوه في تأسيس نظرية التلقي التي تجاوزت حدود البيئة الأوربية (النمسا وألمانيا)إلى النطاق العالمي [٢].

(١)إبراهيم ،عبدالله ، التلقي والسياقات الثقافية ، ط ١ ، (القاهرة : دار الكتاب الجديد ، ٢٠٠٠م) ، ص٧

(٢)عباس ، عبدالواحد محمد ،قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب لغربية الحديثة وتراثنا النقدي ، ط١، (لبنان : دار الفكر العربي ،١٩٩٦م)،ص٣٥

المطلب الرابع :عند المفسرين :

المسألة الأولى: سيد قطب :المناسبة الموضوعية والإيقاع الموسيقي .

تتفق معظم التفاسير حول إبراز الروابط المعنوية بين السور والآيات وتأتي غيرها من الروابط تابعة وخادمة لها .

وتفسير **سيد قطب** يؤكد هذا الاتجاه ويبرزه ، لكنه لا ينفي العلاقة العضوية بين الرابط المعنوي والرابط الشكلي " ومن ثم يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أن لكل سورة من سور القرآن فيه شخصية مميزة ! شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس "[١].

ويرى **سيد قطب** أن لكل سورة موضوعاً رئيسياً أو عدّة مواضيع يربط بينها محور خاص وجو خاص ، لكن تناول هذه الموضوعات يكون من جوانب معينه تتناسق وتترابط فيما بينها .

والأجمل من هذا أن **سيد قطب** بيَّن علاقة تحقيق الانسجام بيْن موضوعات السورة ، والإيقاع الموسيقي فيها ؛ يقول: " لها إيقاع خاص ، إذا تغير في ثنايا السياق ، فإنما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة . وهذا طابع عام في سور القرآن جميعا ، ولا يشذّ عن هذه القاعدة طوال السور " [٢].

ويقول عن سورة البقرة :

" هذه السورة تضم عدّة موضوعات ، ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسان فيه ترابطا شديدا ... فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة ... وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها وإعدادها لعهد اللّه "[٣].

---

(١)سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ط٢٥ ، (القاهرة :دار الشروق ،١٩٩٦م) ج:١، ص ٢٨

(٢)سيد قطب ،مرجع سابق ،ج١ ،ص٢٨

(٣)سيد قطب ،مرجع سابق ،ج١ ،ص٢٨

ويرى **سيد قطب** أن كثرة أسلوب الالتفات في سورة البقرة (هو مظهر من مظاهر الربط أيضا) ؛ فالالتفات في السياق عن خطاب قوم موسى إلى خطاب اليهود في المدينة إلى خطاب أجيال بين هذين الجيلين ، يبقي كلمات القرآن حية ، كأنما تواجه موقف الأمة المسلمة اليوم وموقف اليهود منها [١] ، فهذا الانتقال الزمني والالتفات من يهود موسى إلى اليهود في عصر النبي محمد - ﷺ - إلى اليهود في عصرنا ،القصدُ منه التحذير .

وكثيراً ما يهتم سيد قطب بالروابط النحوية ، والضمائر أثناء تفسيره للبحث في الوحدة القرآنية بأسلوب جميل ، ولأهداف تربوية .

ولسيد قطب رحمه الله كتب عدة منها : "التصوير الفني في القرآن" ، والذي اعتمد فيه علي إبراز الصور التي ترسم في ذهنه عند سماع آية من آيات القرآن الكريم ، فعند تعرضه لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ الحج: ١١

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: «ولا يضحك أحدا، حينما أطلعه على هذه الصور في خيالي: لقد كان شخص من مخيلتي رجل قائم على حافة مكان مرتفع(مصطبة) - فقد كنت في القرية – أو قمة تل ضيق، فقد رأيت التل المجاور للوادي وهو قائم يصلى ولكن لا يملك موقفه فهو يتأرجح في كل حركة، ولا يهتم بالسقوط وأنا بإزائه، اتتبع حركاته في لذة وشغف» [٢].

فهدف سيد قطب من التصوير الفني هو جمع الصور الفنية في القرآن، واستعراضها، وبيان طريقة التصوير منها، و التناسق الفني في إخراجها، حيث كان همه الأول موجها إلى الجانب الفني الخالص، دون التعرض للمباحث

---

(١) قطب ،سيد ، في ظلال القرآن ،ج١ ،ص٣٣

(٢) قطب ، سيد، التصوير الفني في القرآن، د.ط، (القاهرة : دار الشروق ، ١٩٥٩م)، ص٨٢٧.

اللغوية أو الكلامية أو الفقهية أو سواها التي كانت من مباحث القرآن المطروقة منذ القديم.

وأما كتابه :" مشاهد القيامة في القرآن "، هو الكتاب الثاني في مكتبة القرآن التي كان ينوي إصدارها وقد ألفه على طريقة التصوير الفني فعندما أصدر كتاب:" التصوير الفني في القرآن "عام ١٩٤٥م، الذي تحدث فيه عن فكرة التصوير وخصائصها في التصوير والتخييل والتجسيم والتناسق.. إلخ وآفاقها في القصة والمثل والحوادث الماضية ومشاهد الطبيعة ،ومشاهد القيامة إلخ، وعند الحديث على مشاهد القيامة في :"التصوير الفني "،قال: ومشاهد القيامة هي أكثر المشاهد تنوعا في القرآن حتى لهممت أن أفراد لها فصلا خاصا لولا تضخم الكتاب ثم صح عزمه على أفرادها بكتاب مستقل وهو هذا الكتاب.

وقد استعرض في كتابه (خمسين ومائة مشهد موزعة في ثمانين سورة) والمشاهد التي استعرضها هي التي تتفق مع تعريفه للمشهد ،وهو الذي تتوافر فيه الصورة والحركة والإيقاع ،أما المواضع التي ورد فيها ذكر اليوم الأخر مجردا ،أو ذكر الجنة تجري من تحتها الأنهار ،أو ذكر العاب الأليم ،أو المهين ،أو العظيم ،دون أن يرتسم منها مشهد شاخص ،أو متحرك فلم أتعرض لها وهي كثيرة جداً، فلا تكاد سورة واحدة من سور القرآن تخلو من ذكر ،أو إشارة، أو تلميح.

وقد بين طريقته في استعراض المشاهد ،وتبوبيها وهي: الطريق الاستعراضي مراعيا الترتيب التاريخي على قدر الإمكان لورودها فعرضتها بترتيب السور التي وردت فيها ورتبت هذه السور حسب نزولها وذلك عمل تقريبي لأجزم فيه وقد عدل عنه كتابة (ظلال القرآن) حيث فسر السور القرآنية حسب ترتيبها في القرآن لا حسب نزولها.

ونذكر مشهدا من كتابه: قال في تفسير قوله تعالى في سورة الرحمن :﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الرحمن: إلى آخر السورة وهو يقارن بين الجنتين وما فيهما من نعيم ، نعيم حضري ونعيم بدوي .

قال : " هما درجتان في النعيم تمثل الدرجة الأولى بالترف والرفاهية في الحضر ، وتمثل الثانية بالترف والرفاهية في البدوي ،ترى هذه الصور والأشكال مجرد مثل للنعيم تقربه للحس وتصوره للخيال ؟ لا أجزم بشيء فليس لدي برهان ".

أي لا يستطيع الجزم بأن هناك نعيم حسي جسماني من جنتين فيها العيون الجارية والأشجار والفواكه والحور العين كأنهن الياقوت والمرجان وفيها الفرش بطائنها من استبرق وفيها الخيام والرفرف الخضر .

لا يستطيع الجزم بأن هذه حقائق ثابتة تشاهد بالعين والنعيم فيها محسوس من أكل وشرب واتكاء وجماع للحور العين الموصوفات بالجمال المتناهي .

لا يستطيع الجزم بوجود شيء من هذه الأشياء لأنها مجرد مثل للنعيم تقر بها للحس وتصورها للخيال وهو ليس لديه برهان أنها حقائق تلمس وتشاهد والنعيم بها نعيم جسدي .[1]

(١) قطب ، سيد ، مشاهد القيامة في القرآن ، ط١٧ ،(دار الشروق ، ٢٠٠٧م)، ص ٢١٦

المسألة الثانية : سعيد حوى ... الوحدة القرآنية :

حاول **سعيد حوى(١٩٣٥ -١٩٨٩م)** في كتابه (الأساس في التفسير) أن يقدم نظرية متكاملة عن الوحدة القرآنية في النص الكريم .

كما حاول أن يربط تفسيره بقضايا معاصرة ، لأنه يرى أن لكل عصر احتياجاته التي تختلف عن احتياجات عصر سبقه [١].

ومن ذلك كانت ميزة هذا التفسير أنه قدم نظرية جديدة في موضوع الوحدة القرآنية ، وهو موضوع حاوله كثيرون وألفوا فيه الكتب ووصلوا فيه إلى أشياء كثيرة ، ولكن أكثر ما اشتغلوا فيه كان يدور إما حول مناسبة الآيات في السورة الواحدة أو مناسبة آخر السورة السابقة لبداية السورة اللاحقة ، مع عدم الالتزام بذلك في تفسير القرآن كله [٢] لغياب نظرية شاملة تحوي مفاتيح الوحدة القرآنية [٣] ، لتعطي الجواب عن كثير من الأمور المتعلقة بـــ :

١ - وحدة السورة .

٢ - وحدة المجموعة القرآنية .

٣ - وحدة القسم القرآني .

٤ - الوحدة القرآنية كلها [٤].

عمد الكاتب أثناء البحث في وحدة السور : إلى الكشف عن المعنى الحرفي للآيات ، ثم محل الآية في السياق القريب ، ثم محلها في السياق البعيد ، لتتجلى الوشائج والروابط بين المقدمة والخاتمة ، وتتكشف وحدة السورة، وسياقها الخاص . أما المجموعة القرآنية فهي تشكل وحدة في قسمها بناء على

---

(١)حوى ، سعيد ، الأساس في التفسير ،مج١، ط ٥، (القاهرة :دار السلام،١٩٩٩م) ،ص٨

(٢)التزم بذلك البقاعي في تفسيره ، ويشير الكاتب صراحة أنه لم يطلع على كتاب البقاعي ،وذلك لأنه رحمه الله كتب معظم تفسيره في السَّجن ، فلم يطلع على مراجع كثيره ، مج ١ ،ص٢٤

(٣)حوى ،سعيد ،الأساس في التفسير ، مج١ ، ص٢١

(٤)حوى ،سعيد ،الأساس في التفسير ،مج ١ ، ص٢٣

تتبع المعاني وتطورها . واعتمادا على حديث الرسول ﷺ الذي قال فيه : " أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ،ومكان الزبور، المئين ومكان الإنجيل المثاني، فضلت بالمفصَّل والمفصَّل يبدأ من بداية سورة (ق) إلى نهاية المصحف "[١].

قسم **سعيد حوى** القرآن الكريم إلى أربعة أقسام :

- قسم الطوال إلى براءة .
- قسم المئين إلى القصص .
- قسم المثاني إلى ق .
- قسم المفصل إلى الناس .

وللوصول بعد ذلك إلى الوحدة القرآنية ، قسم الأقسام إلى فقرات ، وربط المناسبة بين فقرة وأخرى ، وكشف عن محل الفقرة في السياق الكبير ، كما ربط بين آخر آية من القسم السابق والقسم الذي يليه وكذلك الفقرات [٢].

يقول في مقدمة (الأساس في التفسير): " ولقد منّ الله علي منذ الصغر أنني كنت كثير التفكير في أسرار الصلة بين الآيات والسور ، ووقع في قلبي منذ الصغر مفتاح للصلة بين سورة البقرة والسور السبع ، التي جاءت بعدها ، وهي بمجموعها تشكل القسم الأول من أقسام القرآن ... "[٣].

وهكذا وجد أن السور السبع التي جاءت بعد سورة البقرة ، وهي التي تشكل مع سورة البقرة القسم الأول من أقسام القرآن ، هذه السورة أتت على تسلسل معين هو نفس التسلسل الذي جاءت به المعاني في سورة البقرة ، بحيث لكل سورة منها محور موجود في سورة البقرة ، وفي تقسيم سورة

---

(١)البيهقي ، أبو بكر أحمد الحسن ، شعب الإيمان ، تحقيق :أبي هاجر محمد السعيد بن سيوني زغلول ، ج٢ ، ط١ ،(دار الكتب العلمية ،١٩٩٠م)، ص٤٦٥

(٢)حوى ،سعيد ،مرجع سابق ، مج ١ ، ص٦٨٧

(٣)حوى ،سعيد ،مرجع سابق ، مج ١ ، ص٢٢ -٢٣

البقرة مثلا ، يرى أن هذه السورة تتألف في اجتهاده من مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة [١].

يأتي القسم الأول " يا أيها الناس " ، ثم لم يذكر كلمة يا أيها الناس إلاّ بعد الآية ١٦٧ حيث تظهر مرة أخرى ، فجعل يا أيها الناس أساس التفريق بين قسم وآخر داخل السورة .

حاول الكاتب أن يعرض الصلات والروابط بين أجزاء السورة ،رابطا بين التقسيم الشكلي المكثف بمضمون الآيات والسور ، بحيث منح التقسيم الشكلي هندسة داخلية تبدأ بمستوى الآية وتنتهي بمستوى النص " هذه الاجتهادات تجعله يفوق جون ميشال آدام في هذا المجال ، ولقد أقام الكاتب على هذا الاتجاه الذي انتهجه في موضوع الوحدة القرآنية من الحجج الكثير عن وشائج الصلة بين الآيات والسور ، لكنه تعمد ألا يذكر حججه كلها في مكان واحد ، بل وزعها في الكتاب كله ، ولولا ذلك لاقتضى إبراز كل الحجج مجلدا كاملا منفصلا[٢]، وإنما جاءت هذه الحجج ضمن التفسير ، فيجب البحث عن هذه الوشائج والصلات ضمن متن التفسير .

من خلال ما سبق ، يتضح جليا أنه يمكن بإعادة القراءة تطوير التراث الديني والبلاغي والنحوي ... وصياغة نظريات العرب المعاصرين ، تلتقي مع النظريات الغربية المعاصرة ، لكنها تمتلك خصوصيتها لتحطيم التبعية الثقافية للغرب.

---

(١)حوى ،سعيد ،مرجع سابق ، مج١ ، ص٦١

(٢)حوى ،سعيد ،مرجع سابق، مج١ ، ص٢٨

الفصل الثالث :

الحاضر الغربي ونحو النص، و فيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : هاليداي ورقية حسن ونحو النص.

- المطلب الأول :النص عند هاليداي ورقية حسن.
- المطلب الثاني :أدوات الاتساق عند هاليداي ورقية حسن:

❖ الإحالة .
❖ الاستبدال .
❖ الحذف .
❖ العطف .
❖ الاتساق المعجمي.

المبحث الثاني: فنديك وجهوده.

- المطلب الأول: من أهداف "فنديك" .
- المطلب الثاني : فنديك ونحو النص.

المبحث الثالث : براون ويول ونحو النص.

مدخل:

تعرفنا - في الفصول السابقة – على جهود المسلمين العرب ، في نحو النص ، وبخاصة عند علماء التفسير ، حول مفهوم نحو النص ، وأبرز الجهود في ذلك ، وسنحاول في هذا الفصل أن نتلمس كيفية تعامل علماء الغرب مع هذا المفهوم ، ولن نلتفت إلى جهود قدمائهم ؛ لأننا لا نجد إلى ذلك سبيلا ، من جهة ؛ ولأن جهود معاصريهم ، من خلال مجموعة من العلماء ، الذين عنوا بنحو النص ، أمثال هاليداي ورقية حسن ، وفنديك ، وبراون ويول وغيرهم ؛ لنصل من خلال هؤلاء إلى مفهوم – ولو أولي – لنحو النص ، عندهم ، فما النص ؟ وما القواعد التي تشكله ؟ من أجل الوصول إلى الفهم والإفهام .

المبحث الأول :النص عند ها ليداي ورقية حسن .

تقوم وجهة نظر هاليداي ورقية حسن ، في كيفية تشكل النص ، على إيمانهما العميق بأن نحو النص ، ما هو سوى دراسة للاعتبارات اللغوية الخمسة الرابطة بين جمل لغوية في متتالية خطية وهذه الاعتبارات هي :

١ - الإحالة أو المرجعية (Reference).

٢ - الاستبدال (Substiution).

٣ - الحذف (Euipse).

٤ - الربط أو العطف (Conjonction).

٥ - الاتساق المعجمي (Lexical cohesion).

ونبدأ بأولى هذه الأدوات :

١- الإحالة :

مفهوم الإحالة :

يراد بالإحالة مجموعة من العناصر ، التي تحتاج ، عند تأويلها ، إلى مرجع تعود عليه أو تميل إليه ، كالضمائر ، وأسماء الإشارة ، وأدوات المقارنة .ويقصد بأدوات المقارنة : كلمات مخصوصة في كل لغة تشير إلى مقارنة عامة أو خاصة . فالكلمات التي تشير إلى تطابق أو تخالف عام منها : كلمة ينسبه ، وكلمة مثل ، وكلمة غير ، وكلمة نفي الشبه نحو : لا يشبه ، خلاف ... فهي أدوات مقارنة عامة ، أما الكلمات التي تشير إلى الكمية أو الكيفية بين شيئين محددين نحو صيغة التفضيل ، فهي أداة مقاربة خاصة ، وكل تلك الخاصة والعامة من وجهة نظرهما – هاليداي ورقية حسن - هي أدوات نصية لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة .

وتعتبر الإحالة مفهوما أولياً يتكئ عليها محلل النص كي يثبت مدى اتساق نصه ، وهي من أهم الأدوات التي تحقق هذا الاتساق " وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصة الإحالة"[١].

ويقول **جون لوينز** في سياق حديثه عن المفهوم التقليدي للإحالة : " إنها العلاقة القائمة بين الأسماء ومسمياتها "[٢]، إذ إن الأسماء تحيل إلى المسميات .

وتطلق تسمية العناصر الإحالية – حسب **الأزهر الزناد** – على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة ، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب ، فشرط وجودها في النص هو النص "[٣].

ويتصل " النص الممتلك للعناصر الإحالية بعنصرين ضروريين: محال

---

(١)الخطابي ، لسانيات النص ، ص١٧

(٢)براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص٣٦

(٣)الأزهر، نسيج النص ،ص١١٨

ومحال إليه ، وكلاهما يمتلك نفوذا داخل النص ، وتحديدهما موكول إلى ثقافة المتلقي ، وسياق النص "[١].

ولذلك اعتبرت الإحالة علاقة بين العبارات والأحداث والموافق في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما ، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص أمكن أن يقال عن هذه العبارات إنها ذات إحالة مشتركة ، ومع أن هناك أنواعا كثيرة من الإحالة المشتركة ، فإنه قد اكتشف بأن الاشتراك في الإحالة من خلال الألفاظ الكنائية فقط ، والألفاظ الكنائية من حيث المحتوى في الاستعمال مأخوذة من العبارات التي تشترك معها في الإحالة ، وبهذا تختلف الألفاظ الكنائية عن هذه العبارات بطرق نظامية [٢].

وتقسم الإحالة – حسب نظرهما **هاليداي ورقية حسن** – إلى نوعين رئيسيين :

١ - **إحالة مقامية** ؛ وهي خارجية ، تحيل إلى العالم . وقد جعلا من الخارجية : ضمائر التكلم ، والخطاب .

ويعرفها " **الأزهر الزناد** " بقوله هي:" إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي ؛ كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات المتكلم ، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم ، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته ، في تفاصيله أو مجملا إذ يمثل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلا بنفسه ، فهو يمكن أن

---

(١)الخوالدة ، فتحي رزق الله ، تحليل الخطاب الشعري ، ثنائية الاتساق والانسجام ، ط ١ ، (الأردن : أزمنة للنشر والتوزيع،٢٠٠٦م) ،ص٤٥

(٢)دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص٣٢٠

يحيل عليه المتكلم "[١] ، بحيث تكون الإشارة خارج النص.

٢ - **إحالة نصية** ؛ وهي داخلية ، تحيل إلى النص . وقد جعلا منها ضمائر الغيبة ، وأسماء الإشارة ، وأدوات المقارنة من الإحالة الداخلية ، في الإطار العام .**وتنقسم بدورها إلى** :

١.إحالة سابقة (Anaphora):وفيها تستخدم كلمة ما بديلاً لكلمة أو مجموعة من الكلمات السابقة لها في النص ، وتعود على مفسر سبق التلفظ به [٢]، وفيها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد الضمير.

وتشمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد ، وهو الإحالة التكرارية (Epanaphora) ، وتمثل الإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام .[٣]

ونمثل لهذا بسورة الفاتحة ، الذي جاء دور الضمائر الظاهرة والمستترة على النحو التالي : (الرحمن – الرحيم – مالك – إياك – اهدنا – أنعمت). كلها تعود إلى لفظ الجلالة المذكور في أول السورة فهي إذن مرجعية سابقة .

إحالة داخلية سابقة

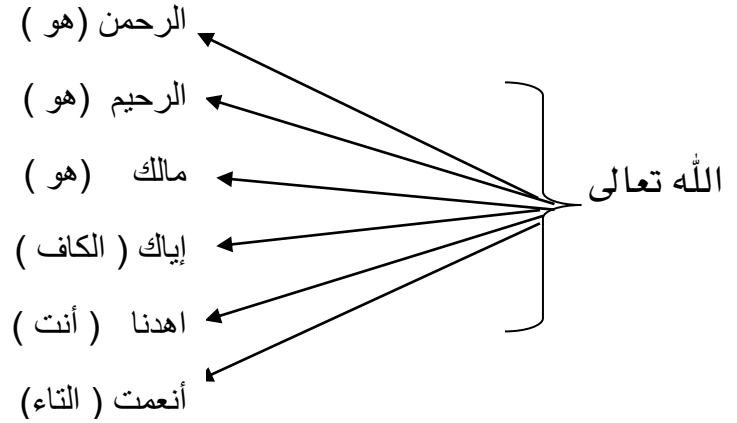

(١)الأزهر الزناد ، نسيج النص ،ص١١٩

(٢)أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص١١٧

(٣)الأزهر الزناد ، نسيج النص ،ص١١٩

٢.إحالة لاحقة أّو بعديّة (Cataphora) [(١)]: وتكون فيها كلمة ما بديلا عن كلمة أو مجموعة من الكلمات اللاحقة لها في النص [(٢)]، بحيث تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحقا عليها[٣].

ونمثل لها بقوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ الإخلاص: ١ ، في هذه الآية الكريمة ورد العنصر الإحالي المتمثل في ضمير الشأن " هو " قبل مرجعه ، وقد فسّر إبهامه وغموضه ما تلاه وهو العنصر الإشاري " اللّه أحد " ؛ ولذلك فإحالة ضمير الشأن " هو " في الآية إحالة داخلية بعدية أو لاحقه .

وتتفرع وسائل الاتساق الإحالية ، كما أسلفنا إلى ثلاثة أنواع : الضمائر ، وأسماء الإشارة ، وأدوات المقارنة .

أ- الضمائر :

تقوم الضمائر في نظر علماء لسانيات النص بدور فعال ، مع عناصر الإحالة الأخرى ، في اتساق النص؛ لذا كانت لها أهمية بالغة في أبحاثهم .

وتنقسم الضمائر إلى وجودية مثل : أنا – أنت – نحن – هو – هم – هن

---

(١) بالنظر إلى طبيعة تعامل الغربيين مع هذا النوع من الإحالة وطبيعة تعامل النحو العربي مع المبهمات نجد أن هذا النوع من الإحالة ينتفي من العربية ؛ لأن النحاة العرب اشترطوا تقدّم المفسّر على المبهم لفظا ورتبة أو محلا وتقديرا ، وكادوا يمنعون الخروج على هذا الأصل ؛ إلا أنه ورد في العربية أحيانا مثل : " على نفسها جنت براقش " ، ومن القرآن : (فأوجس في نفسه خيفة) ،(الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ، ص ١٢٥ -١٢٦)

(٢)اختلف المؤلفون من باحثين ومترجمين في تقسيمهم للإحالة وتسميتهم لهذه الأقسام ، فنجد بعضهم قسّمها ثلاثة مستويات ، وأغلبهم قسمها قسمين ؛ ولكنهم اختلفوا أيضا في تسميتها وترجمتها ، فعدّهما محمد الخطابي مثلا في لسانيات النص ، (ص ١٧) : مقامية ونصية ، وعدها محمد الشاوش في أصول تحليل الخطاب ، (ص ١٢٥) : مقامية و مقاليّة ، وعدّهما الزناد (ص١١٩) : معجمية ونصيّة (مقطعية) ، وعدهما الفقي في (ص ٧٠) : خارجية وداخلية ونصيّة .
الزناد ، نسيج النص ، ص١١٨ -١١٩ ؛ الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ، ص١٢٥ ؛ والفقي ، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، ص ٧٠

(٣)أحمد عفيفي ، نحو النص ،ص١١٧

... إلخ ، وإلى ضمائر ملكية مثل : كتابي – كتابك – كتابنا ... إلخ [١].

وإذا نظرنا إلى الضمائر من زاوية الاتساق ، أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم ، والمخاطب ، وهي إحالة لخارج النص بشكل نمطي ، ولا تصبح إحالة داخل النص أي اتساقية ، إلا في الكلام المستشهد به ... ولا يخلو النص من إحالة خارج النص تستعمل فيها الضمائر المشيرة إلى الكاتب (أنا ، نحن) أو إلى القارئ (القراء) بالضمائر (أنت ، أنتم) " هذه بالنسبة لأدوار الكلام " [٢].

أما فيما يخص الضمائر التي لها دور هام في اتساق النص ، فهي التي يسميها " هاليداي ورقية حسن " " أدوار أخرى " وتندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفراد وتثنية وجمعا (هو ، هي ، هم ، هن ،هم) ، وهي تحيل قبليا بشكل نمطي إذ تقوم بربط أجزاء النص وتصل بين أقسامة .

لذلك نعدُّ أن إحالة ضمائر التخاطب إحالة مقامية (خارج النص) ولا يمكن أن تكون مقالية (داخل النص) فإنها لا تُسهم في تحقيق تناسق النص ، أي أنها لا تربط لا حقا بسابق أو بعبارة أخرى لا يكون مفسرها مقاليا ،

تعدُّ إحالة ضمائر الغائب إحالة مقالية ولا يمكن أن تكون مقامية ، وبالتالي فهي تسهم دوما في تحقيق تناسق النص أو بعبارة أخرى ، يكون مفسرها مقاليا دائما ، لأنها تربط دائما لاحقا بسابق [٣]، فالدور الهام في اتساق النص بالنسبة للضمائر يكمن في ضمائر الغيبة .

وهذا ما نجده في العربية ،فقد يحال بالضمائر على الأشخاص كما في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ ﴿١٢٤﴾ ﴾ البقرة: ١٢٤، والأشياء كما في قوله :

(١)خطابي ، مرجع سابق ، ص١٨

(٢)خطابي ، مرجع سابق ، ص١٨

(٣)الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ،ج١ ،ص١٢٧

فتحت باب السيارة ، ثم أغلقته ، والأحداث ،كما في قوله: التقدم ليس أمراً سهلا ، فهو يحتاج إلى إرادة ، وتخطيط ، ومال ، وصبر ، وقد يحال بها على فحوى كلام ورد سابقا ، كما في قوله تعالى : ﴿ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨ ،أي العدل ، وهو مفهوم من فحوى ما سبق ، أو لا حقا ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج: ٤٦، فنجد إحالة الضمير فيها " ها " على المحتوى الدلالي المفهوم من الكلام بعدها . وقد يحال بالضمائر على مرجع مستنبط استنباطا من السياق النصي ، كما قوله تعالى :﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ ﴿٢٦﴾ ﴾ يوسف: ٢٦ ، حيث يفهم المرجع – وهو امرأة العزيز – من السياق ، أو السياق الذهني كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ ﴾ القدر: ١ ، فعاد الضمير على القرآن دون أن يذكر .[1]

ويبدو أن الإحالة بالضمائر هي أكثر الإحالات شيوعا ، وربما يدعم ذلك الدارسة التي أجراها بعض الباحثين عن سورة الأنعام مثلا فوجد أن عدد الضمائر فيها بلغ (١٣٢٠) موضعا ، على حين كان عدد أسماء الإشارة(٥١) ، وأسماء الموصول (٨٥)[2] ، وهو ما يؤكد الوظيفة التي تؤديها الضمائر في وصل الكلام بعضه ببعض ، والربط بين أجزائه .

ب - أسماء الإشارة : وهي الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق الإحالية .

يذهب الباحثان " هاليداي ورقية حسن " إلى أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها ، إما حسب الظرفية الزمانية (الآن ، غدا ...) ، والمكانية (هنا ،

(١)يونس ، محمد محمد، مقال بعنوان : الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه ،استرجعت بتاريخ ١٤٣٣/٣/٨هـ ، من: ،مدونه تخاطب

(٢)الفقي ، علم اللغة النصي ، ص ١٩٨

هناك ...)[١]، أو حسب الإشارة المحايدة : وتكون بـ" The" أي ما يوافق أداة التعريف العربية [٢] وهي ال، أو الانتقاء (هذا ، هؤلاء ...) أو حسب البعد (ذاك ، تلك ...) والقرب (هذه ، هذا ...).

ومما هو ملاحظ فإن أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي و البعدي ، وإذا كانت أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية ، بمعنى أنها تربط جزءاً لاحقاً بجزء سابق ، ومن ثم تسهم في اتساق النص ، فإن اسم الإشارة المفرد يتميز بما يسميه المؤلفان (الإحالة الموسعة)، أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل [٣] .

وفي المقابل ما وجده عثمان أبو زنيده في تحليلية للرسالة العمرية الإقلال من استخدام ألفاظ الإشارة ، ويأتي استعمالها وفق ما يقتضيه نظام النص ويتفق مع البعد عن التعمية والتشتت ، ولم يرد في هذه الرسالة إلا لفظ إشارة واحد هو (ذلك) ، وجاء في سياقين داخلين محبوكين عليه وهما :

- ... فقس الأمور عند ذلك بنظائرها ...

- ... فإن ذلك أنفى للشك ، وأجلى للعمى ...

فيحيل (ذلك) في التركيب الأول إلى معرفة الأشباه والأمثال بعد فهم ما يتلجلج في صدر المخاطب ممّا ليس في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، ممّا يجعل المخاطب في حالة ذهنيّة تأمليّة إرجاعيّة لما سبق قوله من كلام ، فتكون النتيجة مبنية على المقدمات ، وبذلك أغنى عن نمط لغوي تكراري قد يدخل في النص حشواً لا فائدة منه ، من خلال حمولته الدلالية لكلام مكوّر .

ويحيل (ذلك) في التركيب الثاني على الملفوظ سابق " واجعل لمن ادّعى

(١)خطابي ، لسانيات النص ، ص١٩

(٢)الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ، ج١ ،ص ١٢٨

(٣)خطابي ، مرجع سابق ، ص١٩

حقاً غائباًأو بيّنة أمراً ينتهي إليه فإن أحضر بيّنته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه القضيّة "[١]،ويسقط عليه التأويل العلائقي السابق نفسه ،فهو يشير من جهة إلى الارتباط والتسلسل الكلامي،ويُغني عن تكرار الملفوظات السابقة التي تجعل من النص ركيكاً ومفتقراً لعناصر الاتساق من جهة أخرى .[٢]

ج- المقارنة :

لقد عدَّ الباحثان " هاليداي ورقية حسن " المقارنة إحدى أدوات أو وسائل الاتساق إلى جانب الإشارة والضمائر ، وقد صنفا المقترنة إلى صنفين : عامة يتفرع منها التطابق ويتم باستعمال عناصر مثل : (Same ... نفسه) والتشابه (وفيه تستعمل عناصر مثل Simmilar ... متشابه) والاختلاف باستعمال عناصر مثلا (Other , Otherwise ... آخر ، بطريقة أخرى).ويمكن تصنيف المقارنة العامة في العربية في أربع مجموعات [٣]:

١ - ألفاظ المقارنة التي تعبر عن التشابه : ومنها " شبيه " ،و " مشابه " .

٢ - ألفاظ المقارنة التي تعبر عن التطابق : ومنها " نفسه " ، و" عينه " ،و " مطابق" ،و " مكافئ" ، و" مساو " ،و " مماثل "،و قبيل " ،و" مثيل " ،و "نظير "،ومرادف ".

٣ - ألفاظ المقارنة التي تعبر عن التخالف : ومنها " مخالف " ، و"مختلف "، و" مغاير".

---

(١)المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ،ج١ ،ص٧ ؛ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٢ ، ص٤٢ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١ ، ص٢٧ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١٠ ،ص١٩٣

(٢)أبو زنيد ،نحو النص – إطار نظري ودراسات تطبيقية -،ص ٢٨٢

(٣)يونس ، محمد محمد، مقال بعنوان : الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه ،استرجعت بتاريخ ١٤٣٣/٣/٨هـ ، من: ،مدونه تخاطب

٤ - ألفاظ المقارنة التي تعبر عن الآخرية : ومنها :" الآخر " ،و " أيضاً" ، " والبديل " ، "و الباقي ".

وتتميز ألفاظ المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها ، وهو ما يؤهلها لأن تكون وسيلة من وسائل التماسك ؛ ولذا فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضى ذلك من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثا عما يحيل المتكلم . وكما كان الأمر مع الضمائر وأسماء الإشارة، يحتمل أن يكون المرجع خارجيا ، ويحتمل أن يكون داخليا ، فإما أن يكون المرجع متقدما ، أو متأخرا. وسنمثل لذلك :

أ- إحالة خارجية :

ويُقصد بالإحالة الخارجية ذلك النوع الذي يوجّه المخاطب إلى شيء أو شخص في العالم الخارجي. حيث تُسهم في خلق النص باعتبارها تربط اللغة بسياق المقام.[١] ومن أمثلة:

- أحمد : يبدو أن كل الصناديق متساوية في الحجم ، وهذا يسهل مهمتنا في ترتيبها .

- سعيد : ولكن حجم الصندوق الأزرق مختلف عن تلك الصناديق الحمر .

فالمتخاطبان يحيلان على مجموعة من الصناديق في السياق الخارجي ، وقد أدت كلمة " مختلف " في تعليق سعيد مهمة المقارنة بينها .

ب- إحالة داخلية على متقدم :

الإحالة الداخلية فتستخدم لتدل على ذلك النوع الذي يحال فيه المخاطب على عنصر لغوي داخل النص. ومثاله :

---

(١) خطابي، لسانيات النص ، ص١٧

- ينبغي أن يحمل الكلام على حقيقته حتى يثبت دليل العكس .

- في الصباح الباكر أكلت تفاحة ، وفي المساء تناولت أخرى .

فقد جاءت كلمة " العكس " في الجملة الأولى لتحيل على ما سبقها من كلام ، فربطت الكلام بعضه ببعض ، وأسهمت في اعتماد آخره على أوله ، وهو ما أسهم في تماسكه ، وقد أثبتت الجملة الأولى على نحو أوضح مدى حاجتنا في فهم المقصود بكلمة " أخرى " إلى العودة إلى الجملة السابقة لمعرفة أن المقصود تفاحة أخرى .

ج- إحالة داخلية على متأخر : ومثاله :

- كل من يراقب تصرفاتك قولا وعملا يستنبط أن عملك يأتي مناقضا لكل ما تقول .

حيث تحيل كلمة " مناقضا" إلى ما أتى بعدها .[١]

و خاصة أنها تتفرع إلى عناصر كمية مثل : (More... أكثر) ، وكيفية (أجمل من ، جميل مثل ...) وكل هذه تقوم بوظائف اتساقية تربط بين أجزاء النص [٢].

أما في العربية فيؤتى بالمقارنة الخاصة للتعبير عن الموازنة بين شيئين أو أكثر من حيث الكم أو الكيف ،ويقوم اسم التفضيل في العربية بوظيفة المقارنة الخاصة، و تقتضي قواعد اللغة أن يأتي اسم التفضيل على النحو الآتي:

١ - أن يكون مقترنا بـ" من " للمفاضلة بين شيئين أو أكثر ، ويصاغ من

---

(١) يونس ، محمد محمد، مقال بعنوان : الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه ،استرجعت بتاريخ ١٤٣٣/٣/٨هـ ، من: ،مدونه تخاطب

(٢)خطابي ، مرجع سابق ، ص١٩

الثلاثي على وزن " أفعل " دون أن يتطابق اسم التفضيل مع المفضل عليه ، كما في الجمل التالية :

- خالد أكبر من سعيد ، لكن سعيداً أذكى .

- سناء أجمل من زينب .

-النساء أقصر من الرجال .

حيث جاءت كلمة " أكبر لتحيل على "سعيد" المتأخر الذكر ، وجاءت كلمة " أذكى " لتحيل على "خالد " المتقدم الذكر ، ومن الملاحظ أن صيغة التفضيل ملازمة للإفراد ،والتذكير ، لاقترانها بـ"من ".

٢ - أن يكون مجرداً من " من " ، للدلالة على صيغة منتهى التفضيل ، ويصاغ من الثلاثي على وزن " أفعل " للمذكر ، و" فُعْلى " للمؤنث .

وإضافة إلى اسم التفضيل يمكن أن يعبر بالمقارنة الخاصة بكلمات أخرى من نحو " مثل " و" نظير " ، ويمكن أن يضم إليها الألفاظ الدالة على الترتيب الزماني ، تلك التي تتسم بطابع النسبية في بيان الزمن ، مثل " من قبل " ، " ومن بعد " ، كما في الجملة التالية : علي سميح غنى ، ونظيره جاها ، التي تحيل فيها عبارة " من قبل " على ما سبق من هداية من ذكر .

على الرغم من أن المقارنة أضعف من غيرها من وسائل تماسك النص في الربط بين أجزائه ، فقد تؤدي وظيفة فعّالة في تعليق الأجزاء بعضها ببعض.

وقد ذكر الباحثان أن المبادئ نفسها التي تعمل في أنواع الإحالة الأخرى تعمل في المقارنة أيضا[1]، بحيث تكون إحالة قبلية كما قد تكون إحالة بعدية ، كما تكون ذات إحالة خارج النص أيضا .

---

(١)الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ،ج١ ،ص١٢٩

٢- الاستبدال Substiution:

هو تعويض عنصر ، في النص ، بعنصر آخر، وهو علاقة اتساق تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات [١]، وتخضع هذه العلاقة لقواعد دلالية ومعنوية تحكمها ؛ إذ إن وجود العنصر المستبدل رهين بموقعه في التركيب الداخلي للخطاب ، وتقابله مع ما يسبقه وما يليه من عناصر معجميّة أو تركيبيّة تستدعي عناصر أخرى من خارج الخطاب في الذاكرة [٢].

يشير **هاليداي ورقية حسن** إلى أن العلاقة بين الاستبدال والحذف هي علاقة تضمين ؛ فالاستبدال يتضمن الحذف ؛ بمعنى أن الحذف يمكن تفسيره باعتباره شكلا من أشكال الاستبدال ،ويقول الخطابي :" والحذف كعلاقة اتساق لا تختلف عن الاستبدال إلاّ يكون الأول " استبدالاً بالصفر " أي أن علاقة الاستبدال تترك أثراً ، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال ، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثراً.."[٣] حيث يكون الحذف استبدالاً بالصفر [٤].كما يشيران إلى الفروق بين الاستبدال والإحالة . فالاستبدال علاقة بين العناصر اللغوية أو الشكل اللغوي بين الكلمات والعبارات ، بينما الإحالة علاقة بين المعاني . أي فالإحالة علاقة على المستوى الدلالي ، في حين أن الاستبدال علاقة على المستوى المعجمي – النحوي .لذلك هناك قاعدة عامة في علاقة الاستبدال وهي أن الكلمة البديلة يكون لها نفس الوظيفة التركيبية .

يأتي دور الاستبدال في اتساق النص من خلال العلاقة بين المستبدل

---

(١)خطابي ، لسانيات النص ، ص١٩

(٢)دي سوسير ، فرديناند ، علم اللغة العام ،(ترجمة : يوئيل يوسف عزيز) ، ط١ ، (بغداد : دار آفاق عربية للصحافة والنشر ، ١٩٨٥ م) ، ص ٢٧

(٣) الخطابي ، مرجع سابق ،ص٢١

(٤)محمد ، عزة شبل ، علم لغة النص – النظرية والتطبيق – تقديم د.سليمان العطار ، ط٢، (القاهرة : مكتبة الآداب،٢٠٠٩م) ، ص ١١٣

والمستبدل منه ، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق وعنصر لاحق في النص [١] يجمعهما السياق التركيبي نفسه ، إما باتحاد الوظيفة أو اتحاد الموقع أو اتحاد الموقع والوظيفة معاً ؛ إذ يحتل العنصر المستبدل موقع المستبدل منه ويكتسب بعض ملامحه وسماته ولا يأخذها كلها لأنه ليس إيّاه [٢].

إن الاستبدال الذي مجاله الاستخدام لا التقدير ، لا يسمح بالجمع بين المستبدل والمستبدل منه معاً في موقع واحد ، كما لا يسمح بحذفهما معاً ، والغاية منه إما الإيجاز والاختصار ، أو الاتساع والتجوّز أو التفضيل زيادة في البيان [٣] ؛ ولقد قسّمه هاليداي ورقية حسن بحسب وظائفه التركيبيّة إلى **ثلاثة أقسام** [٤]:

١ - **الاستبدال الاسمي** : وهو مجموعة المقولات الاسميّة التي يمكن أن تحل محل الاسم مؤديّة وظيفته التركيبيّة - ومن تلك المقولات الاسميّة : واحد ، واحدة ، آخر ، أخرى ، ..... ومثاله في القرآن الكريم قوله تعالى :﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾ النساء: ٣.

٢ - **الاستبدال الفعلي** : وهو مجموعة المقولات الفعلية التي يمكن أن تحل محل الفعل مؤديّة وظيفته التركيبيّة – ومن تلك المقولات : (فعل ، وعمل) مكان فعل خاص ، ومثاله في القرآن الكريم قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ

---

(١)خطابي ،مرجع سابق ، ص٢٠

(٢)عبدالله ، وليد ، دور المنهج الاستبدالي في وصف العربيّة وتقعيدها ، د.ط ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (الجامعة الأردنية ، عمّان ، الأردن ، ٢٠٠٢ م) ، ص ٢٣ – ٢٤

(٣)عبدالله ، مرجع سابق ،ص٢٩ -٣١

(٤)خطابي ، مرجع سابق ،ص٢٠ ؛ والشاوش ، أصول تحليل الخطاب ،ص١٣٣

ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ الممتحنة: ١.

٣ - **الاستبدال القولي**: وهو مجموعة المقولات الفعلية التي يمكن أن تحل محل قول مؤديّة وظيفته التركيبيّة ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الشعراء: ٤١ – ٤٢

يذهب **هاليداي ورقية حسن** إلى أن جميع أمثلة الاستبدال هي استبدال داخلي endophoric أما الاستبدال الخارجي replacement outer فهو نادر الوقوع تماما ، ويستخدم فقط (في المحادثة)عندما يريد المتكلم أن يحاكي العلاقة النصية ليحدث تأثيراً لشيء ما تمت ملاحظته بالفعل . وهذا نادراً ما يحدث . فالاستبدال يعتمد على أن شيئاً ما قيل من قبل .

والاستبدال على نحو أساسي علاقة نصية سابقة حيث يتم الربط من خلال وقوع العنصر المستبدل أولاً ، ثم استخدام العنصر البديل بعد ذلك. وقد يقع الاستبدال اللاحق cataphoric في سياقات معينة .[1]

٣- الحذف :

ويراد به :اقتراض عنصر ، غير موجود في النص ، فيه ؛ لدلالة عنصر سابق عليه. ويذهب الباحثان " هاليداي ورقية حسن " بأن الحذف " علاقة داخل النص ، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق ،

(١) محمد ، عزة شبل ، علم لغة النص – النظرية والتطبيق ،ص١١٥

وهذا يعني أن الحذف عادةً علاقة قبلية "[١] .

"ويكثر الحذف في النصوص دون الجمل المنفصلة ، والذي يساعد على ذلك هو أن النص بناء يقوم على التماسك ، والاتساق ، وهذان العاملان يساعدان مُنْشئ النص على الاختصار ، وعدم الإحالة بذكر معلومات فائضة" [٢].

أنماط الحذف [٣]:

ويقسمانه إلى :

١ - **الحذف الاسمي**: ويعني حذف اسم داخل المركب الاسمي ، (كاستخدام الإشارة) وحذف المشار إليه كقولك : (أي رجل أخوك ؟)فتجيب :(هذا الرجل أخي).ومن الأمثلة قوله تعالى:﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ **الكهف:** ٤٨.

أي جئتمونا بلا مال ولا أهل ولا عشيره ، وما معهم إلا الأعمال التي عملوها ، والمكاسب في الخير والشر التي كسبوها [٤]،كما في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ

---

(١)خطابي ، لسانيات النص ، ص٢١

(٢)حسنين ، صلاح الدين صالح ، الدلالة والنحو ، ط١ ، (القاهرة : مكتبة الآداب ، ٢٠٠٥ م) ،ص٢٥٣

(٣)وقد تحدث عنها ابن هشام ،فقد أفرد قسما خاصا تحدث فيه عن القضايا المتعلقة بالحذف ، وقدم فيه أنماط الحذف مفصلة ، وقد اتبع في ذلك ما اقترحه ابن جني .ينظر ابن جني ، الخصائص ، ج٢ ،ص ١٤٠ -١٥٨ ؛ الفقي ، علم لغة النص ،ج٢ ،ص ١٩٣ -١٩٤ ؛الشاوش ،أصول تحليل الخطاب ،ج٢ ،ص١١٧٨ -١٢١٢

(٤)السعدي ،عبدالرحمن ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،ط١،(مصر : دار الغد ، الجديد ،٢٠٠٥م)ص٤٧٨ -٤٧٩

شُفَعَـٰٓؤُكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾
الأنعام: ٩٤

،فالفراغ الموجود في الآية من سورة الكهف قوله تعالى :﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴿٤٨﴾ ﴾ الكهف: ٤٨ ، سده لفظ " فرادى " الموجودة في سورة الأنعام ، وهذا الحذف حقق الاتساق بين سور القرآن .

٢ -**الحذف الفعلي** : ويقصد به الحذف داخل المركب الفعلي ،نحو قولك :(هل كنت تدرس ؟) فتجيب :(كنت أدرس) ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴿١٨﴾ ﴾ الكهف: ١٨.**والتقدير " ونقلبهم ذات اليمن ، (ونقلبهم) ذات الشمال.**

٣ - **الحذف القولي** : نحو قولك :(كم درست ؟) فتجيب : (درست ساعة).

مما هو ملاحظ عن الأمثلة المتقدمة ، فإن الحذف يقوم بدور اتساقي ، على الرغم من أن هذا الدور يختلف عن الدور الذي تلعبه الإحالة ، لأن في الحذف لا يوجد أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص إلا ما دلّ عليه دليل من السياق .

أما عن المواضع التي يكثر فيها الحذف فقد ذكرها " **هاليداي و رقية حسن** " في جملة الاستفهام لأنها تعد الدرجة القصوى للحذف المعجمي ، وسبب ذلك أن جملة الاستفهام تشمل على دليل الحذف ، وذكرا أنواعا أخرى للحذف واعتبراها مهمة في التحليل النصي مثل : حذف بعض الأحداث دون البعض في التسلسل الزمني للقصة .

وقد لاحظ الباحثان أن أكثر الأنماط قياما بمهمة التماسك النصي هي :

١ - حذف الاسم.

٢ - حذف الفعل .

٣ - حذف العبارة .

٤ - حذف الجملة .

٥ - حذف أكثر من جملة [١] .

علاقة الحذف بالإحالة :

يعدُّ الحذف ذا طبيعة مرجعية سابقة ، " وذلك أن شرط الجذف هو العلم بالمحذوف ، وهذه الكلمة هي الأساس الذي تدور عليه ظاهرة الحذف، لأن الحذف دون توفر القرينة والدليل من باب الغيب والرجم به [٢]، ووجود القرينة والدليل هو بمثابة المرجع والإحالة .

وأحيانا تكون مرجعية الحذف خارجية ، وهذه تعتمد على سياق الحال الذي يمدنا بالمعلومات التي تسهم في تفسير المثال ، لكن الحذف المرجعي للخارج – خارج النص - ، ليس له مكان في التماسك [٣]النصي كونه لا يربط بين وحدات النص المختلفة ، فأماكن تواجد هذا النوع على مستوى الجملة الواحدة لا على مستوى الجمل المترابطة .

والجملة الواحدة ليس فيها مذكور – في الغالب – يدل على المحذوف ، كي يمكن فيما بعد أن يتماسك مع ما يدل عليه في الجملة .

وقد ذكر " **هاليداي** " أمثلة كثيرة ، خاصة في الاستفهام ، توضح أهمية المرجعية في تحقيق التماسك بين جملة الاستفهام وجملة الجواب ، إذ يوجد في الغالب ، حذف الكثير من العناصر في جملة الجواب ، يدل عليه ما

---

(١)الفقي ، علم لغة النص ،ج٢ ،ص١٩٦

(٢)الشاوش ،أصول تحيل الخطاب ،ج٢ ،ص١١٤٨

(٣)الفقي ، مرجع سابق ،ج٢ ،ص٢٠١

ذكر في جملة الاستفهام [١].

وعليه يمكن أن نستنتج بأن مرجعية الحذف على **ضربين** : **الأول** منه قد تكون في الغالب على مستوى الجمل وهذا النوع هو مرجعية الحذف السابقة أو اللاحقة أو المتبادلة ، أما **الضرب الثاني** فهو الذي يكون على مستوى الجملة المفردة ، وهذا النوع هو المرجعية الخارجية ، التي ليس لها أثر في تحقيق الاتساق ، كون هذا الأخير يتحقق في العلاقات بين الجمل ، وليس في العلاقة بين الجملة وسياقها الخارجي.

علاقة الحذف بالاستبدال :

لا يختلف الحذف عن الاستبدال ، باعتباره علاقة اتساق من جهة ثم بكونه يتحقق بوجود عنصرين سابق ولاحق ، لكن المظهر البارز الذي يميزه عنه ، هو أن عنصر الاستبدال يشكل – بوجود عنصريه – علاقة حضور بينما يشكل الحذف – بإلغاء أحد عنصريه –علاقة حضور وغياب في آن واحد : حضور المبدل منه وغياب المبدل ، ولذلك يميل بعض الباحثين إلى تسميته " استبدالا صفريا " أو الاكتفاء بالمبنى العجمي "Substitution "[٢] وهذا ما ذهب إليه " هاليداي ورقية حسن "،أي أن علاقة الاستبدال تترك أثرا ، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال ، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثرا ، ولهذا فإن المستبدل يبقى مؤشرا يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض ، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال ، بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف ، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء [٣]، لكن الإبدال الذي يعنيه " هاليداي ورقيه حسن " غير الإبدال الذي يعنيه علماء

---

(١)بوسته ، محمود ، الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، رسالة ماجستير من جامعة الحاج لخضر بانتة في الجزائر ، (د.ط ،٢٠٠٩م) ،ص٩٢

(٢)دي بوجراند ،النص والخطاب والإجراء ، ص٣٤٠

(٣)خطابي ، لسانيات النص ،ص٢١

النحو العربي.

فالمثال التالي : عمر قرأ بعض الكتب وعلي(...) بعض المجلات ، فالفراغ الخالي الموضوع بين قوسين في الجملة الثانية يعتبر من وجهة " هاليداي ورقيه حسن" صفرا ،لأنه خال من الكلام ،فهو إذن يعبر عن الاستبدال الصفري ،ومن ثم فإن هناك إبدالاً بين " قرأ" في الجملة الأولى والصفر أو المقدر في الجملة الثانية، وفي هذه الحالة تبرز لنا علاقة الاتساق بين الجملتين .

لكن المثال نفسه لا يعد في النحو العربي بدلا ، بل يمثل نوعا من التكرار للفظ الفعل ، وبهذا فالتكرار هو الذي ساهم في اتساق هاتين الجملتين وليس البدل .

ومن الأمثلة التي جاءت في كتب النحو العربي ، المثال الذي أورده المبرّد في المقتضب ، وهو قول قيس بن الخطيم :

نحنُ بِمَا عِندنا وأنتَ بِما عِنْدكَ راضٍ والرَّأي مختلفٌ

والمراد منه نحن بما عندنا راضون ، وأنت بما عندك راضٍ[1] ، ويمكن تمثيله كالآتي :

نحن – بما –عندنا – (...)
↑
أنت – بما – عندك – راضٍ ، هذا إبدال من الصفر بتعبير هاليداي ، التماسك هنا تحقق عبر عدة جوانب :

١ - تكرار اللفظ نفسه .

٢ - الإحالة بين الشطرين .

---

(١) المبرد ، المقتضب ،تحقيق : عبدالخالق عظيمة ،د.ط ، (القاهرة :المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية ، ١٣٩٩)،ج٤ ،ص٧٣

٣ -وجود دليل على المحذوف .

بعد هذا يمكن القول إن العلاقة بين الحذف والإبدال ، هي في الحقيقة علاقة بين الحذف والتكرار ،لأن هذه النماذج ليست من الإبدال وعليه فالذي يقصده " هاليداي ورقيه حسن " ، لا يماثل الإبدال التابع في النحو العربي .[١]

٤-العطف :

إن التصور القائم على أن النص : " عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا ، يجعله كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص "[٢] ، فيعطي إشارة واضحة على أهمية العطف في بناء اتساق النص و تماسكة.

فقد جعل " **هاليداي ورقيه حسن** " أدوات العطف إحدى وسائل الاتساق ، وهذا ما نجده في كتابهما " الاتساق في الإنجليزية "، حيث كان العطف الوسيلة الرابعة من وسائل الاتساق المذكورة في الكتاب وهي (الإحالة – والإبدال – والحذف – والعطف – والاتساق /التماسك المعجمي).

وقد تنبه " **محمد الشاوش** " في كتابة " أصول تحليل الخطاب " إلى دور العطف في تحقيق التماسك النصي ، واعتبره أحد مظاهر الربط بين الجمل ، وأفرد له جزءاً كبيرا من كتابه ، شارف على المائة صفحة[٣].

وقد جعل " **دفيد كريستال** " العطف أول وسيلة من وسائل التماسك النصي ،... إلى جانب وسائل أخرى مثل الإحالة بأنواعها ، والتكرار

---

(١)الفقي ، علم لغة النص -بين النظرية والتطبيق -، ج ٢،ص٢٠١

(٢)خطابي ، لسانيات النص ،ص٢٣

(٣)الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ،ج١ ،ص٤٠١ -٤٩٨

والعلاقات المعجمية ، والمقارنة [١].

ولقد تكتسب حروف العطف معانيها من السياق الذي ترد فيه [٢]، فقد قسم علماء النص الربط إلى عدة أقسام :

١ - **الربط الإضافي** : (Additive) : بواسطة الأداتين " الواو" و " أو ".

٢ - **الربط العكسي** :(Adversative) :الذي يعني على عكس ما هو متوقع ، والأداة التي تعبر عن الوصل العكسي ، في نظر " هاليداي ورقيه

---

(٤)الفقي ، مرجع سابق ، ج١ ،ص٢٥٧

(١)معاني حروف العطف:

١ - الواو: تفيد مطلق الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، ذاكرت النحو والأدب.

٢ - الفاء: تفيد الترتيب مع التعقيب، دخلت البصرة فالكوفة.

٣ - ثُمّ: تفيد الترتيب مع التراخي حضرت للكلية في الصباح ثم عدت لمنزلنا في المساء.

٤ - أو: تفيد بعد الطلب التخيير أو الإباحة، تزوج هندًا أو أختها، اشرب ماء أو لبنًا.

وتفيد بعد الخبر الشك أو الإبهام، لبثنا يومًا أو بعض يوم، "وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين".

٥ - حتّى: تفيد التدرج والغاية، غلبناكم حتى الأشداءَ، نحترمكم حتى الأطفالَ، مات الناس حتى الأنبياءُ، شمل عدل عمر كلّ الرعية حتى الظلمةَ.

٦ - أم: تفيد مع همزة تسبقها التعيين فتكون مغنية عن(أيّ)، أزيد عندك أم خالدٌ؟وتفيد التسوية إذا وقعت بعد همزة مسبوقة بما يفيد التسوية، سواء أحضر محمد أم حضر علي؟

٧ - لكنْ: تفيد تقرير حكم ما قبلها، وتثبت نقيضه لما بعدها (الاستدراك)، ويشترط أن يليها مفرد(أي: غير جملة)، وألا تقترن بالواو، وأن تسبق بنفي أو نهي، ما قرأت قصة لكنْ رواية، لا تقرأ قصة لكنْ رواية.

٨ - بلْ: تفيد الإضراب، وتكون حرف عطف إن تلاها مفرد(أي: غير جملة)، وأن يتقدمها أمر أو إثبات، فتجعل ما قبلها كالمسكوت عنه، ذاكرْ نحوًا بل أدبًا، ذاكرت نحوًا بل أدبًا. أو أن يتقدمها نفي أو نهي ك(لكنْ)؛ فتفيد تقرير حال ما قبلها وإثبات نقيضه لما بعدها، ما حضر محمدٌ بل خالدٌ، لا تقابل محمدًا بل خالدًا.

٩ - لا: تفيد النفي، ولذا لا يعطف بها بعد النفي، وإنما بعد النداء، أو الأمر، أو الإثبات، يا خالدُ لا حاتمُ، ذاكرْ نحوًا لا صرفًا، قرأت نحوًا لا أدبًا.

حسن " هي : " yet " [١]، والتي يمكن أن نقابلها في العربية الأداة " حتى ".

٣ - **الربط السببي** : فيمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر ، وتمثله " So" والتي يمكن أن تقابلها في العربية " وهكذا ".

٤ - الربط الزمني " علاقة بين جملتين متتابعتين زمنيا ، وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هو " Then " والتي تمثلها حرف العطف " ثم ".

٥- الاتساق المعجمي:

وينقسم إلى قسمين هما:

أ - الاتساق المعجمي التكراري . ب - الاتساق المعجمي التضامي .

ويعرّف الأول ، بأنه إعادة عنصر معجمي[٢] ،أو مرادفه[٣] ، أو شبيهه [٤]، أو عنصر عام يشمله[٥] .

ويعرّف الثاني ، بأنه توارد زوج من الكلمات بالفعل[٦] أو بالقوة[٧] ؛ نظراً لارتباطهما بحكم علاقة ما .

ويرى الباحثان ،أن النص يكتسب نصيته ،من وجود تلك الاعتبارات إذ هما يميزان الخطاب من النص ، بمعنى : أنهما يؤمنان بأن نصية النص قضية داخلية ، ووظيفة المتلقي أمامها الحكم بوجودها ، أو عدمه ؛ إذ قد قام

---

(٢)عبداللطيف ، محمد حماسة ، بناء الجملة العربية ، ط١ ، (دار الشروق ، ١٩٠٥ م) ،ص١٩٣

(١)مثاله : شرعت الصعود إلى القمة ، كان (الصعود) سهلاً.

(٢)مثاله : شرعت الصعود إلى القمة ، كان (التسلق) سهلاً.

(٣)مثاله : شرعت الصعود إلى القمة ، كان (المشي) سهلاً.

(٤)مثاله : شرعت الصعود إلى القمة ، كان (هذا) سهلاً.

(٥)قصدا ارتباط الكلمتين لأن دلالة إحداهما ملازمة لدلالة الأخرى بالتعارض أي أنهما أضداد.

(٦)قصدا ارتباط الكلمتين لأن دلالة إحداهما متضمنة في دلالة الأخرى كجزء منها .

بحثهما – الاتساق في اللغة الإنجليزية – على موازاة بين الاتساق في النص ، والخصائص التي تجعل من عينة لغوية ما نصاً [١]؛ مما حدا بهما ، إلى عدّ الروابط داخل النص ، هي النصية ؛ أي الخاصية التي تحول الخطاب إلى نص ؛ لأن الخطاب – من وجهة نظرهما – هو ما فوق الجملة ويقصد به الخطاب ؛ أي يساويان ما فوق الجملة ومفهوم الخطاب ، في حين أن النص هو مجموع الروابط التي تسمح بالحكم على الخطاب بأنه متسق .فالنص ميزة من ميزات الخطاب [٢] ، ويؤدي هذا الفهم بالضرورة إلى عدّ كل عمل كتابي نصا ؛ إذ لا يخلو عمل كتابي، مهما كان جنسه أو نوعه ،من تلك الروابط ، أو أدوات الاتساق – على ما يسميانها – كلها أو بعضها .

رغم هذه الدقة المنهجية في طرح هاليداي ورقية حسن ، فإنهما لم يستطيعا أن يوصلا قارِءهُما ، إلى الإجابة عن تساؤل بسيط مفاده : لم – ما دامت نصية النص فيه – يختلف الحكم على نص ما ، بين شخصين من أبناء اللغة بنصيته ، ويحكم آخر ،في الوقت ذاته ، بعدم وجود النصية فيه . أي يحكم أحدهما بأنه مجرد عمل أدبي حسب مفهوم بارت Barthللعمل ،في حين يحكم الآخر بأنه نص حسب مفهوم بارت للنص . هذا الإشكال يقود بالضرورة إلى عدم التسليم بوجهة نظرهما هذه ، من أن النص يتشكل عند وجود أدوات الاتساق ، التي عرضا لها ، إذ لا بد من وجود اعتبارات أخرى ، غير هذه التي ذكراها . فلو سلمنا بمقولتهما ،لوصلنا إلى كون كل عمل أدبي نصا ، وهذا خلاف الواقع [٣]. ثم لو طبقنا نتائج دراستيهما على أي مكتوب (نصا أو عملا أدبيا) لوجدنا أن المتحصل لا يتجاوز ما قُدم في الأسلوبية الإحصائية . هذا ما لحظناه عندما اطلعنا على دراسة (الفقي) الذي

---

(٧) الخطابي ، لسانيات النص ، ص١٢

(١)الخطابي ، مرجع سابق ، ص١٦

(٢)بوسته ، محمود ،(٢٠٠٩م)الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، رسالة ماجستير من جامعة الحاج لخضر بانتة . الجزائر ، د.ط ،ص٩٢

طبق مفهومهما للنص وأدواته ، على النص القرآني ، فوصل إلى قراءة أسلوبية للنص ، وفق مفهوم الأسلوبية الإحصائية ، التي نعلم جمعيا ، أن من المآخذ ، ما يجنبنا التعامل معها مفردة ، في دراسة العمل ، فكيف ، والحال أنا نتعامل والنص [١]. فلو سلمنا بقولهما وبنتائج دراسة الفقي المشار إليها ، المبنية على وجهة نظرهما ، لكان مفهوم علم اللغة النصي ، يساوي -تماما – مفهوم الأسلوبية الإحصائية ، وهذا خلاف واقع العلمين . ومع هذا ، فلا ننكر أن بين تلك الاعتبارات (أدوات الاتساق) و علم اللغة النصي وشائج قربى ، لا تخفى على ذي عين ؛ إذ قضية علم اللغة النصي ، ليست جوابا فقط ، عن سؤال كهذا : هل هذه الأدوات تربط المتواليات الجملية ، أم لا ؟ إذ علم اللغة التقليدي ، قد وصل إلى إجابة عن هذا السؤال – منذ عصور خلت – إجابة شافية ، ولم يدع مجالا لمستزيد . لكن سؤال علم اللغة النصي مختلف تماما عن السؤال السابق ؛ إذ سؤاله : كيف استخدم النص هذه الاعتبارات ؟ ولماذا ؟ من جهة ثانية ؛ لأن الحكمة تقضي ألا تكون المسألة مسألة وجود تلك البدائل الرابطة ، من ضمن بدائل محتملة ، بل المسألة مسألة ، ما أثر هذا البديل في التماسك التركيبي ، والربط المعنوي في الوقت ذاته ؟!

(١)أبو خرمة ، ، نحو النص – نقد النظرية ... وبناء أخرى ،ص٨٥

المبحث الثاني :فنديك وجهوده :

يتفق معظم الباحثين في الدراسات النصية ، حول أهمية جهود الباحث الهولندي " فنديك " (ولد سنة ١٩٤٣م) ، وإسهاماته في بلورة نظرية متطورة عن علم النص ، فقد تجاوز بأعماله المدرسة الأنجلوساكسونية والمدرسة الفرنسية ، واستطاع أن يسمو إلى ما هو عالمي وإنساني " حتى وصل هذا الباحث الهولندي ومدرسته إلى أهم نتائج دراسات الأبنية النصية الكبرى، وتناهيها مع البحوث البلاغية ، وهو المسار الذي كانت تتخذه أعمال مجموعات أخرى من الباحثين في ألمانيا على رأسهم سبلنر SPILNER "[١]

مرت أعماله بمراحل وتطورت بداية من ١٩٦٨م إلى أيامنا هذه ، حيث أولى اهتماما في البداية بنظرية الأدب خاصة .لتبدأ رحلته مع نحو النص ونظرية البنية الكبرى والمنطق ، والانسجام بداية من ١٩٧٠م ، ثم تصبح أعماله أكثر نضجا بداية ١٩٨٠م . لربطه علم النص بعلوم إنسانية مختلفة كعلم النفس وغيره [٢]. لكن يمكن إبراز نظرية " فنديك " من خلال بعض أعماله :

١-النص والسياق ١٩٧٧م. ٢ -علم النص : مدخل متداخل الاختصاصات ١٩٨٠م.

ذلك أن هذه الأعمال تعرض جلّ أفكاره وتلخص أهم النتائج التي توصل إليها فيما يخص الانسجام ،خاصة أن الكاتب اهتم بهذه القضية في كتاباته ما بين السبعينيات والثمانينيات وقلّ إنتاجه حولها بعد ذلك ،ليتنقل من الاهتمام بالتحليل اللساني النصي إلى التحليل الاجتماعي والسياسي للخطاب في

---

(١)صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص٢٥١

(٢)فنديك ، علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ،تر. سعيد حسن بحيري ، د.ط ، (القاهرة : دار القاهرة للكتاب ، ٢٠٠١م)، ص ٤٨٢ -٤٨٣

التسعينيات .

المطلب الأول :من أهداف " فنديك " :

أول ما يمكن ملاحظته على أعمال " فنديك " كسر الحاجز الذي يفصل علم الأدب عن علم اللغة ، ثم كسر الحاجز الذي يفصل علم اللغة عن مختلف العلوم والمعارف ، بحيث يرى أن تطور مختلف الفروع العلمية أثر على دراسة علم اللغة الذي أصبح هو الآخر يعرف داخلا مع هذه العلوم ، وتوسعا لمهامه وانشغالاته فقد أصبح علم النص يستفيد من علم النفس الاجتماعي ، والأنتربولوجيا ، وعلم الاجتماع ، وعلم القانون ، وعلم التاريخ ، والطب النفسي [١].

كما يلاحظ أن " فنديك " يعرض نظريته بوضوح ، وبدقة علمية تعتمد في الكثير من الأحيان على التجريد ، لا تكائه في الوصف والتحليل على المنطق الصوري .

وكان هدفه من وضع قواعد لنحو النص واضحا من خلال رؤيتين متكاملتين منسجمتين هما :

- النظر إلى النص من الداخل (بنيته).

- النظر إلى النص ، في علاقته مع المتلقي (وظائف النص).

فالهدف إذن هو توجيه النظرية اللسانية في اتجاه التداولية ، وكثيرا ما يعتمد في ذلك على نصوص بسيطة ، كالنصوص الإشهارية أو التجارية ، ونشرات الأخبار ، والخطاب البرلماني .

فلم يكن يهتم بجودة النص ، والنص الأدبي الرفيع ، بقدر ما كان

(١)فنديك ، علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ،ص ٤٨٢ -٤٨٣

يهتم بدقة الوصف والتحليل . الملاحظ أيضا أن جهود " فنديك " تمس بشكل صريح مفهوم النص ووظائف متعددة والأدوات الإجرائية لتحليله .

المطلب الثاني :فنديك ونحو النص :

حاول فنديك بمنهج آخر ، يختلف عن منهج هاليداي ورقية حسن ، أن يجد القواعد التي تسمح للمتلقي بالحكم ، على نص ما بالنصيّة ، بمعنى : أنه عمل أدبي منسجم ومترابط . ورغم أن مفهوم فنديك للنص لا يختلف ، عن مفهوم هاليداي ورقية حسن له ، بمعنى : أنه يرى أن كل متتالية جملية خطية نص ، وإن اختلف معها ، فيما يخلق النصية ، في العمل الأدبي .

اعتقد فنديك أن المعنى السياقي ؛ أي معنى المفردة في تركيب جملي ما يختلف عن معناها المعجمي ؛ أي خارج التركيب، وآمن أن هذا الاختلاف من أثر السياق ، ويعني بالسياق – هنا - معرفة العالم تحديدا ؛ أي مجموع الخبرات الحياتية الواقعية ، التي يكتسبها الفرد ، في منظومته الاجتماعية . وأكد أن هذه المعرفة ، هي التي تشكل المعنى ، في النصوص[١] . وهي التي تخلق انسجامه ، وترابطه . وفرق بين الانسجام والترابط ؛ إذ الترابط ، هو : وجود علاقة سبب ونتيجة في التركيب ، وتكون الجمل مترابطة ، بالقدر التي تكون فيها النتائج متعالقه مع المقدمات ، تعالقا مباشرا ، ويضعف الترابط ، كلما كان التعالق غير مباشر ، أو غامضا . وربط بين درجة التعالق من حيث مباشرته ، وقبول المتلقي للنص[٢] . أما الانسجام فقد جعله مرتبطا بالدلالة ؛ وذلك من خلال التعالقات التالية ، وهي : تطابق الذوات

---

(١)لقد صاغ محمد الخطابي في لسانيات النص مشكلة حاول فنديك حلها في كتابه (النص والسياق) ألا وهي : مشكلة " صعوبة الفصل بين المعنى المعجمي وبين المعرفة حول العالم في النصوص ، بحيث يرى المعرفة التي يقدمها المعجم ليست إلا مجموعة فرعية من معرفتنا للعالم .، لسانيات النص ، ص٣٠

(٢)الخطابي ، لسانيات النص ، ص٣١ - ٣٣

[١]والكل والملكية [٢] ، ووجود الإطار [٣]، والحالة العادية المفترضة للعوالم[٤] ، وتعالق المحمولات [٥]، والتذكر والاسترجاع [٦]. وأدخل في انسجام النص ، قضية الترتيب ، وركز على الترتيب المقيد ، دون الحر ؛ إذ هو الذي يظهر قصدية الناص . وحدوثه – أي الترتيب المقيد – دون أثر دلالي ، أو تداولي ، يخل بالانسجام في النص من وجهة نظره [٧]. ثم تحدث في قضية تمام النص ونقصه – فالخطاب التام : هو الذي يذكر كل الوقائع المشكلة لمقام معين يوجد فيه . ولا يمكن تحقيقه واقعا . والخطاب الناقص : هو الذي ينفي من الوقائع الفعلية المشكلة لمقام معين يوجد فيه -وبين أن المعتبر في النص ، ليس التمام أو النقص ،بل هو الاختبار ،بحيث لا تظهر جمل أو قضايا لا تخدم البنية الكلية في النص ؛ لأن ذلك يؤدي إلى اختلال انسجام النص [٨] وبنى **فنديك** كل هذا ؛ ليصل إلى أن النص ، ما هو إلا بنية كلية ، ذات موضوع ؛ بمعنى : أن النص يدور في بؤرة محددة ، هي موضوعه . وأن كلّ الجمل الأخرى ما هي إلا شرح ، وتفسير ، وإعادة صياغة ، لتلك البؤرة . واستدل

---

(١)الضمائر المحلية إلى شيء بعينه ، ويعبر عنه مرة ثانية بالتطابق الإحالي . وهو ما يعرف في الثقافة العربية بدلالة المطابقة في المبهم والمضمر .

(٢)وهو ما يعرف في الثقافة العربية بدلالة التضمن

(٣) كعلاقة الخاص بالعام وهو ما يعرف في الثقافة العربية بدلالة التضمن أيضا

(٤) كوجود أشياء ضمن تصور كلي مما يفضي إلى الحقل الدلالي وهي من دلالتي التضمن والالتزام.

(٥)كعلاقة أشياء لا تنتمي إلى حقل دلالي واحد ولكنها تستلزم وجودها في إطار قريب أي علاقة بين إطارين قريبين وهو ما يدخل في دلالة الالتزام .

(٦)خلق علاقة نتيجة لوجود علاقة قائمة تطلبها مما يندرج تحت دلالة التضمن أو الالتزام

(٧)الترتيب الحر : لا يظهر للمتلقي دليل على أصله : كان معي علي وسليمان وتوفيق . بالنسبة للمتلقي هذا لا يختلف عن الترتيب التالي كان معي توفيق وعلي وسليمان . إذ كان يسمع الجملة لأول مرة.

الترتيب المقيد : يظهر مباشرة أن الترتيب فيه اختلاف عن الأصل : صليت ركعتين ثم توضات ودخلت المسجد . فيسأل المتلقي : الأصل أن يتوضأ ثم يدخل المسجد فيصلي ....

(٨)الخطابي ، لسانيات النص ، ص ٤٠ -٤٢

على سلامة فكرته ، بأن المتلقي ، بعد سماعه للخطاب ، أو قراءته للنص يسأل : ماذا قال ؟ هذا موضوع غير مترابط . ما العلاقة بين هذه وتلك ؟ ... الخ . وهذا يؤكد أن المقصود هو إيجاد بنية كلية ذات موضوع[١] .

مما تقدم ، يظهر جليا أن **فنديك** لم يكن يبحث عن تحليل الخطاب ، بقدر ما كان يبحث عن منطقية النص . ورغم ذلك لم ينجح في إثبات هذه المنطقية ، ويدل على ذلك ، ما قدمه جون ليونز في كتابه اللغة والمعنى والسياق حين قرر المثال التالي [٢]:

(Have you seen Mary? I haven,t Peter hasn,t ether . She is never here when she should be .)[٣]

فأكد نصية هذه المتتالية الجملية ، في حين رفض رفضا قاطعا ، قبول نصية المتتالية الجملية ذاتها حين أضاف إليها بعض التحسينات ، التي لا تمس العلاقات التي قررها فنديك سواء في مستوى الترابط ، أو الانسجام ، أو الترتيب ، أو البنية الكلية والموضوع ، ولا يمكن عدُّ التحسينات التي أضافها جون ليونز ، من قبيل التي عدها فنديك نصوصا فوق تامة ، أو تحت تامة ، والنص المحسن هو التالي :

(Have you seen Mary? I have not seen Mary . Peter has not seen Mary (ether).Mary is never here when she should be)[٤]

---

(١)الخطابي ، لسانيات النص ، ص ٤٢ -٤٦

(٢)جون ليونز ، اللغة والمعنى والسياق ، ص٢١٩ -٢٢٠

(٣) ترجمة المثال : هل رأيت ماري؟ أنا ملاذ، بيتر هاسن، البروم ثنائي الفينيل تي تي. أنها ابدأ هنا عندما قالت أنها ينبغي أن يكون.

(٤) ترجمة المثال: (هل رأيت ماري؟ أنا لم آر ماري. بيتر لم تر مريم (أثير البروم ثنائي الفينيل).ماري ابدأ من هنا عندما قالت أنها ينبغي أن تكون)

فالقاعدة التي أقرها **فنديك** ، بأن القضايا تكون متعالقة ؛ أي تحقق النصية ، بقدر ما تكون مرتبطة بموضوع التخاطب ، عادت مسألة فيها نظر ؛ إذ القطعة الثانية أشد ارتباطا بموضوع الخطاب من الأولى فقد حققت تطابق الذوات ، والتطابق الإحالي ، ووجود إطار ، وتعالق محمولات ، وعلاقة استرجاع ، ومع هذا لم تحقق النصية.

على كلّ ، فهذا مجمل رأي فنديك في نحو النص ، ولا نزعم أنه لم يقارب قضايا نحو النص في كليتهما، بل ندعي أنه قاربها في جزئياتها ، وعنصر من عناصرها ، دون أن يصل إلى نظرية دقيقة شاملة ، لمفهوم النص ونحوه ، قابلة للتطبيق على جميع النصوص ، لا على تلك التي اختارها هو أو صنعها .

المبحث الثالث : براون ويول ونحو النص :

ينطلق **براون ويول** ، باتجاه ثالث ، حيث يعدان كلّ وحدة لغوية أكبر من الجملة ، موضوعا لتحليل الخطاب [١] ، وينطلقان أيضا ، من اختزال وظائف اللغة ، إلى وظيفتين أساسيتين ، هما : النقل والتفاعل ، فالنقل : هو نقل المعلومات بين الأفراد والجماعات والأفكار والثقافات .أما مفهوم التفاعل فهو : استخدام اللغة من أجل تعزيز العلاقات الاجتماعية والحفاظ عليها [٢].لذا ، كان من أبرز مبادئ الانسجام ، في الخطاب – عندهما –ما يأتي :

أولاً: السياق ؛ بمعنى : مجموع العناصر الخارجية (غير اللغوية) ، التي تساعد في نقل المعلومة ، أو تنشيط التفاعل ، ضمن مفهوم التعاون ، بين المرسل والمتلقي [٣].وذكر عشر خصائص ، يمكن أن نلاحظ تأثيرها في خطابات متنوعة ، مجتمعة أو متفرقة [٤] ، وهي :

- المرسل :المتكلم / الكاتب الذي ينتج القول .

- المتلقي : المستمع / القارئ الذي يتلقّى القول .

- الجمهور : هم الحضور مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي .

- الموضوع :مدار الحدث التواصلي .

- المقام :زمان ومكان الحدث التواصلي وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه..

---

(١)الخطابي ، لسانيات النص ، ص٤٧

(٢)الخطابي ، مرجع سابق، ص ٤٧ - ٤٨

(٣)الخطابي ، مرجع سابق، ص٥٢ -٥٦

(٤)الخطابي ، مرجع سابق ، ص٥٢

- القناة : الكيفية التي يتم بها التواصل بين المشاركين في الحدث التواصلي : كلام ، كتابة ، إشارة ..

- النظام : اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل ي التواصل .

- شكل الرسالة : دردشة ، جدال ، عظة ، خرافة ..

- المفتاح :الهدف من الرسالة وغايتها : الإقناع ، التأثير .

-الغرض: أي أن كل ما قصده المشاركون نتج عن الحدث التواصلي [١].

ثانياّ: مبدأ التأويل المحلي ، وهو ثاني مبادئ الانسجام – عندهما – بمعنى : تقييد تأويل النص بما ورد فيه من معلومات ، واستغلال المعرفة السابقة ، عن طبيعة النصوص ، وتشكل المواقف ؛ أي : الالتزام بدوائر النص المعطاة ، دون التعسف في التأويل ، وليّ عنق النص ، باحتمال المعنى البعيد ، عند وجود معنى أقرب ، يمكن التدليل عليه ، من النص مباشرة [٢] .
ثالثاً: مبدأ التشابه و هو ثالث هذه المبادئ ويعني : اعتماد مقارنة نصوص حالية بنصوص سابقة ، والقياس على معطيات السابق في اللاحق [٣].

رابعاً: ختما هذه المبادئ بمبدأ التغريض ، ويعني : افتراض أن الجملة الأولى ، في أي نص ، لها الحظ الأوفر في التأثير في الجمل التالية ؛أي إن كل جملة ، تُفهم بناء على معطيات الجملة التي قبلها ، وحركة النص ، حركة تراكمية خطية ؛ لذا كانت الجملة الأولى ، هي الأوفر حظا في التأثير [٤] ، مما حدا بعض الدارسين ، إلى عد العنوان ،هو مفتاح العلاقات في

(١)الخطابي ، مرجع سابق، ص ٥٣
(٢)الخطابي ، مرجع سابق، ص٥٦ -٥٧
(٣)الخطابي ، مرجع سابق، ص٥٧ -٥٩
(٤)الخطابي ، مرجع سابق،ص٥٩ -٦١

النص ، وموجه الفهم ؛ لأنه يكون في البداية [١].

يمكن لنا من مناقشة المبادئ ، التي قدمها **براون ويول** ، أن نتوصل فعلا إلى أن التشابه مثلا ، من وجهة نظرهما ،يفترض وجود خبرة عامة سابقة ، عن النصوص والمواقف ، فهما يفترضان أنه لا وجود لفهم النص ، ما لم توجد معرفة العالم . وهذه الفكرة ، لا تختلف ، إلا بالصياغة ، عما قدمه فنديك ، في هذا المنحى . أما عند حديثهما في التأويل المحلي ، فكانا يتحدثان في قضية الملازمات التي يجوز استدعاؤها ، عند تأويل النص ؟ هذه الفكرة كانت في خلد فنديك تماما ، ولكنه أولى مناقشة المتضمن على الملازم، وهما فعلا العكس ؛ أي قدما مناقشة الملازم على المتضمن . ونظرا لحديثهما في التفاعل ، وظيفة من وظائف اللغة ، فقد بينا عليها أن النص يفقد خيطا من خيوط التواصل التفاعلي ، لا بد من افتراض هذا الخيط فيه ، بناء على منطق صوري خالص ، وإلا عادت اللغة غير تفاعلية .وهذا أيضا ، كان من منهج فنديك ؛ لذا كانت عمليات الانسجام ، هي ما يلي :

<u>أولا: المعرفة المسبقة</u> . وتنحصر عندهما فيما يأتي :

- **الإطار** : طريقة تمثل بها المعرفة الخليفة بوجود وضيعات جاهزة في ذهن المتلقي ناتجة من معرفته بالعالم من خلالها بتكيف المعطى الجديد بتغيرات وتحويرات على تفاصيل عند الضرورة ؛ أي استحضار كل البيئة المحيطة بالمراجع في الواقع كخبرة سابقة يوظفها المتلقي في فهم النص .

- المدونة : جزء من الإطار تعنى بتأكد أن ما يفعل من الإطار هو التابع القريب ويستبعد التابع الأبعد .

- **السيناريو** : استغلال المتكلم / الكاتب للمقدمات المناسبة كي تقود

(١)الخطابي ، مرجع سابق،ص٦٠

إلى تنشيط الإطار المناسب خلال عملية التواصل .

- **الخطاطة** : استغلال المتكلم / الكاتب بنيات معرفية تضم توجهات حتمية ضمن الثقافة الفردية وجنسه تهيئ المتلقي لتأويل النص بطريقة ثابتة .

وهي جمعيها توصل إلى فكرة واحدة مع اختلاف المسميات [١] فاستعمل علماء النفس المعرفي الأخيرين ،في حين استعمل علماء الذكاء الاصطناعي[٢] الأولين [٣].

ثانيا : الاستدلال كافتراض تجسيري[٤] ، ويقصد بهذا المصطلح :

عملية افتراضية يقوم بها القارئ للانتقال من المعنى الحرفي (المنطوق حسب مصطلح علم أصول الفقه) لما هو (مكتوب – منقول) إلى ما يقصد (المتكلم – الكاتب) إيصاله (المفهوم حسب الأصوليين).

ثالثا : الاستدلال كرابط مفقود [٥] ، ويقصد به :

وصول المتلقي إلى نتيجة لم تذكر في النص باستغلال مقدمات صادقة مذكورة . وميزا ، خلال هذا العنوان ، بين الاستدلال ، ويقصد به : عملية قبول احتمال دلالة مقدمات على نتيجة لا توصل إليها أصلا مع عدم وجود مقدمات كافية تسند نتيجة أخرى .

والترابط الآلي ويقصد به : عملية الاستنتاج من مقدمات صادقة .

والترابط غير الآلي ويقصد به : عملية الاستنتاج من مقدمات صادقة . نتيجة

---

(١)الخطابي ، مرجع سابق،ص٦١ -٦٩

(٢)الذكاء الاصطناعي : هو البرمجيات التي تحمل بها الآلة لتسلك (سلوكا محددا أو نصل إلى نتيجة) بناء على البرمجة فنمتلك القدرة على القياس .

(٣)الخطابي ، مرجع سابق ،ص٦٢

(٤)الخطابي ، مرجع سابق،ص٦٩ -٧٠

(٥)الخطابي ، مرجع سابق،ص ٧٠ -٧١

مقدمة جديدة لاستنتاج تال[١] .

تجدر الإشارة هنا إلى أن علماء الذكاء الاصطناعي الذين عنوا بعلم اللغة النصي وتحليل الخطاب ، لم يتعدوا إجمالا الأفكار التي قدمت أنفا ، وبخاصة تلك التي قدمها فنديك ، و براون ويول [٢] ، فقد عنوا جميعا بمنطقية النص ، من خلال المقدمات والمعنى والأسباب والنتائج.

(١)الخطابي ، مرجع سابق،ص ٧١ - ٧٢

(٢)الخطابي ، مرجع سابق ،ص ٧٣ -٧٥

الباب الثاني :

التحليل النصي لسورة المؤمنون

الفصل الأول :

الدائرة النصية معالمها ونحو النص ،من خلال ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول** : معالم الدائرة النصية.
- **المبحث الثاني** : البنى النصية الكبرى.
- **المبحث الثالث**: البنى النصية الصغرى

مدخل :

بعد أن مضى الحديث في الباب الأول :عن الجانب النظري لنظرية نحو النص ،عند علماء المسلمين وعلماء الغرب ، بقي لنا كي تكتمل الصورة أن نتلمس القواعد الأساسية التي تحكم النص نحواً ودلالة من خلال التطبيق في سورة المؤمنون كما أُرهص بذلك عنوان هذا البحث .

المبحث الأول :معالم الدائرة النصية :

إن لأثر الدائرة النصيّة في تشكيل نحو النص معالم ؛ تظهر ما يمتلكه النص من قدرة على تنظيم المكوّنات الداخليّة ، واتساق هذه المكوّنات ، وانسجامها مع المعارف المحيطة به ؛ فيبدو من خلال ذلك أن النحو النصي العام جعل " النص يراقب نفسه حتى لا يتبعثر بصفة نهائية "[١]، بحيث يتمظهر النص المُنتج على أنه يضم استراتيجيات معيّنه للحدث، واختيار الوسائل المناسبة لتحقيقها ؛وهذا ما يجعلنا نبحث في الوحدة القرآنية –المؤطره لنحو النص – من حيث انبثاقها المتآني أو المتعاقب ، واختلافها وافتراقها ، بل وتناقضها إن اقتضى الحال [٢] حتى نتحقق من كون النص منسجماً ومتماسكاً من الناحيتين : المظهريّة والدفينة ، ونستطيع توظيف فاعليّة التوليف ، وانتقاء العناصر الفاعلة من المنهجيّات الملائمة ، فتكون محكّاً لاختبار مقولات النقد النصي والنتاجات النقديّة المعاصرة ، وإظهار جدواها في إبراز فضاء شمولي تكاملي أشدّ إيغالاً في عمق النص [٣]، واستخراج الأعمال القوليّة المتضمّنة في الأقوال في حدّ ذاتها –وهي التي سمّيت بالمحتويات القضويّة– ومعرفة القواعد التحضريّة والجوهريّة ذوات الصلة بمقام التواصل .

---

(١)مفتاح ، محمد ، المفاهيم معالم : نحو تأويل واقعي ، ط١، (بيروت : المركز الثقافي العربي ،١٩٩٩م)، ص١٨٩

(٢)أبو زنيد ، عثمان ، نحو النص – إطار نظري ودراسات تطبيقية –ص١٩٦

(٣)صالح ، بشري ، نظرية التلقي (أصول ... وتطبيقات) ، ط١ ، (الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠١م)، ص ٢٧ -٢٨

وإنّ لتحديد الموضوع المبحوث نصيّاً ، وتحديد مكوّناته ، وعناصره وأجناسه وأنواعه وأنماطه ، وشكل العلامات التي يتخذها (لفظيّة أو غير لفظيّة)، وطبيعة الثقافة التي ينتمي إليها ، الأثر الأوسع في معرفة الدلالات التي تنتمي إليه ، والقيم التي يحملها ، والعلامات اللسانيّة التي يتحقق بها ، والوقوف على ما يمكن أن تجسدّه نصيّة النص ؛ وإظهار موقعه من القضايا والإشكالات التي يثيرها [١]، وبلورة تلاقيها ، وتضافرها ، وتلاؤمها ، وتصاحبها ، وتشاكلها ؛ ممّا يجعل فكرة تنظير النص وتقنين الكتابة أمرين مرفوضين [٢]، لا سيّما إذا انطلق هذا النموذج أو المعيار من خلال مُتحدٍ أحادي اللسان؛ تتواصل إعادة تنظيمه باستمرار ، ويحافظ مداره اللساني على متحدٍ خطابي يدين بتماسكه إلى تواتر التفاعل الاجتماعي وكثافة في النص .

وإذا كانت فاعلية الانسجام النصي تحتاج إلى تَيقظ للدقيق من أبعاد النص ،وخفاياه ، واكتناه أسرار الكلام ، و ترتيب الخطاب ، يلبّي طموحات النظريّة ، ويتوخّى اعتماد معطياتها في التطبيق ، فإن إمكانيّة تحققها واقعاً يظل نسبيّاً ، ومتعلقاً بمقدرة الباحث على معالجة النص بوصفه الشمولي ، ومقدار تأثره بالنص .

ولما كانت نظريات الاتصال تتسع لتشمل الحركات ، والإشارات ، والأصوات ، والرموز ، والصور ، وكل ما أعطى معنى ؛ وتجعل من اللغة أقوى أدوات الاتصال ، فإنها قد عدّت النص حدثاً اتصالياً ينظر إليه بوصفه وحدة واحدة ، متركّبه من جوانب متعدّدة ، ممتزج بعضها ببعض ، تنصهر فيه متماهية ولا تبدو إلا كلاً موحّداً[٣].

---

(١)يقطين ، سعيد ، الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي)، ط١ ، (الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٧م) ، ص٤٩ -٥٢

(٢)مرتاض ، عبدالملك ، قراءة النص بين محدوديّة الاستعمال ولانهائية التأويل، د.ط ، (.سلسلة كتاب الرياض ١٩٩٧ م) ،ص٤٦، ١٠ -١٣

(٣)أبو زنيد ، عثمان ، مرجع سابق، ص١٩٨

فالبحث في الدائرة النصيّة محاولة للوقوف على طبقات العلاقات بين الوحدات النصيّة التي تحكم جميع أنظمة النص المختلفة ، بما فيها المضمون الدلالي للوحدات اللسانيّة ، ومستوى التحقق اللساني ، ونظام العالم النصي الذي يسوس العلاقات النصيّة بما فيها العلاقات المتبادلة بين تراكيب الوحدة النصيّة وطريقة إنشاء المعنى والسلوك النحوي لأجزاء الخطاب [١].

وبما أن العلاقات النصيّة تجمع بين اللغة والعالم ، والإحالة اللغويّة إلى العالم الخارجي تتزيّا بزيّ التداوليّة ؛أي العلاقة بين المخاطب وسياق التخاطب [٢]، فإنّ وضع حدود فاصلة بين معالم الدائرة النصيّة يظل أمراً قابلاً للأخذ والرد ، لا سيّما إذا كانت المعالجة النصيّة المتكاملة تحتاج لمعايشة النص واقعياً.

وإذا نظرنا للنص الذي نعالجه نجد أنه يقوم على فكرة محوريّة واحدة نواتها إثبات الوحدانية للّه تعالى ، ولكننا نجد أن قضية الإيمان ليست مسألة فردية وحسب ،بل هي تنتظم بين المخلوق و ربه، وتبين لنا أن امتحان الإيمان ما كان إلا لنثبت احقيتنا في وراثة الفردوس.

فهذا مما يحفز العقل على التساؤل ...من أين أتت كل هذه الأمور ؟ وإذا أردنا وضع احتمالات فمن الممكن ان نقول إنها أوجدت نفسها بنفسها أو الصدفة أتت بها أو أن هنالك موجدا أوجدها ... وهذا الاحتمال الصادق الأكيد. لكن من هذا الموجد؟ ولماذا أوجدها و أوجدنا ؟ وكيف ستترتب العلاقة بين الموجد و الموجود؟ ما هي نهاية الوجود ؟

وتفصيل هذا ،بالإشادة إلى خصال المؤمنين المصدقين باللّه ورسولهﷺ التي استحقوا بها ميراث الفردوس الأعلى في الجنان ، ثم أبانت الأدلة على

---

(١)أبو زنيد ، عثمان ، مرجع سابق ، ص١٩٨

(٢)الغانمي ، سعيد ، اللغة والخطاب الأدبي ، ط١ ، (الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٣م)، ص١٠٥

وجود اللّه تعالى والقدرة الإلهية والوحدانية من خلق الإنسان مرورا بأطواره المتعددة، وخلق السموات البديعة، وإنزال الماء منها لإنبات الجنات أو البساتين التي تزهو بالنخيل والأعناب، والزيتون والرمان، والفواكه الكثيرة، وإيجاد الأنعام ذات المنافع العديدة للإنسان، وتسخير السفن لحمل الركاب والبضائع. ثم أوردت قصص بعض الأنبياء والمرسلين كنوح وهود وموسى وهارون وعيسى وأمه مريم، لتكون نماذج للعبرة والعظة عبر الأجيال، وتسلية لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم عما يلقاه من أذى المشركين من قريش، مع توبيخهم ووعيدهم على استكبارهم عن الحق، ووصفهم النبي صلّى اللّه عليه وسلم بالجنون وغيره، وعدم إيمانهم برسالته، وإخبارهم بما يلقونه من العذاب والنكال يوم القيامة، وإقناعهم بالأدلة والبراهين على حدوث البعث والنشور.

وفي خلال ذلك أوضحت بعض الآيات يسر التكليف وسماحته وعدم المطالبة إلا بما فيه الوسع والقدرة، والتذكير بما أنعم اللّه به على الإنسان من نعم الحواس والمشاعر، والإنكار الشديد على نسبة الولد والشريك للّه تعالى. ثم طمأنت الآيات النبي صلّى اللّه عليه وسلم عن نجاته من القوم الظالمين، ووضعت له أسلوب الدعوة إلى اللّه تعالى، وعرفته طريق الاعتصام باللّه من همزات الشياطين.

وعرضت السورة في خاتمتها لموقف الحساب الرهيب وأهواله وشدائده، وما فيه من معايير النجاة والخسران، من ثقل الموازين وخفتها، وقسمة الناس إلى فريقين: سعداء وأشقياء، وعدم إفادة الأنساب في شيء، وتمني الكفار العودة لدار الدنيا ليعملوا صالحا، وتذكيرهم بسخريتهم وضحكهم من المؤمنين، وسؤالهم عن مدة لبثهم في الدنيا، وتوبيخهم على إنكار البعث، وإعلان تفرد الإله الملك القاهر بالحساب ومحاورته أهل النار، وبيان خسارة من عبد مع اللّه إلها آخر، ونجاة أهل الإيمان والعمل الصالح، وإفاضة رحمة اللّه عليهم ومغفرته لهم.[1]

(١)زحيلي، وهبه ، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ،موقع نداء الإيمان .

المبحث الثاني :البنى النصيّة الكبرى :

إن البنيّة النصيّة الكبرى في الأساس بنية دلاليّة ، وهي ترتبط بالجنس النصي والإطار الإنجازي ، ولكي نبحث عنها ينبغي أن نؤكد على ما يصنع وحدة النص ، باعتباره كلاً وليس مجّرد متتالية من الجمل[١]،وسورة المؤمنون تقع ضمن إطار المكيات الذي يتسم بكونه يشترك في خصائص دلالية كبرى يتميز بها على المستوى الدلالي . وغالب المكي أنه " مقرر لثلاثة معان"[٢] .كبرى لا غير، هي المحور الذي تدور عليه كل سور هذا الإطار ، وأي معنى آخر بدا أول الأمر " وبادئ الرأي خروجه عنها ؛ فراجع إليها في محصول الأمر " [٣]..وأن ما يتخلل معاني هذه السورة أو يلحق بها أو يسبقها من "الترغيب والترهيب ، والأمثال والقصص ، وذكر الجنة والنار ووصف يوم القيامة وأشباه ذلك فهو خادم لتلك المعاني "[٤] . وسورة المؤمنون تتضمن ثلاث بنى كبرى ،وهي على النحو الآتي :

أولاً: تقرير الوحدانية للّه تعالى .

ثانياً: تقرير النبوة والرسالة لمحمدﷺ.

ثالثاً: إثبات أمر البعث والدار الآخرة .

إن هذه البنى الثلاث ترد على وجوه متنوعة تبعا لتنوع الوقائع والادعاءات ، فتقرير الوحدانية للّه مثلاً قد يأتي بنفي الشريك بإطلاق، أو بنفي [٥]" كونه

---

(١)قريرة ، توفيق ، التعامل بين بنية الخطاب وبنية النص في النص الأدبي ، ط٢ ، (عالم الفكر ، ٢٠٠٣م)، ص١٨٣

(٢)الشاطبي ، أبو إسحاق ، الموافقات في أصول الشريعة ، .تحقيق .عبدالله دراز ، د.ط ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ،ج٣،ص٣١١

(٣)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق، ج٣ ،ص٣١٢

(٤)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق ،ج٣،ص٣١٢

(٥)رآغين ،بو شعيب ، بحث بعنوان : مظاهر انسجام واتساق الخطاب القرآني في ضوء المكاملة بين لسانيات النص الحديثة والدرس الأصولي،ص٩ -١٠

مقرباً إلى الله زلفى، أو كونه ولداً أو غير ذلك من أنواع الدعاوى الفاسدة"[١] التي " ادعاها الكفار "[٢]، وعلى هذا المنوال يقاس المعنيان الآخران الأول والثاني .

وهذه البنى على الرغم من هذا التعدد الظاهري تؤول في نهاية التحليل إلى معنى واحد هو الأصل الذي جاءت الرسالة من أجله :" وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى"[٣].

وإذا كانت سورة المؤمنون لا تشذ هي الأخرى عن هذه القاعدة المقررة ،طبقاً لما أكده الشاطبي إذ قال: "إذا تقرر هذا وعدنا إلى النظر في سورة المؤمنون مثلاً وجدنا فيها المعاني الثلاثة على أوضح الوجوه "[٤]، فإن ذلك لا يعني أنه تكرر بحرفية كاملة ، ومطابقة تامة ، في التفاصيل والجزئيات هذا النموذج أو النسق الثلاثي المقترح ، إذ كل سورة من السور المكية قد يغلب عليها معنى من المعاني السابقة ، هو الذي تركز عليه السورة ويكون محورها الذي تدور حوله ، (وإلا كانت السور نسخا طبق الأصل ، وتتزه القرآن عن ذلك).

وسورة المؤمنون مناط التمثيل والتطبيق هنا قد " غلب على نسقها ذكر إنكار الكفار للنبوة "[٥]. بسبب استكبارهم على وصف البشرية في الأنبياء ، فهم لم يتصوروا أن يكون الأنبياء من البشر .إن هذا المعنى الذي يندرج تحت المعنى الثاني (المتعلق بـ" تقرير النبوة ")من المعاني الثلاثة ، السابق ذكرها ، والموصلة كلها إلى جوهر السورة ونواتها ، بل ونواة المكيات كلها ألا وهو الدعوة إلى الله تعالى، و إن كان قد غلب على نسق السورة فإنه لم

(١)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق ،ج٣،ص٣١١
(٢)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١١
(٣)الشاطبي ، أبو إسحاق، مرجع سابق ،ج٣،ص٣١١
(٤)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٢
(٥)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٢

يلغ المعنيين الآخرين ولم يقصمها ، كما لم يأت أيضا بديلا عنهما ، ولكنه جاء مدخلا إليهما لا غير " مدخلا للمعنيين الباقيين " [١]بتعبير الشاطبي .

إن سورة المؤمنون و إن " اشتملت على معان كثيرة "[٢] فهي الاخرى ، وكغيرها من المكيات " نازلة في قضية واحدة "[٣] . هي الدعوة إلى عبادة الله عز وجل ، إلا أن التعبير عن هاته القضية النواة تم – في السورة– عبر بيان " وصف البشرية " الذي كان السبب في إنكار الكفار لنبوة محمد -ﷺ -" ترفعا منهم أن يرسل إليهم من هو مثلهم "[٤] في صفة بشر، وبيان "ما تنازعوا فيه منها ، وبأي وجه تكون على أكمل وجوهها حتى تستحق الاصطفاء و الاجتباء من الله تعالى "[٥].

بسبب ذلك فقد جاءت السورة كلها خادمة لهذا المعنى على الرغم مما يظهر عليها في السطح للقارئ المتسرع من اختلاف في المعاني وتباين في الدلالات ، وانفصال وعدم ترابط فيما بين المواضيع المشار إليها في السورة ، الأمر الذي أشير إليه تصريحا[٦]، حيث " الجملة الأولى من السورة تشعر بخلاف الاستكبار "[٧].استكبار قريش الذين لم يستسيغوا أن يبعث الله فيهم رسولا باعتبارها تدل على قضية واحدة رغم الاختلاف وعدم الانسجام الظاهري فـ"الانسجام الخارجي والانسجام الداخلي ليسا من دون علاقة النصوص " دائما ، كما يؤكد " ميشال شارل " في كتابه" مدخل لدراسة النصوص ".

---

(١)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٢

(٢)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٢

(٣)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١١

(٤)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٢

(٥)الشاطبي ، أبو إسحاق ، ، مرجع سابق ج٣،ص٣١٢

(٦)رآغين، بوشعيب بحث بعنوان : مظاهر انسجام واتساق الخطاب القرآني في ضوء المكاملة بين لسانيات النص الحديثة والدرس الأصولي،ص٩ -١٠

(٧)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٢

ولأن "الحديث عن الانسجام (...)ليس شيئاً آخر سوى تحديد علاقة داخلية "[١] . أو بالأحرى علاقات ، فقد نجتهد في إظهار هذه العلاقات الداخلية التي تربط أجزاء السورة بملفوظاتها ، وتلحم سدى بعضها ببعض ؛ ولأن " العلاقات بين الملفوظات يمكن أن تكون إما واضحة أو ضمنية "[٢] . فقد عمل أبو إسحاق على استظهارها بنوعيها من أجل تأكيد وحدة السورة ، والتدليل على تماسكها وانسجامها [٣].

وعلى ضوء ذلك فإنّ تحديد أشكال التماسك الكلي منحى لغوي ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضفيه المعالج على النص ، والذي يختلف باختلاف درجات كفاءته؛ وتحديده للبنى الكبرى يكون تبعاً لذلك متعلقاً به وبمعارفه واهتماماته ، وقدرته على الربط بين المقام والمقال ، والقرائن والعلاقات التي تمكنّه من شرح كيفيّة قيام النص بوظائفه ، وتوزّع البنى والوحدات الجزئيّة فيه .

وفي ضوء هذا فإن رؤيتنا لتوزيع البنى النصيّة الكبرى ناتجة عن افتراض التوازن الذي يفرضه النحو الكامن في أي نص بين مستوياته المتعدّدة ، من داخليّة وخارجيّة ؛ إذ نفترض أن ثمّة توازناً ما يربط بين بنية النص الكليّة وبينة العالم الذي أنتج النص ، وأن ثمة علاقة بين تكوّن النص وشكله ومعناه ، وتلك العلاقات الداخلية ، والمعاني الإحاليّة للنص .

فالأبنية الكبرى التي افترضنا أنّها محكومة بنحو النص ونظامه المفترض تمكّننا من التعرف على أبنية أخرى محددّة هي الأبنية الصغرى، وهذا بدوره يقودنا إلى تحديد النظام الداخلي والخارجي والترتيب الكلي

---

(١)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق ،ج٣،ص٥٣

(٢)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٥٦

(٣)رآغين، بوشعيب بحث بعنوان : مظاهر انسجام واتساق الخطاب القرآني في ضوء المكاملة بين لسانيات النص الحديثة والدرس الأصولي،ص٩ -١٠

لأجزاء النص ، ووصف علاقاته الداخليّة والخارجيّة وشرح مظاهرها المتعدّدة [١].

(١)أبو زنيد ، عثمان ، نحو النص – إطار نظري ودراسات تطبيقية –ص٢٠٤

المبحث الثالث :البنى النصيّة الصغرى :

سبق الذكر أن البنية النصيّة الكبرى هي البنية العميقة الدلاليّة والمنطقيّة التي تظهر ملتحمة بشكل يميّزها عن غيرها من سائر مستويات النص ؛ وأنها بنية تجريديّة كامنة تمثل محيطاً ما من النص قد يمتدّ ليشمل النص كله ، وقد يتقلص إلى جزء محدود منه ، يجمع هذا المحيط منطقٌ واحدُ يبرزه عمقُ التماسك بين أجزائه .

و إن تبين علاقة كل بنية بما تسبقها وبما تليها ، يشكّل في النص تماسكاً ذا طبيعة تركيبيّة دلاليّة يصل في ما بين البنى النصيّة الصغرى المكوّنة للبنى الكبرى ضمن السياق الكبير (Macro Context) للنص ذي العلاقات الترابطيّة فيما بين المكوّنات المتتابعة [١]، إذ إن محتويات النص المعرفيّة يخضعها تنظيم يفرضه التقاء الوحدات الدلالية والترتيب المنطقي الذي يحدّد نقاط الوصل بين وحدات النص المعرفيّة [٢].

ومن الضروري أن نميّز بين التنظيم المتأصل في النص والتنظيم الذي نتصوّره من جهتي العناصر التي تكوّن النص ؛ والعالم المحيط بالنص [٣]، فالوظيفة التواصليّة تتميّز عن الوظيفة الدلاليّة بالقصديّة التي تأخذ بعين الاعتبار العلامات العُرفيّة المتواضع عليها بين الناس [٤]، وتقلل من شأن " الفكرة التوليديّة التي يتخذها النص لنفسه "[٥].

---

(١)المسدي ، عبدالسلام ، الأسلوبيّة والأسلوب ، ط٢، (تونس : الدار العربيّة للكتاب ،١٩٨٢ م)،ص١٧٥

(٢)نيوبرت ،ألبرت وغريغوري ،شريف ،الترجمة وعلوم النص ،ترجمة :محي الدين حميدي ،(ط١ -٢٠٠٢م)،الرياض :منشورات جامعة الملك سعود ،ص١٢٦

(٣)أبو زنيد ، نحو النص –إطار نظري ودراسات تطبيقية – ص٢٠٥

(٤)إبراهيم ،عبدالله واغانمي ،سعيد وعلي ،عواد ،معرفة الآخر :مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ،(ط١ -١٩٩٠م) بيروت والدار البيضاء :المركز الثقافي العربي،ص٨٥

(٥)بارت ،رولان ،لذة النص .(ترجمة : منذر عياشي)، ط ١، (حلب : مركز الإنماء الحضاري ، ١٩٩٢م)، ص١٠٩

وعند تفكيك تلك المعاني الثلاثة ، ينتج لدينا تقسيم المعنى الأول – تقرير الوجدانية لله تعالى –إلى جمل ثلاث في سورة "المؤمنون" التي قسمها الشاطبي في كتابه " الموافقات " :

الجملة الأولى :تبتدئ من بداية السورة إلى الآية الحادية عشرة ،من قوله تعالى :﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المؤمنون: ١ - ١١ ،ويعتبرها الشاطبي الجملة المركزية فيه معبراً عنها بـ " الآكد في المقام "[(١)]لأنها اختصت " بيان الأوصاف المكتسبة للعبد التي إذا اتصف بها رفعه الله وأكرمه"[(٢)] . وهذا أكثر التصاقا وأقوى تعلقا بمحور السورة [(٣)].

فكان افتتاحها بالبشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم على ما تَحلَّوا به من أصول الفضائل الروحية والعملية التي بها تزكية النفس واستقامة السلوك [(٤)].

الجملة الثانية : تنطلق مما انتهت عنده سابقتها وتنتهي عند الآية السادسة عشرة ، من قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً

---

(١)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٢

(٢)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٢

(٣)رآغين، بوشعيب بحث بعنوان : مظاهر انسجام واتساق الخطاب القرآني في ضوء المكاملة بين لسانيات النص الحديثة والدرس الأصولي،ص٩ -١٠

(٤)ابن عاشور ، التحرير والتنوير، موقع نداء الإيمان

فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ المؤمنون: ١٢ – ١٦، واهتمت بـ" بيان أصل التكوين للإنسان وتطويره الذي حصل له"(١).

ومروره في المراحل التسع المذكورة دليل واضح على وجود اللّه تعالى و وحدانية وقدرته العظمى.

فقد بدأ اللّه تعالى خلق آدم عليه السلام من طين أو تراب، ثم جعل ابن آدم مخلوقا من نطفة (مني) يلتقي مع مني المرأة، فيبدأ تخلق الجنين، ثم تتحول النطفة إلى علقة (دم متخثر) ثم تصبح مضغة (قطعة لحم) ثم تصير عظاما، ثم تكسى العظام باللحم الذي تظهر فيه ملامح الإنسان، ثم يصير خلقا جديدا مباينا للخلق الأول بنفخ الروح الحركية فيه بعد أن كان جمادا. فتبارك وتعالى اللّه أحسن الخالقين وأتقن الصانعين، لهذا الإبداع والإنشاء العظيم:﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ النحل: ١٧

وبعد هذه المراحل السبع، وولادة الإنسان، وتمتعه بالحياة المقدرة له، أي بعد الخلق والحياة تحدث نهاية الإنسان بالموت، ثم يأتي البعث بعد الموت، وكل من الخلق الأول (النشأة الأولى) ثم الإماتة (إعدام الحياة) ثم البعث (إعادة ما أفني وأعدم) دليل قاطع على قدرة اللّه تعالى على فعل كل شيء.

والآيات صريحة في أن اللّه وحده هو الخالق، وهو المحيي، وهو المميت، وهو الباعث، واللّه هو الحق، ووعده بالبعث حق، والجنة حق، والنار حق.

وذلك كله لإثبات البعث الذي ينكره المشركون والملحدون الماديون الذين يرون أن الدنيا هي نهاية المطاف، وألا حياة أخرى بعدئذ، وإنكارهم الحياة الآخرة وإنكار وجود اللّه أو وحدانيته هو مذهب المادية، وعقيدة الجاهلية، وأسّ الكفر وعماده.

---

(١)الشاطبي ، أبو إسحاق ، الموافقات في أصول الشريعة ،ج٣، ص٣١٢

أما أهل الإيمان فهم الذين يشكرون ربهم الخالق الذي أنعم عليهم بنعمة الإيجاد والإحياء والرزق، وهم الذين يبادرون إلى أداء التكاليف التي كلف اللّه بها عباده بعد أن أصبحوا قادرين على تحمل التكليف، ثم لابد من مجيء يوم القيامة والبعث بعد الموت لتسلم الجائزة الكبرى على العمل الصالح، ومجازاة المؤمنين بالجنة، وعقوبة الكافرين بالنار[١].

الجملة الثالثة :تبدأ من الآية السادسة عشرة وتنتهي عند الآية الثانية والعشرين ، من قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المؤمنون: ١٧ - ٢٢

"بعد أن ذكر اللّه تعالى النوع الأول من دلائل قدرته وهو خلق الإنسان، أتبعه بذكر أنواع ثلاثة أخرى من تلك الدلائل وهي خلق السموات السبع، وإنزال الماء من السماء وتأثيره في إنبات النبات، ومنافع الحيوانات وهي هنا **أربعة أنواع:** الانتفاع بالألبان، وبالصوف، وباللحوم، وبالركوب، وذلك كله مما يحتاج إليه الإنسان في بقائه" [٢] من خارج بما يليق في التربية والرفق "[٣]. من تسخير للسماوات والأرض وما بينهما حتى تستقيم حياته.

---

(١)زحيلي، وهبه ، مرجع سابق،موقع نداء الإيمان.

(٢)زحيلي، وهبه ، مرجع سابق ،موقع نداء الإيمان .

(٣)الشاطبي ، أبو إسحاق ، الموافقات في أصول الشريعة،ج٣،ص٣١٢

بعد استعراض هذه الجمل الثلاث نلحظ استعراض السورة لقصص الأنبياء وما أصابهم من أقوامهم واستهزاء بهم " بأمور منها كونهم من البشر "[١].

لقد كان رفض وصف البشرية بالنسبة للأنبياء الثابت المتكرر في كل القصص التي وردت في حقهم بعد الجمل الثلاث .فقد كان هذا حال قوم نوح الذين قال الله تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٤

كان حال قوم آخرين أجمل الله سبحانه وتعالى ذكرهم بعد قوم نوح ، وهؤلاء " أرسل فيهم رسولا منهم ؛ أي من البشر لا من الملائكة "[٢]. فقالوا أيضا كما قال قوم نوح ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٣

إن في أمر نوح والسفينة وإهلاك الكافرين لدلالات على كمال قدرة اللّه تعالى، وأنه ينصر أنبياءه، ويهلك أعداءهم، وأنه تعالى يختبر الأمم بإرسال الرسل إليهم ليظهر المطيع والعاصي.

وكان هذا حال قوم موسى وهارون أيضا الذين ردوا كما رد سابقوهم " قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٤٨ -٤٩

(١)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٢

(٢)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٣

وعليه ، فالارتباط بين هذه الآيات وبين ما قبلها جار على وفق العادة في سائر الآيات، بذكر قصص الأنبياء بعد بيان أدلة التوحيد، والقصد هو بيان كفران الناس بعد تعداد النعم المتلاحقة عليهم، وما حاق بهم من زوالها.

فبعد أن ذكر اللّه تعالى دلائل التوحيد من خلق الإنسان، والحيوان، والنبات، وخلق السموات والأرض، وعدّد نعمه على عباده، ذكر هنا الحالات المماثلة لكفار مكة من المكذبين من الأمم السابقة، فذكر خمس قصص: هي قصة نوح، وقصة هود، وقصة صالح ولوط وشعيب، وقصة موسى وهارون وفرعون، وقصة عيسى وأمه عليهما السلام .

بعد هذا العمل الوصفي للجزء الأول من سورة المؤمنون [١]"أو المعنى الأول بتعبير الشاطبي " يمر أبو إسحاق إلى مستوى آخر من التحليل (يمكن اعتباره مستوى تأويليا)، حيث يهتم باستظهار وتوضيحها العلائق التي تربط بين مقاطع هذا الجزء أو " الجملة " بتعبير الشاطبي .ومن أجل ذلك فقد عمد إلى دفع ما يمكن أن يبدو "خلافا" أو عدم ترابط بين الجمل الثلاث وبين ما تلاها من قصص الأنبياء. فقصص الأنبياء نوح وموسى وغيرهما ممن لم يشر إليهم بالاسم من الأنبياء، التي تلت الجمل الثلاث، تشترك في معنى واحد هو الاستكبار ، استكبار أقوام الأنبياء الذي كان سببا لرفض أشرافهم وصف البشرية بالنسبة للأنبياء " وهو أنهم إنما قالوا ذلك وغضوا من الرسل بوصف البشرية (محور القصص التي تلت الجمل الثلاث)استكبارا من أشرافهم ، وعتوا على الله ورسوله"[٢] . وهذا المعنى لا تشعر به الجمل الثلاث إذ تتحدث الأولى منها عن صفات العباد المؤمنين المفلحين من محافظة على الصلوات وخشوع فيها ، وأداء للزكاة ، ورعاية للأمانات ... وتتحدث الثانية عن الأطوار أو (التارات السبع)التي يمر بها العبد والتي " كلها ضعف "، بينما تتحدث

(١)رآغين، بوشعيب بحث بعنوان : مظاهر انسجام واتساق الخطاب القرآني في ضوء المكاملة بين لسانيات النص الحديثة والدرس الأصولي،ص ١١

(٢)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٣

الثالثة عما سخرة الله للعبد من سماوات وأرض وما بينهما . فكل هذا " يشعر بخلاف الاستكبار " إذ الجملة الأولى تشير إلى "التعبد لله بتلك الوجوه المذكورة "والتعبد مخالف للاستكبار، و تقرر الجملة الثانية والثالثة على التوالي ضعف العبد ، وافتقاره إلى ما يقيم حياته ويديمها " ولا يليق بمن هذه صفته الاستكبار "[١].

فالجمل الثلاث إذن من حيث المعنى الظاهري غير منسجمة مع ما بعدها من قصص. لكن عدم الانسجام الظاهري يتحول إلى انسجام إذا اعتبرت القصص " كالتنكيت عليهم " [٢]، أي على الكفار ، وكأن مقال الحال يقول كما عبر الشاطبي :" لا يليق بالفقير الاستكبار على من هو مثله في النشأة والخلق "[٣]

وبعد أن أوضحنا العلاقة التي ربطت الجمل الثلاث الأولى بما بعدها من قصص. نحاول في المرحلة التي بعدها أن نبرز العلاقة التي تربط بين هذه الجمل وما بعدها من قصص من جهة ، وما تلا ذلك من جهة أخرى ، ويظهر ذلك حينما نعقد الصلة بين آخر القصص ، حيث الحديث عن عيسى عليه السلام وأمه ، وبين ما بعدها من حديث الله عن كفار قريش.[٤]فبين عز من قائل " أن العمل الصالح "[٥]هو الذي يشرف به الإنسان وهو الذي " يوجب التخصيص لا الأعمال السيئة "[٦]، وذلك حين قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾المؤمنون: ٥٢، فيكون العمل الصالح هو أساس

(١)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٣

(٢)الشاطبي ، أبو إسحاق ، ، مرجع سابق ج٣،ص٣١٣

(٣)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٣

(٤)رآغين، بوشعيب بحث بعنوان : مظاهر انسجام واتساق الخطاب القرآني في ضوء المكاملة بين لسانيات النص الحديثة والدرس الأصولي،ص١٢

(٥)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٣

(٦)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٣

التشريف لا غيره مما افتخر به كفار قريش من مال وبنين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾

﴾المؤمنون: ٥٥ – ٦٥

ذلك العمل الصالح الذي تجسده الآيات الموالية مباشرة للآيات المخصصة لكفار قريش من قوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾المؤمنون: ٥٨ - ٦٢

وهكذا يختم الله عز وجل – كما وصل إلى ذلك الشاطبي" هذا المعنى بنحو ما بدأ به "[1]من بيان الأوصاف التي " إذا اتصف بها (العبد)رفعه الله وكرمه "[2]. فيكون المعنى المؤلف من ثلاث جمل وكثير من قصص الأنبياء والممتد على مساحة اثنتين وستين آية (من أصل مائة وتسع عشرة آية)معنى متماسكا مترابطاً متحداً وموحداً . وهذا المعنى ، كما تمت الإشارة

(١)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٣

(٢)الشاطبي ، أبو إسحاق ، مرجع سابق،ج٣،ص٣١٣

إلى ذلك سابقا ، ليس سوى مدخل للمعنين الآخرين اللذين تجسدهما الآيات الباقيات .[١]

(١)رآغين، بوشعيب بحث بعنوان : مظاهر انسجام واتساق الخطاب القرآني في ضوء المكاملة بين لسانيات النص الحديثة والدرس الأصولي،ص ١٢

الفصل الثاني :

سورة المؤمنون والتماسك النصي ،من خلال ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: مضمون السورة ومقاصدها.

المبحث الثاني: المناسبة.

- المطلب الأول : المناسبة ، التعريف بالمصطلح .
- المطلب الثاني : أهمية المناسبة وعلاقتها بالتماسك النصي.

المبحث الثالث : المناسبة في سورة المؤمنون .

- المطلب الأول :أنواع المناسبة في سورة المؤمنون، ويشمل :
  ١– مناسبة اسم السورة لمضمونها .
  ٢- مناسبة أول السورة لآخرها.
  ٣-المناسبة بين اسم السورة والسورة عبر الآية الأولى.
  ٤- مناسبة آيات السورة لبعضها البعض .
- المطلب الثاني: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها .
- المطلب الثالث :مناسبة السورة للسورة التي بعدها.

المبحث الأول :مضمون سورة المؤمنون:

سورة المؤمنون من السور المكية ،تدور آياتها حول محور تحقيق الوحدانية وإبطال الشرك ونقض قواعده ، والتنويه بالإيمان وشرائعه .

تضمنت السورة الكلام عن أصول الدين من وجود الخالق وتوحيده وإثبات الرسالة والبعث.

وأبرز الموضوعات التي تناولتها السورة على النحو الآتي:

١ - الإشادة بخصال المؤمنين المصدقين باللّه ورسوله التي استحقوا بها ميراث الفردوس الأعلى في الجنان، وتتمثل في قوله تعالى :﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المؤمنون: ١ - ١١

٢ - الدلالة على وجود اللّه تعالى والقدرة الإلهية والوحدانية من خلق الإنسان مرورا بأطواره المتعددة، وتمتعه بالحياة المقدرة له، أي بعد الخلق والحياة تحدث نهاية الإنسان بالموت، ثم يأتي البعث بعد الموت، ثم الإماتة (إعدام الحياة) ثم البعث دليل قاطع على قدرة اللّه تعالى[1]. وتتمثل في قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ المؤمنون: ١٢ - ١٦

---

(١)ابن عاشور ، التحرير والتنوير، موقع نداء الإيمان .

٣ - الدلائل على قدرة الخالق في خلق السموات السبع، وإنزال الماء منها لإنبات الجنات أو البساتين التي تزهو بالنخيل والأعناب، والزيتون والرمان، والفواكه الكثيرة، وإيجاد الأنعام ذات المنافع العديدة للإنسان، وتسخير السفن لحمل الركاب والبضائع. و تتمثل في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المؤمنون: ١٧ - ٢٢

٤ -ذكر بعض قصص الأنبياء والمرسلين كنوح وهود وموسى وهارون وعيسى وأمه مريم، لتكون نماذج للعبرة والعظة عبر الأجيال، وتسلية لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم عما يلقاه من أذى المشركين من قريش، مع توبيخهم ووعيدهم على استكبارهم عن الحق، ووصفهم النبي صلّى اللّه عليه وسلم بالجنون وغيره، وعدم إيمانهم برسالته، وإخبارهم بما يلقونه من العذاب والنكال يوم القيامة، وإقناعهم بالأدلة والبراهين على حدوث البعث والنشور.

و قد بدأت الآيات بذكر قصة نوح عليه السلام ، وتتمثل في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم

مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٣ – ٣٠

والعبرة في ذلك: أن في أمر نوح والسفينة وإهلاك الكافرين لدلالات على كمال قدرة اللّه تعالى، وأنه ينصر أنبياءه، ويهلك أعداءهم، وأنه تعالى يختبر الأمم بإرسال الرسل إليهم ليظهر المطيع والعاصي،ويميز الخبيث من الطيب.

والقصة الثانية : قصة هود عليه السلام، و تتمثل في قوله تعالى :﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ المؤمنون: ٣١ – ٤١

أما العبرة من هذه القصة: فهي إنذار مخالفي الرسول صلّى اللّه عليه وسلم، وبيان عاقبة الكافرين الظالمين الذين ينكرون وحدانية اللّه، ولا يصدقون بيوم القيامة، ويعاندون رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم.

والواضح من الآيات أن هودا عليه السلام أمر قومه بعبادة اللّه وحده لا شريك له إذ لا يستحق العبادة سواه، وحذرهم من الكفر، وخوفهم من عقاب اللّه وعذابه.

أما القوم فكانوا أغبياء إذ صدقوا رؤساءهم وزعماءهم الذين كفروا بربهم وكذبوا بالبعث ولقاء اللّه، وانغمسوا في نعم الحياة المادية التي أنعم اللّه بها عليهم، وصدوهم عن الإيمان، معتمدين على شبهتين:

الأولى: بشرية الرسل وعدم تميزهم عن سائر البشر بميزة تقتضي اتباعهم.

الثانية: إنكار البعث والحشر والنشر والحساب والجزاء.(١)

ورتبوا على ذلك إنكار نبوة هود عليه السلام، وبالغوا في إنكار البعث، وأعلنوا كبقية الماديين الملحدين أن الحياة في الدنيا هي الحياة الوحيدة، أو لا حياة إلا هذه الحياة، وأن البشر سلسلة يموت بعضهم، ويحيا بعضهم، وأن رسولهم هود رجل مفتر كذاب فيما يدعيه من الرسالة وما يزعمه من البعث والجزاء.

وكانت النتيجة الحتمية المطابقة للعدل هي هلاك القوم وتدميرهم بصيحة جبريل عليه السلام مع الريح الصرصر العاتية.

والقصة الثالثة :قصص صالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم:وتتمثل في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٤٢ – ٤٤

هذه هي القصة الثالثة في هذه السورة، وهي مجموع قصص ذات هدف واحد، واللّه تعالى يقص القصص في القرآن تارة مفصلة، كالقصتين السابقتين، وأخرى مجملة كما هنا، والمراد بهذه القصص قصة لوط وصالح وشعيب وأيوب ويوسف عليهم السلام.

---

(١)زحيلي، وهبه ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، موقع نداء الإيمان .

والقصة الرابعة - قصة موسى وهارون عليهما السلام:وتتمثل في قوله تعالى :﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٤٥ – ٤٩

في هذه القصة عبرة بالغة وعظة مؤثرة، فلقد بعث اللّه تعالى موسى وأخاه هارون إلى فرعون وقومه، مؤيدين بالمعجزات والأدلة الواضحة القاطعة الدالة على صدقهما، فدعواه وملأه إلى الإقرار بوجود اللّه وتوحيده، فاستكبروا وتعالوا عن اتباعهما والانقياد لدعوتهما، لكونهما بشرين.

فكان حصاد التكذيب **أمرين**: إهلاك فرعون وقومه بالغرق في يوم واحد أجمعين في البحر الأحمر، وإنزال التوراة على موسى في الطور، فيها هدى ونور، وتشريع وأحكام، وخص موسى بالذكر هنا لأن هارون كان خليفة في قومه، وإيتاء التوراة كان لكليهما.(١)

والقصة الخامسة - قصة عيسى وأمه مريم عليهما السلام:وتتمثل في قوله تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٥٠

والعبرة في وورد هذه القصة بإيجاز لمناسبة المقام، وهو الاستدلال على عظيم قدرة اللّه تعالى على ما يشاء في الخلق ، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى، وانتهى بذلك عصر المعجزات لانتهاء النبوة.(٢)

---

(١)زحيلي، وهبه ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، موقع نداء الإيمان .

(٢)زحيلي، وهبه ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، موقع نداء الإيمان.

أخير ... ختمت آياتها بأمر النبيء صلى الله عليه وسلم أن يغض عن سوء معاملتهم ويدفعها بالتي هي أحسن ، ويسأل المغفرة للمؤمنين ، وذلك هو الفلاح الذي ابتدئت به السورة .

المبحث الثاني :المناسبة ، التعريف بالمصطلح :

المطلب الأول :أولاً :تعريف المناسبة لغة :

من الفعل (نسب) :يعني اتصال الشيء بالشيء، ومنه(النسب) سمي لاتصاله والاتصال به، و(النسيب) :الطريق المستقيم، سمي بذلك لاتصال بعضه من بعض.(١)

ومن معاني المناسبة أيضاً المشاكلة والمقاربة، يقال :بين الشيئين مناسبة أي مشاكلة ومقاربة (٢) .

ثانياً :المناسبة اصطلاحاً:

المناسبة في الاصطلاح لها عدة تعريفات:

- عرفها السيوطي بقوله: "ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى ا لربط بينهما عام أو خاص، عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أم أنواع التلازم الذهني، كالسبب والمسبب والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين ونحوه[٣] "
- والإمام البقاعي عرفها بقوله": علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال (٤)"
- وقال الزركشي :هي " ارتباط آي القرآن بعضها ببعض؛ حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني". (٥)

---

(١) ابن فارس ،معجم مقاييس اللغة، ج ٥ ،ص ٤٢٣ابن منظور ، لسان العرب، ج ١، ص ٧٧٩

(٢)الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ١٧٦؛الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ،ج ١، ص ٤٧٤

(٣) السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن، ج ٢ ص ٣٠

(٤)البقاعي ،نظم الدرر في تناسب الآي و السور،ج ١ ص ٦

(٥)الزركشي،البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، د.ط ،(بيروت -صيدا : منشورات المكتبة العصرية ،د.ت)ج١ ،ص ٣٦

- وعرفها الدكتور مصطفى مسلم بقوله " :هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وبما بعدها" (١)
- أما مناع القطان فقال:" لم ارد بالمناسبة :وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة". (٢)

وترى الباحثة أن تعريف الدكتور البقاعي هو اشمل وأدق التعريفات ؛ لأنه ساهم على تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال فقضية الربط بين المعاني ومقتضيات الحال عنصر مهم في فهم النص فهماً صحيحاً .

المطلب الثاني :أهمية المناسبة :

علم المناسبات من أشرف العلوم؛ لأنه يتعلق بكتاب الله عز وجل ،وهو علم دقيق يحتاج إلى فهم لمقاصد القرآن، وتذوق لنظمه، وبيانه المعجز، وإلى معايشة جو التنزيل، ومعرفة محور السورة والهدف الأساس الذي تدور حوله، لأنه كثيراً ما يأتي إلى ذهن المفسر على شكل إشراقات فكرية أو روحية.

هو علم تعرف منه علل الترتيب بين أجزائه بعضها إثر بعض ، وهو سر من أسرار بلاغته لأدائه إلى تحقيق مطابقة معانيه ما يقتضيه الحال.

فالقرآن الكريم فيه كثير من فنون العقائد والأحكام والأخلاق والوعظ والقصص، وكان من الممكن توزيعها كل فن يستقل بسورة مستقلة فلا تحتاج حينئذٍ إلى الارتباط، ولكن هذا لا يصل به إلى حد الإعجاز في حسن نظمه وتلاؤمه، ومن هنا كانت عادة القرآن أن يجمع بين الفنون المختلفة في سورة واحدة، موزعاً لها في سورها في تنسيق بديع يصل بها إلى الذروة في البلاغة.

---

(١)مصطفى ، مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي، (ط ١ ، ١٤١٠هـ) ،دمشق: دار القلم ،ص ٥٩

(٢) القطان ،مباحث في علوم القرآن، ص ٩

وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة في جميع جملها، لذا كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو، وقد قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره لسورة البقرة" :ومن تأمل لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته "[١]

ومن فائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء. [٢]

علاقة علم المناسبة بالتماسك النصي :

إذا عُلم أن المناسبة تقتضي وجود علاقة بين متناسبين وأكثر ، قد تكون ظاهرة ، وقد تكون خفية فيُبحث عن الدعامة – على حد تعبير السيوطي – التي يمكن أن تجمع بينهما . إذا عُلم ذلك ، فالمناسبة توصل إلى العلاقة . وهذه العلاقة بدورها تقتضي مرجعية من أحد المتناسبين إلى الآخر .

وإذا تحققت هذه المرجعية ، تحقق التماسك بينهما . وهنا تظهر العلاقة القائمة بين المناسبة والتماسك النصي .وإسهامها في التحليل النصي نحو .

المناسبة ← العلاقة ← المرجعية ← التماسك

وإذا رجعنا إلى آراء علمائنا رأينا النيسابوري[٣] قد اكتفى من هذه العلاقة بطرح تساؤلات " فكان يقول إذا قُرئ عليه الآية : لِمَ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة في جعل السورة إلى جنب هذه السورة "[٤].ولا شك

---

(١)القاسم، محمد أحمد يوسف، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ط١ ،(١٩٧٩م)، ص٣٢ ، ٣١

(٢)الزركشي، بدر الدين محمد ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ١ ،ص ٣٦ .

(٣) هو أبو بكر عبدالله بن محمد النيسابوري الفقيه الشافعي الحافظ (ت ٣٢٤هـ)

(٤)الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،ج١ ،ص٣٦

أنه لم يقف عند هذه التساؤلات ، بل كان يجيب عنها ،فقد كان – كما ذكر الزركشي نقلاً عن الشهراباني – غزير العلم في الشريعة والأدب . فهو في هذه الأسئلة يبحث عن وجود المناسبة بين الآيات وبعضها وبين السور وبعضها. وهذا يوصل في النهاية إلى إبراز ترابطها ومن ثم تماسكها .

أما **الزركشي** فيقول: "إن فائدة هذه المناسبة هي جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"(١)

فلا يخفى ما في هذا الرأي من أهمية كبيرة لإبراز وظيفة المناسبة؛ إذ إنها تسهم في تحقيق الارتباط بين عناصر النص. وهذا ما نعنيه بالتماسك النصي. وهذا ما جعل الشيخ عز الدين بن عبدالسلام يشترط في المناسبة" أن يكون ارتباط الكلام واقعا في أمر متحد مرتبط أوله بآخره"(٢).

ويقول **الإمام البقاعي** :" نسبة هذا العلم من علم التفسير مثل نسبة علم البيان من علم النحو(٣) "

ويقول **الرازي** :"أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط " . قال في تفسير سورة البقرة" ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبه علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته" (٤)

وذكر **السيوطي** من ضمن إعجاز القرآن الكريم الوجه الرابع منها وهو:" مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني"(٥)

---

(١)الزركشي ، مرجع سابق،ص٣٦

(٢)الزركشي ، مرجع سابق ،ص٣٧

(٣)البقاعي ،نظم الدرر في تناسق الآي والسور، ج ١ ص ٥

(٤)الرازي ،مفاتيح الغيب، ج ١٠ ص ١٤٥

(٥)الإتقان في علوم القرآن، ج ٧ ص ١٣٩

ويقول **الزرقاني :**"من خصائص أسلوب القرآن ، جودة سبك القرآن، وبإحكام سرده، ومعنى هذا أن القرآن الكريم بلغ من الترابط بين كلماته وآياته ومقاطعه وسوره مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر".(١)

وعليه "فالمناسبة" تعمل على ربط الكلام بعضه ببعض من جهة الألفاظ أو المعاني، أو من جهتهما جميعا، بحيث لا نستطيع أن نستبدل أجزاء أخرى من الكلام بأجزائه الموجودة فيه أو تغيير وضعه الذي جاء عليه، وإن حدث ذلك تنافر الكلام شكلا ومعنى. إذن، فإن المناسبة من أهم العوامل التي تسهم في تحقيق التماسك النصي من ناحية. و من أهم الأسباب ، التي بيّنت إدراك علمائنا القدماء للتحليل النصي بصورة تقترب كثيراً من التحليل المعاصر.

والمناسبة في القرآن ، ليست مناسبات النزول ؛ أي الأحداث الملازمة لنزول القرآن الكريم . بل نقصد بالمناسبة هنا مناسبة ترتيب سور القرآن الكريم بهذه الكيفية ، وكذلك ترتيب آياته المحكمات بهذه الصورة من التماسك والتناسب .

وترى الباحثة أن علم المناسبة علم جليل لارتباطه بجليل – وهو القرآن الكريم – ولإظهار حكمة الجليل – في الربط بين سوره ومقاطعه وآياته حتى أصبح في أجمل حلة على الإطلاق.

(١)مناهل العرفان ، ج ٢ ص٢٤٨

المبحث الثالث :المناسبة في سورة المؤمنون .
المطلب الأول :أنواع المناسبات في سورة المؤمنون :

أ ــ المناسبة على مستوى السورة المفردة.

فالسورة تبدأ من اسمها ، ثم مقدمتها ، ثم مضمونها ، ثم خاتمتها .وذلك كله عبر آيات متعددة ذات فواصل قد تتفق – وذلك الغالب – وقد تختلف .ولكل من هذه الأقسام المكونة للسورة وظيفة ، أو مناسبة إما مع موضوع السورة أو بين أولها وآخرها ، أو بين اسمها ومضمونها ،...إلخ من علاقات المناسبة التي تقوم بدورها بوظيفة التماسك النصي للسورة .[١]

١-مناسبة اسم السورة لمضمونها [٢]:

عنوان النص بصفة عامة ، أول ما يواجهه متلقى النص أو محلله ، ومن ثم فهو يحتل مكانة عالية في التحليل النصي ؛ فالنص قد يكون مكملاً للعنوان ، أو موضحاً له ، ولا شك في أنه يكون مفصلاً للإجمال الكائن فيه ، وكذلك اسم السورة ؛ إذ إنه يمثل عنوانها .

ذلك أن للعنوان" قيمة إشارية تفيد في وصف النص ذاته ،وغنى عن البيان أن طبيعة العلاقات بين النص وعنوانه من المباحث الحيوية الطريفة التي مازالت في حاجة إلى دراسات علمية تحليلية عميقة "[٣].

وقد نبه علماؤنا القدامى على أهمية اسم السورة ؛ إذ " ينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به ، ولا شك أن العرب ترتعى في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشئ من خلق أو صفة

---

(١)الفقي ، علم اللغة النصي –بين النظرية والتطبيق – ج٢ ،ص ١٠٥

(٢)نمط المرجعية هنا متبادلة ؛ فالعنوان يرجع مرجعية لاحقة إلى مضمون السورة ، ومضمون السورة يرجع مرجعية سابقة إلى عنوانها .وكلتاهما مرجعية داخلية . وفي هذا إبراز لقوة التماسك بين اسم السورة ومضمونها.(الفقي ،علم اللغة النصي –بين النظرية والتطبيق -ص١٠٥

(٣)العبد ،محمد ، اللغة والإبداع الأدبي ، ط١ ، (القاهرة :دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨٩م)، ص٤٨

تخصه أو تكون معه أحكم وأكثر أو أسبق لإدراك الرائى للمسمى ، ويسمون الجملة من الكلام والقصيدة والطويلة بما هو أشهر فيها .وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن..."[١] .

وسورة المؤمنون من السور المكية وهي تعرض من اسمها صفات المؤمنين وتشرح مصير من لا يتصف بهذه الصفات. ابتدأت الآيات بذكر صفات المؤمنين العامة، من فلاح ، وخشوع ، وإعراض عن اللغو ، وفعل الزكاة ، وحفظٍ للفروج ، ورعايةٍ للأمانة ، ومحافظةٍ على الصلوات ..إلخ .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾المؤمنون: ١ – ٩

ثم تنتقل الآيات للتذكير بجزاء من تحلى بهذه الصفات ، بأنهم هم الأحقاء بأن يكونوا الوارثين بذلك . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾المؤمنون: ١٠ -١١

ثم انتقلت السورة تعرض تاريخ المؤمنين عبر الأجيال، ثم تستكمل الآيات صفات إضافية لمؤمنين من درجة أعلى ،وهي أربع صفات: خشية اللّه، والإيمان بآيات ربهم، ونفي الشريك للّه تعالى، ويؤدون حقــوق اللّه تعالى كالزكاة والكفارة، وحقوق الآدميين كالودائع والديون، وقلوبهم خائفة ألا يتقبّل ذلك منهم.[٢] في الآيات من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم

(١)السيوطي ، الأتقان في علوم القرآن ،تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج١ ، د.ط، (القاهرة :دار التراث، د.ت)، ص٥٥ -٥٦

(٢)زحيلي، وهبه ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، موقع نداء الإيمان .

مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾المؤمنون: ٥٧ - ٦١، هذه صفات راقية وخاصّة بمؤمنين حقا.

وختمت آياتها بالدعاء قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾المؤمنون: ١١٨ ،والدعاء ضروري لأن المؤمنين لا بد وأن يقعوا في أخطاء ولا يغفر هذه الأخطاء إلا الله بصادق الدعاء.

ومناسبة اسم السورة لمضمونها ينقسم إلى عدة محاور هي :

١-مناسبة أول السورة لآخرها:

في كثير من الأحيان ، يطول النص ، وتتعدد الجمل والفقرات المكونة له بصورة قد يُنسى معها أوله ، وحينئذ يأتي النص بخاتمة تذكر بمطلعه ، وذلك قد يكون بتكرار اللفظ أو المعنى المتحققين في مطلع النص ، أو بتكرار المعنى دون اللفظ ، أو بالإتيان بجملة تفسر المطلع ... أو غير ذلك من العلاقات التي تبين التماسك بين مطلع النص وخاتمته. وجدير بالذكر أن هذا التماسك بين أول السورة وخاتمتها يتحقق عبر العديد **من وسائل التماسك النصي ،وهي :**

١- التكرار (باللفظ والمعنى أو المعنى) . ومنه الترادف .

٢- الإجمال والتفسير .

٣- المرجعية . وهي مرجعية سابقة داخلية .[1]

وقد أدرك السيوطي هذه العلاقة ، و أفرد لها " جزءاً لطيفاً سمّاه: " مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع".

(١)الفقي ، علم اللغة النصي –بين النظرية والتطبيق – ج٢ ،ص ١٢٤

وسورة المؤمنون ،تدور حول قضية الإيمان والمؤمنين ، وتأكيد فلاح المؤمنين ، وعدم فلاح الكافرين ، وهذان التأكيدان كانا موضوع المقدمة والخاتمة ؛فيقول سبحانه و تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾المؤمنون: ١، ويقول في الخاتمة قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١١٧ ﴾ المؤمنون: ١١٧

فقضية الفلاح هي محور المقدمة والخاتمة ، لكنه مثبت للمؤمنين ، منفي عن الكافرين ، وهذا النفي الأخير ، يؤكد الإثبات السابق . " فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة "[1]. على حد تعبير السيوطي في " مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع " : " أولها : " قد أفلح المؤمنون "،وأخرها : " إنه لايلفح الكافرون " ، قاله الزمخشري .

فالمحور الدلالي هو الذي يربط بين المقدمة والخاتمة .

٢-المناسبة بين اسم السورة والسورة عبر الآية الأولى:

وهذا النمط من الأنماط هو الأكثر وروداً في القرآن الكريم ، إذ تأخذ السورة اسمها من الآية الأولى منها . ومن هذه السور :

الإسراء ، وطه ، والمؤمنون ، والفرقان ،و يّس ، والصافات ، وصّ، و قّ ، والذريات ،و الطور ، والنجم ،و القمر ، والواقعة ،و الملك ،و القلم ، والحاقة ، والمعارج ، والمزمل ،و المدثر ، والطارق ،و الأعلى ، والغاشية ، والفجر ،و البلد ،و الشمس ، والليل ، والضحى ، والشرح ،و التين ، والقدر

---

(١) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج ٣ ،ص٣٣١ -٥٦؛ وينظر الزركشي ، بدر الدين ،البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، د.ط، (القاهرة : دار التراث ، د.ت)،ج ١ ،ص١٨٦ .

، والعاديات ، والقارعة ،و التكاثر ، والعصر ، والهمزة، والكوثر ، والكافرون ، والنصر ، والفلق، والناس.[١]

فسورة المؤمنون اسمها يدل عليها ويحدد موضوعها ،فهي تبدأ بصفة المؤمنين ، ثم ... دلائل الإيمان ... ثم حقيقة الإيمان ... من نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ خاتم الرسل والنبيين ، وشبهات المكذبين حول هذه الحقيقة واعتراضهم عليها ... حتى يستنصر الرسل بربهم ، فيهلك المكذبين ، وينجى المؤمنين ... ثم يستطرد إلى اختلاف الناس بعد الرسل – في تلك الحقيقة الواحدة التي لا تتعدد...

وعليه ، فإن سورة "المؤمنون "هي سورة الإيمان ، بكل قضاياه ودلائله وصفاته . وهو موضوع السورة ومحورها الأصيل [٢] ". هذا يبرز التماسك النصي بين مكونات السورة الكريمة من ناحية ، وبينها وبين اسمها من ناحية أخرى خاصة الآية الأولى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾ المؤمنون: ١

ومرجعية هذا كله ؛ من الآية الأولى ، حتى الأخيرة ، مرجعية سابقة ، مباشرة أحياناً ، وضمنية أحياناً أخرى . فالموضوعات كلها تدور حول المؤمنين وصفاتهم ، والإيمان ودلائله وحقيقته ، وذلك على مرِّ التاريخ ، وموقف الناس منه ، والنصر للمؤمنين والخزي للمشركين . ومن ثم فمفتاح السورة ، الآية الأولى ؛ إذ تتماسك مع العنوان أو اسم السورة من ناحية ، ومع مكوناتها السورة من ناحية أخرى .[٣]

٣- مناسبة آيات السورة لبعضها بعضاً :

أثبتت الوسائل (مرجعية الضمائر ،و التوابع ، والتكرار ، والحذف) التماسك النصي بين آيات السورة . وقد فصَّل علم اللغة النصي أكثر هذه

(٢)الفقي ، علم اللغة النصي –بين النظرية والتطبيق – ج٢ ، ص١٢٠

(١)قطب ،سيد ،في ضلال القرآن ، ط١٦ -ج ٤ ، (مصر : دار الشروق ، ١٩٩٠م) ،ص٢٤٥٢

(٢)الفقي ، مرجع سابق ، ص١٢٢

الوسائل ، إضافة إلى وظيفة المناسبة في تحقيق هذا التماسك ، وهذا ما لم يذكره علم اللغة النصي ، غير أن علماءنا قد أفاضوا فيها ، وأكدوا وظيفتها خاصة في النص القرآني.

فقد أكدوا أن مرجع المناسبة في الآيات ونحوها إلى " معنى " رابط بينها ، عام أو خاص ، عقلي أو حسي ، أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني ، كالسبب والمسبب ، والعلّه والمعلول ، والنظيرين والضدّين ،ونحوها "[١]. ولم يكتفوا بتفصيل ذلك المعنى الرابط ، بل تطرقوا إلى ذكر فائدة هذا المعنى الرابط ، وهي " جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء "[٢].

وما يؤكد هذا المعنى أكثر ما قام به السيوطي في شرح علاقة التماسك بين الآيات بقوله : " ذكر الآية بعد الأخرى إمّا أن يكون ظاهر الارتباط ، لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح . وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل ؛وهذا القسم لا كلام فيه . وقد يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى ، وأنها خلاف النوع المبدوء به . فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أولا ؛ فإن كانت معطوفة فلابد أن يكون بينها جهة جامعة ... كالتضاد بين القبض والبسط ... وشبه التضاد بين السماء والأرض ... وإن لم تكن معطوفة ، فلابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام ، وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط .

وله أسباب :

أحدها : التنظير .

---

(١)الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج١،ص٣٥ ؛ السيوطي ، الأتقان في علوم القرآن ،ج٣ ،ص٣٢٣

(٢)السيوطي ، الأتقان في علوم القرآن ،ج ٣ ،ص ٣٢٤ -٣٢٧

الثاني : المضادة.

الثالث :الاستطراد ... ويقرب من الاستطراد ... حسن التخلص ... ويقرب منه أيضاً حسن المطلب ...[١]

وهذا النص مع – طوله – ذو دلالة قاطعة بأهمية المناسبة في تحقيق تماسك النص . ويؤكد كذلك ضرورة وجود دعامة تؤذن باتصال الكلام . وكأن السيوطي يريد القول : إن وسائل التماسك النصي كذا وكذا ؟ .

وعبر قراءة النص القرآني الكريم يمكن إجمال بعض الوسائل التي تحقق التماسك بين الآيات **ومنها** :

١ - تكرار الفاصلة الواحدة .[٢]

٢ - الإجمال والتفصيل بين الآيات .

٣ - ترتيب الجمل حسب ترتيب الأحداث .

٤ - علاقة التضاد.

١ـ تكرار الفاصلة الواحدة :

فسورة المؤمنون تنتهي فيها مائة وخمس عشرة آية بالنون ، مثل " المؤمنون ،خاشعون ، معرضون ، فاعلون ، حافظون ، ملومين ، العادون ، راعون ، يحافظون ، الوارثون ، خالدون ، طين ، مَّكين ، الخالقين ، لميتون ، تبعثون ، غافلين ، لقادرون ، تأكلون ..." ،وثلاث آيات بالميم وهي : مُّستقيم ، العظيم ،الكريم [٣].

---

(٣)السيوطي ، مرجع سابق ،ص ٣٢٤ -٣٢٧

(١)نقصد بالفاصلة هنا الحرف الأخير من الكلمة الأخيرة من الآية وليس المقصود الكلمة الأخيرة كلها كما شرح السيوطي في إتقان القرآن ،ج٣ ،ص٢٠٣ .

(٢)من السور ذات الفاصلة الواحدة كذلك الفرقان ، القمر ، الجن ، الأعلى ، الشمس ، الليل ، القدر ، العصر ، الهمزة ، الفيل ، الكوثر ، الإخلاص ، الناس .

وتسهم هذه الفاصلة في تحقيق التماسك النصي للنص القرآني ، كما يسهم الوزن والقافية في تحقيق صفة النصية للنص الشعري ، ويتحقق هذا التماسك عبر تحقيق هذه الفاصلة للاستمرارية على النص .

وهذا التكرار للفاصلة يبرز فيه مستويان لغويان هما :المستوى الصوتي والمستوى الصرفي ،إضافة إلى مستويات أخرى يتعامل معها علم النص " وتبحث تلك المستويات اللغوية للنص في إطار بحث شامل عن كل ما يجعل من نص ما نصاً كما يقول علماء النص ..."[١].

وهذا لا يضفى الاستمرارية فقط ، بل يضفى أيضاً الجمال الموسيقي الذي يظهر مع تكرار الفاصلة في القرآن الكريم ، وتكرار القافية في الشعر ، وهذا ما دفع الشعراء إلى التزام القافية الواحدة في القصيدة .

والمناسبة التي تتحقق بوحدة الفاصلة ، ليست بين هذه الفواصل فقط ، بل بينها وبين الدلالة التي تحملها هذه الفواصل ، والآيات التي توجد فيها الفواصل ؛ كثيراً ما تحمل هذه الفواصل الدلالات المناسبة لصفاتها الصوتية من شدة ورقة ولين ...إلخ من صفات الأصوات.

ومن أمثلة ذلك :قوله تعالى في بيان صفات المؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾ المؤمنون: ٢ - ٥

وترى الباحثة : أن أهمية الفواصل القرآنية تبرز في تحسين الكلام وارتباط ما قبلها بما بعدها من الكلام ارتباطاً وثيقاً ، ولو حذفت لاختل المعنى ، لذلك لو نظرنا إلى خواتيم هذه الآيات بـ (خاشعون ،ومعرضون ،وفاعلون ،وحافظون)، جاءت فواصلها على حرف واحد (ن)،وهذه عبارة عن علامات وأمارات لأهل الإيمان، من اتصف بها كان في سلك المؤمنين الناجين، ومن حاد عنها يخشى عليه أن يحشر في زمرة الفاسقين الظالمين،

(١)بحيري ، سعيد ، علم لغة النص ، ص١٤٥

وهذه الآيات في هذه السورة من أوضح مواطن الكتاب العزيز في إظهار صفات أهل الإيمان، وتحديدها، فعلى المؤمن أن يتحلى بها حتى يكون منهم بإذن الله تعالى. وسورة المؤمنون مثال صارخ على توافق أوزان الجمل وعلى تقارب الفاصلة ، فالسورة على ضخامة عدد آياتها(١١٨) آية تجد الفاصلة فيها تتراوح بين النون والميم ، وهما أيضاً تكرار في اسم السورة (المؤمنون) فقد تكررت الميم مرتين وكذلك النون مرتين ،وهما صوتان اتحدا في صفات كثيرة (الجهر ، والتوسط بين الشدة والرخاوة ،والانفتاح ،و الذلاقة ، والغنة)، فقضية الجهر تكشف عن قوة الإيمان ، وصفة الغنة لما لها من أريحية في الأذن تنعكس بالضرورة على أريحية الفؤاد تكشف عن ثمرة هذا الإيمان في القلب والسمع ، والصفات الأخرى تكشف عن ليونة وسهولة أهل الإيمان ، ومن المعلوم أن الحركات أقوى وأوضح في السمع من السواكن ، كما أنها من حيث الكم أقل من السواكن في كل اللغات ، فقوتها تتناغم مع قوة يقين أهل الإيمان بموعود الله لهم ، وقلتها يتناغم مع الحقيقة القرآنية : ﴿ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الحاقة: ٤١ ، وقوله تعالى :﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ سبأ: ١٣، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ يوسف: ١٠٣ .

٢- الإجمال والتفصيل :

هذه العلاقة شديدة الصلة بالتماسك النصي ؛ إذ التفصيل يُعدُّ شرحاً للإجمال – في الغالب –، ومن ثم نرى أن التفصيل يحمل المرجعية الخلفية لما سبق إجماله في الإجمال ، وكذلك يمثل ردًّا للعجز على الصدر ويمكننا تقسيم هذه العلاقة إلى عدة أنماط هي :

١ - اسم السورة والسورة (كلمة وعدة آيات /جمل)
٢ - الآية الأولى وبقية السورة (عبارة أو جملة وعدة آيات / جمل).
٣ - الآية والآيات المجاورة .
٤ - الكلمة والكلمة / الكلمات المجاورة .

٥ - السورة والسورة الأخرى .

٦ - الآية في السورة والآيات الأخرى في السور الأخرى .

والأنماط من ١ -٤ تتحقق على مستوى السورة المنفردة ، بينما يتحقق النمطان ٥ -٦ يتحققان على مستوى أكثر من سورة . وقد ذكر عضيمة عدداً من الجمل التفسيرية مثل الفضلة والحالية وجواب القسم وجواب الشرط وصلة الموصول والتابعة لما لا محل له من الإعراب [١].

ففي سورة المؤمنون ، نجد أن علاقة الإجمال والتفصيل كائنة في الصلة بين الاسم وما حدث فيها من تفصيل أحوال المؤمنين ، فهي كلها تفسيرية لاسم السورة ،لتضمن موقف أو قصة تتصل باسمها .

وسور القرآن الكريم عموماً لا تخرج عن محورين :

الأول : تكون السورة كلها مفصلة لاسمها .

الثاني : يكون بعض السورة أو موقف فيها شارح لاسمها ، وبقية السورة يتصل بهذا الموقف من قريب أو بعيد.

والمرجعية المحققة في هذا النمط كلها مرجعية خلفية لما سبق . وعليه يُسهم هذا النمط في تحقيق التماسك النصي للسورة.[٢]

فسورة المؤمنون تبدأ بتقرير فلاح المؤمنين الذي هو " بقاؤهم في الخير "[٣]، ثم تأتي كثير من آيات السورة لتفصل هذا الإجمال . وفي هذا مرجعية خليفة لما سبق ، وهي مرجعية داخلية .

ويقع تحت هذا النمط ، النمط الثالث ، ففي النمط الثاني نجد آيات السورة أو بعضها شارحاً مفصلاً للآية الأولى من السورة ، ومن ثم تتحقق علاقة الآية بالآية المجاورة .غير أن هناك من النماذج يكون الإجمال والتفصيل

---

(١)عضيمه ، محمد عبدالخالق ، دراسات في أسلوب القرآن الكريم ، د.ط ، (القاهرة : دار الحديث ، د.ت)، م٤ ،ص٢٨٨

(٢)الفقي ، علم اللغة النصي –بين النظرية والتطبيق – ج٢ ،ص١٤٢

(٣)القسي ، مكي بن أبي طالب ، الهداية إلى بلوغ النهاية ، تحقيق : مجموعة من الباحثين ، ط١، (جامعة الشارقة ، ٢٠٠٨م) ، ج٧،ص٤٩٤١

بين الآيات التي بداخل السورة لا التي بأولها مثل قوله تعالى :﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾المؤمنون: ٤٤

ثم يشرح هؤلاء الأنبياء، بالإشارة إليهم في الآيات ٤٥ -٤٩ ؛ حيث أشار إلى أنبياء الله موسى وهارون ، وابن مريم .

أما علاقة الكلمة بالكلمة المجاورة أو الكلمات المجاورة ؛ فعلاقة وثيقة تسهم في تحقيق التماسك النصي ، فقد ذكرناها سلفاً ،أما الكلمة والكلمة فتتضح تبعاً للعلاقات النحوية المعروفة مثل النعت والبدل والتمييز والمفعول المطلق المبين للنوع ... وغيرها من العلاقات المبينة للكلمات السابقة بكلمات تالية مثل قوله تعالى :﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠٧

حيث إن هذه العلاقة تمثل المرجعية الخلفية السابقة ، وهي داخلية كذلك . وعليه يتحقق التماسك بين الكلمات المتجاورة .

وبعد هذا يتأكد لنا أن علاقة الإجمال والتفصيل ذات وظيفة مهمة في تحقيق التماسك النصي على مستويات الكلمة والجملة والآية والسورة والسور .[١]

٣- ترتيب الجمل حسب الأحداث :

هذا النمط نجده واضحاً في سور القرآن الكريم ، وقد ذكر الزناد في كتابه : " نسيج النص ":" فانتظام الجمل في النص دليل على انتظام العناصر المكونة لعالم ذلك النص ؛فالروابط التركيبية وسائل لغوية تنسج الخيوط التي يتوسل بها الفكر في تنظيم عناصر عالم الخطاب عند الباث مركباً وعند المستقبل مفككاً"[٢].

---

(١)الفقي ، علم اللغة النصي –بين النظرية والتطبيق – ج٢ ،ص١٤٤ -١٤٥

(٢)الزناد ، الأزهر ، نسيج النص ، ص٦٧

فالأحداث في عالم الواقع تكون مترابطة؛ بمعنى أنها تترتب على بعضها ؛ فالنتيجة تترابط مع الأحداث السابقة عليها ، ومن ثم تكون الأفكار التي تعبر عن المقدمات والنتائج مترابطة ، ترابط الأحداث ، ويتوسل النص للتعبير عن هذا الترابط بوسائل كثيرة، دلالية وشكلية.

ويرتبط هذا النمط بالمناسبة بين ترتيب الأحداث الواقعة وبين الجمل المعبرة عنها .

وهذا ورد في الآيات التي تعبر عن مراحل خلق الإنسان :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾المؤمنون: ١٢ – ١٦

يخبر اللّه تعالى عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين، وهو آدم عليه السلام، خلقه اللّه من صلصال من حمأ مسنون، ويبين تقلبه في أدوارسبعة للخلقة وهي:

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ المؤمنون: ١٢، أي لقد خلقنا أي أوجدنا الإنسان، وقلبناه في أدوار الخلقة وأطوار الفطرة، والمراد به جنس الإنسان وأصله من خلاصة سلت من طين لا كدر فيه، أو أول أفراده وهو آدم عليه السلام. وهذا دليل كاف على قدرة اللّه تعالى و وحدانيته واتصافه بكل صفات الكمال.

والراجح أن المراد بالإنسان هنا آدم عليه السلام لأنه استل من الطين، وخلق منه، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الروم: ٢٠

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ المؤمنون: ١٣ ، أي ثم جعلنا نسله أو جنس الإنسان نطفة من مني في أصلاب الذكور، ثم قذفت إلى أرحام الإناث، فصار في حرز مستقر متمكن حصين، ابتداء من الحمل إلى الولادة. وذلك كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ السجدة: ٧ - ٨ ،أي من ماء ضعيف، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ المرسلات: ٢٠ - ٢١

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٤ ، ويقصد بها حولنا النطفة عن صفاتها إلى صفة العلقة: وهي الدم الجامد. أو صيرنا النطفة وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل (وهو ظهره) وترائب المرأة (وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلى السّرّة) صيرناها علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة.

٤- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٤، فصار الدم الجامد مضغة أي قطعة لحم، بمقدار ما يمضغ، وهي قطعة كبضعة لحم، لا شكل فيها ولا تخطيط. وسمي التحويل خلقا لأنه سبحانه يفني بعض الصفات، ويخلق صفات أخرى، وكأنه تعالى يخلق فيها أجزاء زائدة.

٥- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٤ ، أي صيرناها عظاما يعني شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها.

٦- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٤، أي غطينا العظام بما يستره ويشده ويقويه وهو اللحم لأن اللحم يستر العظم، فجعل كالكسوة لها.

٧- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٤، أي خلقا مباينا للخلق الأول، بأن نفخنا فيه الروح، فتحرك، وصار خلقا آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٤، أي تعالى شأنه في قدرته وحكمته، وتنزه وتقدس اللّه أحسن المقدّرين المصورين.(١)

ذكرت هذه المراحل في سور كثيرة بالإيجاز أحياناً وبالتفصيل أحياناً ، منها : الأنعام ،و الأعراف ، والحجر ، والنحل ، والروم ، وفاطر ، والزمر ،و غافر ، وفصلت ، ونوح ، ...إلخ.

وترى الباحثة أنه لا يخفى ما في هذا النص من وسائل تحقق التماسك النصي ، شكلية ودلالية ، فمراحل خلق الإنسان عبارة عن أحداث متتالية ،ومرتبة حسب الترتيب المنطقي لها متماسكة بوسائل كثيرة ، وأبرزها أدوات العطف في هذا المقطع من السورة ودلالة تنوعها شكلاً ومعنى ، فقد جاء من حيث الشكل ثلاث أدوات :

١ -الواو ،مرة واحدة في مطلع المقطع ، وهي هنا استئنافية رابطة بين مقطعين لا جملتين .

٢ -ثم ، خمس مرات ،ففي المرة الأولى اقتضت الترتيب الزمني ، فهي تعبر عن الفترة الزمنية بين خلق الإنسان الأول (آدام) وخلق الإنسان الثاني وهو نحن .

٤ -الفاء : وردت أربع مرات في هذا المقطع .

٤- علاقة التضاد :

وهي من أنماط المناسبة التي ذكرها العلماء في الحديث عن المناسبات بين الآيات . وعلاقة الضدية هي التي تبيح التماسك . وهذا يتحقق بين الآيات التي تتحدث عن النعيم وتليها التي تتحدث عن العذاب . وكذلك التي تتحدث عن البشرى وتلك التي تتحدث عن النذير. ومنها قوله تعالى :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ

(١)زحيلي، وهبه ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، موقع نداء الإيمان .

وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ المؤمنون: ٨٠ ،فبين كلمتي " يحي ويميت " ، و" الليل والنهار" ، تضاد .

ومن التضادِّ أيضاً بين قوله تعالى :﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ المؤمنون: ١ ، وقوله تعالى في آخر السورة :﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٧.

قال الزمخشري في " الكشاف " " وهذا تناسب بالتضاد".[١]

وعلاقة التضاد ليست بين الكلمة والأخرى فقط ؛ بل بين الجملة والجملة والآية و الآية ،والموقف و الموقف ، والمشهد و المشهد، مثال ذلك قوله تعالى :﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾المؤمنون: ١٥ – ١٦ ، وبعد أن أنشأهم خلقا آخر ، فأخرج الواحد منهم من بطن أمه صغيرا ، ثم يكون محتلما ، ثم يكون شابا ، ثم يكون كهلا ، ثم يكون شيخا ، ثم هرما أنهم كلهم صائرون إلى الموت من عُمِّر منهم ومن لم يُعَّمر ، ثم هم بعد الموت يبعثون أحياء ، يوم القيامة للحساب والجزاء ، وهذا الموت والحياة المذكوران هنا كل واحد منهما له نظير آخر ؛ لأنهما إماتتان و إحياءتان ذكر من كل منهما واحدة هنا على سبيل التضاد.[٢]

وقوله تعالى :﴿ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾المؤمنون: ١٠٢ – ١٠٣

فبين الآيتين علاقة تضاد، بين "المفلحون "بمعنى: "الفائزون الناجون من النار والداخلون الجنة دار الأبرار، فهذا هو الفوز وهذا هو الفلاح. وبين الذين

(١) الزمخشري ، الكشاف ،ج٣،ص٤٥

(١)الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، موقع نداء الإيمان

خسروا أنفسهم وأضاعوها، إذ ما بقي لهم قيمة ولا وجود إلا في جهنم والعياذ بالله.(١)

ومناسبة التضاد لا يخفى ما لها من وظيفة في تحقيق التماسك بين المتضادين.(٢)

المطلب الثاني :مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها :

وهذا مظهر آخر من مظاهر المناسبة التي تؤكد النظرة الشاملة للنص القرآني ، لا النظرة الجزئية البسيطة . فينقل السيوطي " إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ، ثم هو يخفي تارة ويظهر أخرى .."(٣).

وإذا كان السيوطي قد أوجز في الإتقان ، فإنه أفرد كتاباً كاملاً بحث فيه هذه المناسبة ،سماه " تناسق الدرر في تناسب السور " فقد يقول - السيوطي -في سياق حديثة عن سورة "المؤمنون" " وجْهُ اتصالها بسورة الحج ، أنه لمّا ختمها بقوله تعالى :﴿ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الحج: ٧٧ ، وكان ذلك مجملاً ، فصّله في فاتحة هذه السورة ، فذكر خصال الخير التي من فعلها فقد أفلح ، فقال :﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ المؤمنون: ١ - ٢

ولما ذكر أول الحج قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ

(٢)أبو بكر الجزائري ، محاضرات مقروءة في تفسير سورة المؤمنون، موقع اسلام ويب

(٣)الفقي ، علم اللغة النصي –بين النظرية والتطبيق – ج٢ ، ١٤٧

(١)السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج٣،ص٣٣١؛ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،ج١،ص٣٧

وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴿ الحج: ٥ ، زاد هنا بياناً في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ المؤمنون: ١٢ - ١٣ ، فكل جملةٍ أوجزت هناك في القصد أطنب فيها هنا "[1]والمهم ما تؤديه تلك المناسبة من وظائف تماسك النص مع غيره .

فهنا نجد جمال القرآن في الترتيب والنزول ،فما جاءت سورة المؤمنون وبعدها سورة الحج في الترتيب المصحف إلا لحكمة ولترتيب بلاغي جميل ، وهذا الذي بينه النبي ﷺ عندما كان يعرض القرآن على جبريل ، فقد كان يعرض عليه القرآن في كل سنة مَرَّةً مرتباً بحسب ما نزل عليه، إلا في آخر سنة من حياته صلى الله عليه وسلم فقد عرض على جبريل القرآن مرتين. وبهذا الترتيب الإلهي فإنك ستجد مناسبات بين خواتيم السورة وبين أول السورة التي تليها، وهنا مناسبة عظيمة وجميلة، فلما ذكر الله عز وجل في آخر سورة الحج أنه سمى المسلمين بهذا الاسم، والمسلم من أسلم نفسه لله، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لنا كما في صحيح مسلم : (قد أفلح من أسلم، ورزقه الله كفافاً، وقنعه الله بما آتاه)، أي: قد أفلح الإنسان الذي دخل في هذا الدين، فأسلم نفسه، وأسلم وجهه، وأسلم قلبه لله رب العالمين، يحكم فيه بما يشاء، ويفعل فيه ما يريد، ولا يعترض على الله، فإذا رزقه الكفاف -أي: على قدر الحاجة، لا زيادة ولا نقصان - ورزقه الله سبحانه وتعالى القناعة مع الرزق الذي ساقه إليه، فإنه يقنع. و لاحظ أن الفضل كله من الله عز وجل، فضل من الله سبحانه أن خلق الإنسان، وأن هداه للإسلام، وأن

(٢) السيوطي ، تناسق الدرر في تناسب السور ،ص١٠٣ -١٠٤ .

رزقه رزقاً حسناً سبحانه، وأن رزقه القناعة، فإذا قنع فقد جعله من المفلحين، فالفضل كله منه سبحانه. (١)

كذلك نجد أنه إذا كان المولى سبحانه ختم سورة "الحج" بالأمر بالصلاة والزكاة(٢) فى قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾الحج: ٧٧

فقد بدأ سورة "المؤمنون" بذكر فضائل الصلاة والزكاة وما ينخرط فى ملكهما من مكارم الأخلاق ومحاسن العادات قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ﴾المؤمنون: ١ - ١٠ .

وإذا كان تعالى قد خاطب المؤمنين فى نهاية "الحج" بقوله ﴿ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾الحج: ٧٧

فقد حقق ذلك فى سورة "المؤمنون" بقوله تعالى﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾المؤمنون: ١(٣)

و قد تحدث الله عز وجل عن النشأة الأولى فى سورة "الحج" للتدليل على البعث بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡ

(١)حطيبة :أحمد ، محاضرة تفسير سورة المؤمنون [١ - ٦] ،موقع الإسلام ويب .

(٢) النيسابورى ، غرائب القرآن (تفسير سورة المؤمنون) ،ص١١٢

(١)الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،ج٢ ،ص١٣١

وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾الحج: ٥

فقد تحدث تعالى فى سورة "المؤمنون" عن النشأة الأولى للتدليل على البعث كذلك بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾المؤمنون: ١٢ - ١٦

وإذا كانت "الحج" تحدثت عن قصص الأنبياء وأممهم لتذكير الحاضرين ووعظ الآتين ، فى مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾الحج: ٤٢ – ٤٤

كذلك تحدثت سورة "المؤمنون" عن قصص بعض الأنبياء كذلك لنفس الهدف فى مثل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾المؤمنون: ٢٣

و نجد سورة "الحج" أشارت إلى وحدانية الله وقدرته فى مثل قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن

يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ الحج: ٥ – ٧

فإن سورة "المؤمنون" قد ذكرت ذلك فى مثل قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾
المؤمنون: ٧٨ - ٨٠

وهكذا ،ترى الباحثة من خلال هذه النماذج ، أن للمناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة ما تليها ، أهمية كبيرة في تحقيق التماسك والتناسق بين السورتين . ويتضح كذلك أن التماسك قائم على المرجعية ، وهي خلفية ، نظراً لترتيب السور . وكذلك على التكرار الكلى أو التام ، والتكرار الجزئي .وعلى الإجمال والتفصيل .

المطلب الثالث : مناسبة السورة للسورة التي بعدها :

قال الأمام السيوطي في سياق حديثه عن سورة "النور " " وجْه اتصالها بسورة " قد أفلح " ثم أنه لمّا قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾ المؤمنون: ٥ ، ذكر في هذه أحكام من لم يحفظ فرجه ، من الزانية والزاني ، وما اتصل بذلك من شأن القذف ، وقصة الإفك ، والأمر بغض البصر ، وأمر فيها بالنكاح حفظاً للفروج ، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف ، وحفظ فرجه ، ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا " ثم قال : " ولا ارتباط أحسن من هذا الارتباط ، ولا تناسق أبدعُ من هذا النسق ". [١]

(١) السيوطي ، تناسق الدرر في تناسب السور ، ص ١٠٤

الفصل الثالث :

الوحدة الموضوعية للسورة ،على ضوء أدوات الاتساق، من خلال ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الإحالة .

- المطلب الأول: الإحالة إلى الذات الإلهية .
- المطلب الثاني: الإحالة إلى الرسول ﷺ .
- المطلب الثالث: الإحالة إلى المؤمنين .
- المطلب الرابع :الإحالة إلى المشركين .

المبحث الثاني : العطف .

- المطلب الأول: العطف عند الذات الإلهية .
- المطلب الثاني: العطف عند الرسول ﷺ.
- المطلب الثالث: العطف عند المسلمين .
- المطلب الرابع :العطف عند المشركين .

المبحث الثالث :التكرار.

- المطلب الأول: التكرار عند الذات الإلهية .
- المطلب الثاني: التكرار عند الرسول ﷺ.
- المطلب الثالث: التكرار عند المسلمين .
- المطلب الرابع :التكرار عند المشركين .

المبحث الأول :الإحـــــالة:

مدخل :

إن محاولة تحديد ما يحيل إليه النص القرآني يجعلنا نستحضر أن كل علامة لسانيّة تمثل معنى وإحالة في نفس الآن ، وبالتالي فالدلالة ناتجة عن حدوث تلازم بين المعنى والإحالة [١]،وبالتالي فإن النص يحيل على مرجعيات لفظية صريحة وأخرى مستترة يفسّرها النمط الصوتي الصريح في ضمن إطار النظم النصي العام.

وسوف يعتمد هذا المبحث على الضمائر بأنواعها ومنها الضمائر الشخصية والإشارية والموصولة . وذلك مع الاستعانة بالجداول الإحصائية كلما تطلب الأمر ذلك .

في البداية ينبغي الانطلاق من الأساس الذي تدور حوله السورة ؛أي معرفة القضية التي تعالجها ؛ وذلك لندرك العلاقة بين وسائل التماسك النصي والموضوع الأساسي . وهذا الأساس يعد جملة النواة بالنسبة لهذه السورة .

وعلى الرغم من نزول القرآن المكي على الرسول ﷺ في مدة ثلاثة عشر عاماً كاملة ، فإنه " تحدث عن قضية واحدة ؛لم تتغير ... لقد كان يعالج القضية الأولى ، والقضية الكبرى ، والقضية الأساسية ، في هذا الدين الجديد " قضية العقيدة " في قاعدتها الرئيسية ،... الألوهية والعبودية وما بينهما من علاقة "[٢]. وإذا كان نزوله في ثلاثة عشر عاما ، وتعدى أكثر من ثمانين سورة ، وفي مناسبات متعددة . فمن الطبيعي إذن أن يحتاج هذا الكم الهائل من النصوص الكريمة إلى وسائل لتحقيق الانسجام ، فمنها ما يتسم

---

(١)الباهي ، حسان ،اللغة والنطق : بحث في المفارقات ، ط١ ، (الدار البيضاء :المركز الثقافي ،٢٠٠٠م)،ص١٨٢ -١٨٣

(٢)قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، ج٢ ،ص١٠٠٤

بالطول ، ومنها ما يتسم بالقصر الشديد، ومع ذلك لا نعدم وجود الرابط القائم على مستوى السورة الواحدة ، وعلى مستوى السور كلها . إذ يجمع بينها في النهاية قضية واحدة وهذا ما يؤدي بالطبع إلى الوحدة الموضوعية، ومن ثم إلى التماسك والانسجام النصي .(١)

الموضوع الأساسي الذي تعالجه سورة المؤمنون مثل غيرها من السور المكية هو موضوع العقيدة ،بما فيه من تقرير الوحدانية لله تعالى، وتقرير النبوة والرسالة لمحمد ﷺ ،وإثبات أمر البعث والدار الآخرة، وتعالج هذا الموضوع من خلال تعريف العباد برب العباد من هو ؟ وكيف خلق الإنسان ؟وكيف تدرج في الخلق ؟ ماذا وراء خلقه من أسرار ؟ ومن هم العباد المفلحون ؟ ومن هم الوارثون الفردوس ؟ ومن أنشأهم ؟ ومن يطعمهم ؟ ومن يرزقهم ؟ ومن يميتهم ؟ ومن يبعثهم ؟ ومن يكلفهم ؟ ومن يدبر أمرهم ؟ ومن صاحب الأرض ؟ ومن رب السماوات ؟ ومن مالك كل شيء ؟ ومن عالم الغيب والشهادة ؟و من له اختلاف الليل والنهار ؟ ومن أرسل نوحا ؟ ومن أرسل موسى ؟ ومن أرسل ابن مريم ؟ ومن أرسل الرسل من بعدهم ؟ الجواب عن ذلك كله: الله؛ وهو الخالق والمدبر لكل ذلك .

فهذه أسئلة كلها عبارة عن أمور مسندة إلى الله عز وجل وكلها مرتبطة به ومن الطبيعي أن يكون اتجاه السورة ماضياً إلى هذا الهدف المحدد وإلى الاتجاه الرئيس الذي تعالجه، متصلاً على الرغم من تعدد مقاطعها وتعدد قصصها .

فإذا كان هذا هو موضوع السورة ،فما علاقته بالانسجام والتماسك النصي ؟

(١)الفقي ، علم اللغة النصي – بين النظرية والتطبيق - ،ج٢ ،ص١٧٣

من الطبيعي بعد عرض هذه الأمور المتعلقة بموضوع السورة نجد للضمائر دورا بارزا في تحقيق الترابط والانسجام بين الأجزاء التي تناقش هذه القضايا رابطة إياها بخالقها ومسيرها .[١]

السورة عبارة عن كلام منزل من الله تعالى على رسوله ﷺ ليبشر به المؤمنين وينذر به الكافرين ،وليصحح به العقيدة ثم ليذكر به النهاية أن الأمر كله راجع إلى الله . وعليه فإن أغلب الضمائر موزعة على هذه المستويات الأربعة :

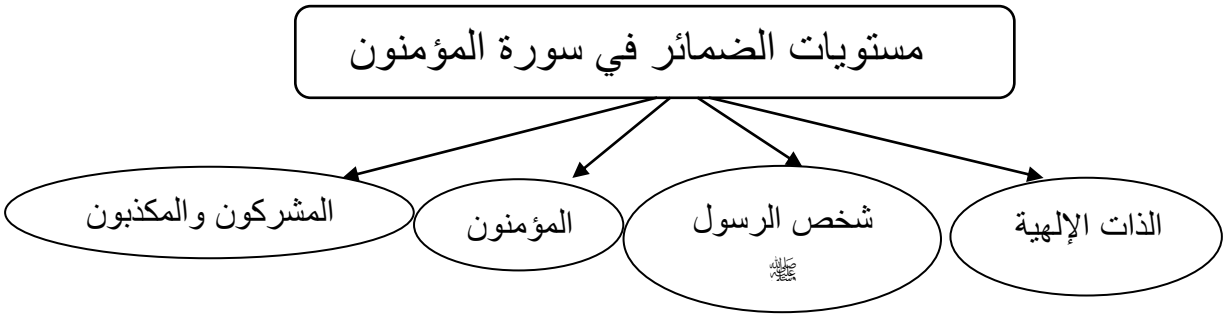

بالرجوع إلى الإحصائيات الموجودة بالجداول نلاحظ أن الضمائر التي تحيل إلى الله تبارك وتعالى بما فيها الإشارة والموصول يمكن تمثيلها في الجدول الآتي :

الضمائر الشخصية	إحدى وخمسون ضميراً
الإشارات	ثلاث إشارات
الموصولات	سبعة

والضمائر التي تحيل للمؤمنين وللكافرين بما فيها أسماء الإشارة والموصول يمكن تمثيلها في الجدول التالي :

	المؤمنون	المشركون
الضمائر الشخصية	٤٤	٢٠٤
الإشارات	١٠	٤
الموصولات	١١	٤

(١)الفقي ، علم اللغة النصي – بين النظرية والتطبيق - ،ج٢ ،ص١٧٣

ويصل مجموع الضمائر عامة المتصلة والمنفصلة والمستترة (٣٤٩)،منها الضمائر التي تحيل للّه تعالى ، والذي يصل مجموعها (٦١)ضميراً –(٥١+ ٧+٣ = ٦١)مع العلم بأن عدد آيات السورة (١١٨)آية . فهل لهذه الإحصائية دلالة في التحليل النصي ؟[١]

نعم لها دلالة قوية لكونها مرتبطة بالعنصر الفعال في الكون خلقاً وبعثاً ، وإماتة ، وأن الكفار والمكذبون لم يكادوا يصدقوا بأن هذا الفعل المتعدد والمتنوع في الكون هو من عند اللّه سبحانه وتعالى .

وأما الضمائر التي تحيل للرسول ﷺ بلغت (١١) ضميراً ،والضمائر التي تحيل للمؤمنين (٦٥) ضميراً (٤٤+١٠+١١=٦٥)، والتي تحيل للكافرين (٢١٢)ضميراً (٢٠٤+٤+٤ = ٢١٢).

المطلب الأول :الإحالة إلى الذات الإلهية:

في استقراء أولي للضمائر الواردة في السورة نلحظ أن تحيل في معظمها إلى اللّه عز وجل والتي توزع عبر ثلاثة أنماط ضمائر الشخص منها الظاهر والمستتر من ذلك مثلاً :

الضمائر المتصلة في :

١ - في الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا

(١)الفقي ، علم اللغة النصي – بين النظرية والتطبيق ،ج٢ ،ص١٧٩

مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المؤمنون: ١٢ - ٢٢

فكان افتتاحها بالبشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم على ما تحلوا به من أصول الفضائل الروحية والعملية التي بها تزكية النفس واستقامة السلوك .

وأعقب ذلك بوصف خلق الإنسان أصله ونسله الدال على تفرد الله تعالى بالألوهية لتفرده بخلق الإنسان ونشأته ليبتدئ الناظر بالاعتبار في تكوين ذاته ثم بعدمه بعد الحياة .

فالواو في هذه الآيات عاطفة غرضا على غرض ويسمى عطف القصة على القصة ، فللجملة حكم الاستئناف ؛ لأنها عطف على جملة (قد أفلح المؤمنون) التي هي ابتدائية . وهذا شروع في الاستدلال على انفراد الله تعالى بالخلق وبعظيم القدرة التي لا يشاركه فيها غيره ، وعلى أن الإنسان مربوب لله تعالى وحده ، والاعتبار بما في خلق الإنسان وغيره من دلائل القدرة ومن عظيم النعمة . فالمقصود منه إبطال الشرك ؛ لأن ذلك الأصل الأصيل في ضلال المعرضين عن الدعوة المحمدية .

ويتضمن ذلك امتنانا على الناس بأنه أخرجهم من مهانة العدم إلى شرف الوجود وذلك كله ليظهر الفرق بين فريق المؤمنين الذين جروا في إيمانهم على

ما يليق بالاعتراف بذلك وبين فريق المشركين الذين سلكوا طريقا غير بينة فحادوا عن مقتضى الشكر بالشرك .[١]

الرقم	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	خلقنا	نا	الذات الإلهية
٢	جعلناه	نا	الذات الإلهية
٣	خلقنا	نا	الذات الإلهية
٤	فخلقنا	نا	الذات الإلهية
٥	فخلقنا	نا	الذات الإلهية
٦	فكسونا	نا	الذات الإلهية
٧	أنشاناه	نا	الذات الإلهية
٨	خلقنا	نا	الذات الإلهية
٩	كنَّا	نا	الذات الإلهية

٢ - الضمائر المتصلة في الآيات التي تتحدث عن قصص الأنبياء :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

(١)ابن عاشور ، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير، موقع المكتبة الإسلامية على شبكة.

لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ المؤمنون: ٢٣ - ٥٦

انتقلت الآيات إلى التذكير ببعثة الرسل للهدى والإرشاد إلى التوحيد والعمل الصالح ، وما تلقاها به أقوامهم من الإعراض والطعن والتفرق ، وما كان من عقاب المكذبين ، وتلك أمثال لموعظة المعرضين عن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم فأعقب ذلك بالثناء على الذين آمنوا واتقوا . وبتنبيه المشركين على أن حالهم مماثل لأحوال الأمم الغابرة وكلمتهم واحدة فهـــم

عرضة لأن يحل بهم ما حل بالأمم الماضية المكذبة.
وقد أراهم الله مخائل العذاب لعلهم يقلعون عن العناد فأصروا على إشراكهم بما ألقى الشيطان في عقولهم . وذكروا بأنهم يقرون إذا سئلوا بأن الله مفرد بالربوبية ولا يجرون على مقتضى إقرارهم أنهم سيندمون على الكفر عندما يحضرهم الموت في يوم القيامة . وبأنهم عرفوا الرسول وخبروا صدقه وأمانته ونصحه المجرد عن طلب المنفعة لنفسه إلا ثواب الله فلا عذر لهم بحال في إشراكهم وتكذيبهم للرسالة ، ولكنهم متبعون أهواءهم معرضون عن الحق [١].

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	أرسلنا	نا	الذات الإلهية
٢	فأوحينا	نا	الذات الإلهية
٣	بأعيننا	نا	الذات الإلهية
٤	ووحينا	نا	الذات الإلهية
٥	أمرنا	نا	الذات الإلهية
٦	نجّانا	نا	الذات الإلهية
٧	كنَّا	نا	الذات الإلهية
٨	أنشأنا	نا	الذات الإلهية
٩	فأرسلنا	نا	الذات الإلهية
١٠	وأترفناهم	نا	الذات الإلهية
١١	فجعلناهم	نا	الذات الإلهية

(١)ابن عاشور ، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير، موقع المكتبة الإسلامية على شبكة إسلام ويب .

١٢	أنشأنا	نا	الذات الإلهية
١٣	أرسلنا	نا	الذات الإلهية
١٤	رسلنا	نا	الذات الإلهية
١٥	فأتبعنا	نا	الذات الإلهية
١٦	وجعلناهم	نا	الذات الإلهية
١٧	أرسلنا	نا	الذات الإلهية
١٨	بآياتنا	نا	الذات الإلهية
١٩	آتينا	نا	الذات الإلهية
٢٠	وجعلنا	نا	الذات الإلهية
٢١	فاتقوني	الياء المحذوفة	الذات الإلهية

وقد وردت ضمائر أخرى تعود إلى الذات الإلهية في المقاطع الأتية :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾المؤمنون: ٥٧ – ٦٣

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	لدينا	**نا**	**الذات الإلهية**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ

﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٤ – ٧٧

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	أخذنا	نا	الذات الإلهية
٢	منّا	نا	الذات الإلهية
٣	آياتي	الياء	الذات الإلهية
٤	أتيناهم	نا	الذات الإلهية
٥	رحمناهم	نا	الذات الإلهية
٦	وكشفنا	نا	الذات الإلهية
٧	أخذناهم	نا	الذات الإلهية
٨	فتحنا	نا	الذات الإلهية

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾

بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٧٨ – ١٠٠

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	أتيناهم	نا	الذات الإلهية
٢	وإنّا	نا	الذات الإلهية
٣	آياتي	الياء	الذات الإلهية
٤	لقادرون	ون	الذات الإلهية
٥	لقادرون	ون	الذات الإلهية

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

﴿ المؤمنون: ١٠١ – ١١٨

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	آياتي	الياء	الذات الإلهية
٢	ولا تكلموني	نا	الذات الإلهية
٣	عبادي	الياء	الذات الإلهية
٤	إني	نا	الذات الإلهية
٥	جزيتهم	هم	الذات الإلهية

٦	خلقناكم	نا	الذات الإلهية
٧	إلينا	نا	الذات الإلهية

٢ - الضمير المنفصل المستتر" نحن - أنت " في :

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	نمدهم	نحن	الذات الإلهية
٢	نسارع	نحن	الذات الإلهية
٣	نكلف	نحن	الذات الإلهية
٤	أنزلني	أنت	الذات الإلهية
٥	انصرني	أنت	الذات الإلهية
٦	تُريِنَّي	أنت	الذات الإلهية
٧	تجعلني	أنت	الذات الإلهية

٣ -الضمير المنفصل " هو " مساوقا لاسم الإشارة في :

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	هو الذي أنشأ لكم	هو	الذات الإلهية
٢	هو الذي ذرأكم في الأرض	هو	الذات الإلهية
٣	وهو الذي يحي ويميت	هو	الذات الإلهية

فكون هذه الضمائر والموصولات تعود إلى مرجع واحد هو الذات الإلهية إذن هي مرتبطة به شكلاً ودلالة ، في هذا دليل على أن الآيات الأولى مرتبطة بالآيات الأخيرة محققة الانسجام النصي في السورة بنوعيه الصوري

ممثلاً في اتفاق الضمائر والدلالي ممثلاً في الإسناد والتماسك المعنوي بين الآيات .[١]

ويمكننا تمثيل تلك المرجعية التي تحيل عليها فيما يلي :

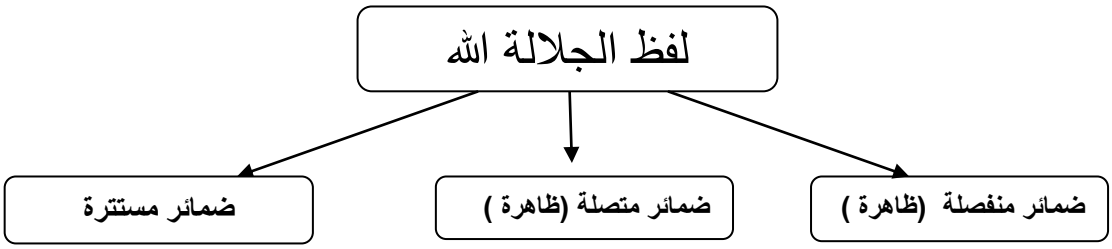

فهو سبحانه وتعالى ذات مستترة عياناً ،ظاهراً خلقاً وفعلاً.

وتلك الضمائر منها الغائب والمتكلم . ومنها المفرد والجمع ، وكلها تعود إليه سبحانه وتعالى . وتوزيعها على آيات السورة أغلبها ، حتى الآية الأخيرة يحقق التماسك النصي بين هذه الآيات ؛ فلفظ الجلالة يمثل العنصر الأول في بناء هذا النص .

والتماسك الدلالي في الضمائر المنفصلة أو الضمير المنفصل (هو) يبرز في كون الآيات التي بها هذا الضمير تتحدث عن الأمور التي تشرح هيمنة الله على الكون بأسره ، وعلى الدنيا والآخرة ، وتثبت أن كل شيء بيده تبارك وتعالى، وأنه قد أحاط بكل شيء علماً، وأنه خلق كل شيء ، وعنده مفاتيح الغيب ... إلخ هذه الأمور التي أكدتها الآيات . ولكنها تؤدي في النهاية إلى تأكيد القضية الأساسية التي تدور حولها السورة كلها ، وهي قضية العقيدة : الألوهية والعبودية . [٢]

(١) الفقي ، علم اللغة النصي – بين النظرية والتطبيق -،ج٢ ،ص١٨١

(٢)الفقي ، علم اللغة ، النصي – بين النظرية والتطبيق -ج٢ ،ص١٨٥

وليس هذا في الضمائر المنفصلة فحسب ، بل في الضمائر التي ذكرنا أمثلة لها ظاهرة ومستترة ؛ كلها تؤكد ، في تماسك عجيب ، هذه القضية التي تمثل نواة السورة ، أو الفكرة الأساسية في السورة ، وهذا هو التماسك الدلالي الذي تحدثه الضمائر بالإحالة إلى مسند إليه واحد ؛ وهو الله تعالى ؛ فالإسناد هو العلاقة التماسكية الكبرى . التي تسهم في تحليل هذا النص .

إن سياق السورة يخدم هذه المرجعية ، فتقرير وحدانية الله وألوهيته وعبوديته وما يترتب على الموقنين بها من تحصيل الجزاء الأوفى والمكذبين من ألوان العذاب في الدنيا والآخرة ناهيك عن تضافر هذه الضمائر كلها في الإحالة على مرجع واحد وأوحد هو الله سبحانه وتعالى.[1]

المطلب الثاني :الإحالة إلى النبي ﷺ:

ومن المعلوم أن قائل هذا النص الكريم هو الله عز وجل ، وأن المخاطب المتلقي هو النبي ﷺ لينذر الكافرين ويبشر المؤمنين . ومن الطبيعي ، وهذا الخطاب من الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ ، أن تكون هناك ضمائر ترجع إليه عليه الصلاة والسلام .

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	فذرهم	الضمير المستتر " أنت"	الرسولﷺ
٢	أم تسألهم	الضمير المستتر " أنت"	الرسولﷺ
٣	وإنك لتدعوهم	الكاف والضمير المستتر أنت	الرسولﷺ
٤	قل لمن الأرض	الضمير المستتر " أنت"	الرسولﷺ
٥	قل من ربُّ	الضمير المستتر " أنت"	الرسولﷺ

(١)رآغين ،بو شعيب ، بحث بعنوان : مظاهر انسجام واتساق الخطاب القرآني في ضوء المكاملة بين لسانيات النص الحديثة والدرس الأصولي،ص١٤

٦	قل من بيده ملكوت	الضمير المستتر " أنت"	الرسولﷺ
٧	إمَّا تُرينّي	الياء	الرسولﷺ
٨	فلا تجعلني	الياء	الرسولﷺ
٩	أن نُّريك	الكاف	الرسولﷺ
١٠	ادفع بالتي	الضمير المستتر " أنت"	الرسولﷺ
١١	وقل ربِّ	الضمير المستتر " أنت"	الرسولﷺ

تتوفر في هذه السورة إذن وحدة المتكلم ،و وحدة المخاطب في الغالب ، ووحدة المكان ، ووحدة الزمان ، بل وحدة القضية التي تعالجها . وهذا كله ييسر السبيل أمام تحقيق تماسكه .

وبينما كانت مرجعية الضمائر التي تحيل إلى الله عز وجل كلها داخلية ، فإن الضمائر التي تحيل إلى الرسول ﷺ كلها خارجية ؛ ذلك لأنه لم يذكر صراحة في النص ،لكنَّ هناك كثير من الدلائل التي توضح أنها تعود إليه ، وهي تمثل السياق الموضح للمرجعية ؛ فالمرجعية الخارجية تكون للذي لم يجر له ذكر في النص .[1]

ونماذج الآيات التي توجد بها مرجعية خارجية للنبي ﷺ نذكر منها على سبيل المثال :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ المؤمنون: ٧٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٤

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٦

(١)الفقي ، علم اللغة النصي – بين النظرية والتطبيق -،ج٢ ،ص١٨٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٨

فالخطاب الموجه إليه صلى الله عليه وسلم لا يخرج عن كونه تكليفاً بالتبليغ أو النذير أو البشير ، أو رداً على حجج المشركين أو تسلية له بإخباره أن ما يحدث له قد حدث للرسل من قبل . وهذه كلها أمور مرتبطة بقضية السورة الأساسية ؛ قضية العقيدة التي يكذب بها المشركون ويؤمن بها المؤمنون .

إذن حتى مع تغير اتجاه الضمائر إلى الرسول ﷺ ، فإنها تصب في الاتجاه نفسه الذي تصب فيه الضمائر التي ترجع إلى اللّه تعالى .

وهذا سوف يلاحظ كذلك في الضمائر التي تعود إلى المؤمنين والمشركين ؛ إذ كلها تدور حول المشروع الأول – العقيدة – ثم الرسول ﷺ الذي يتلقى التشريع ليبلغ به كافة العباد؛ فاللّه تعالى يريد لعباده الهداية إلى العبودية له تعالى ، ورسول اللّه ﷺ يبلغ هذه الإرادة عن اللّه ، والمؤمنون يصدقون بما جاء به ،والمشركون يكذبونه ؛ فالكل يدور حول هذه القضية ، ويمكن تمثيلها كالتالي :

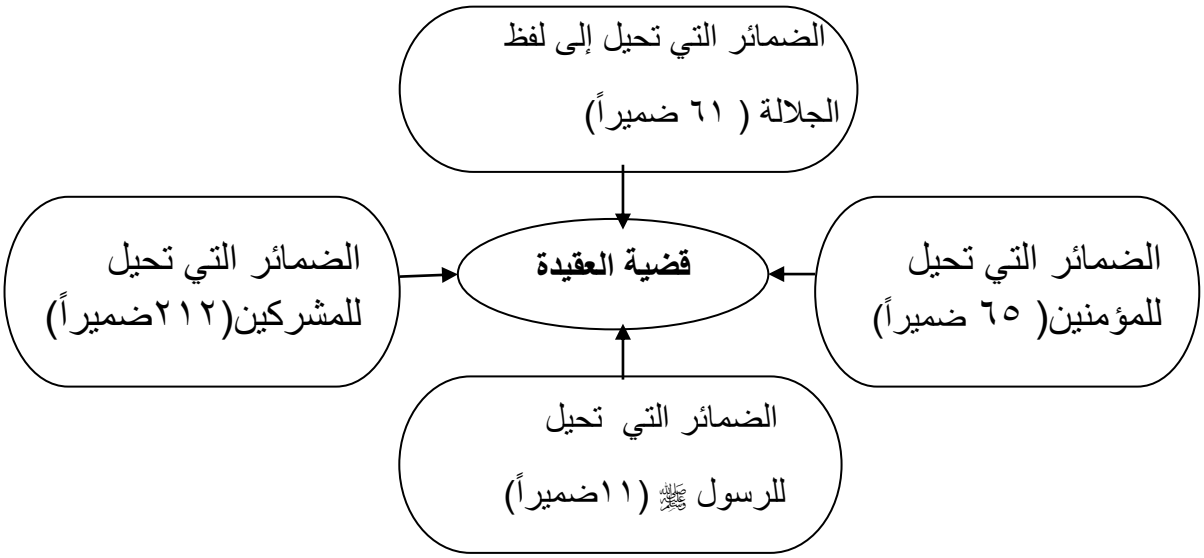

فالكل يتجه نحو هذه القضية إما بالتكليف أو التبليغ أو التصديق أو التكذيب .

المطلب الثالث: الإحالة إلى المؤمنين :

أما العنصر الثالث من العناصر التي يدور حولها النص ؛ فهو عنصر المؤمنين ، وذكر أن مواضعه لم تتجاوز الواحد والسبعين موضعاً على الأكثر ، والسبب في ذلك أن المؤمنين طائفة واحدة مؤمنة ، ولم تعترض على حكم الله ، ولم تجادل فيه ، ولم تصنع لنفسها تشريعاً خاصاً .[١]

فالضمائر التي تحيل إلى المؤمنين يمكن أن توزع عبر ثلاثة أنماط ضمائر الشخص منها الظاهر والمستتر من ذلك مثلا :

الضمائر المتصلة في :

١- في الآيات التي تتحدث عن المؤمنين :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المؤمنون: ١ - ١١

(١)الفقي ، علم اللغة النصي – بين النظرية والتطبيق -،ج٢ ،ص١٨٢

وهذا شروع في الاستدلال على انفراد الله تعالى بالخلق وبعظيم القدرة التي لا يشاركه فيها غيره ، وعلى أن الإنسان مربوب لله تعالى وحده ، والاعتبار بما في خلق الإنسان وغيره من دلائل القدرة ومن عظيم النعمة . ليبتدئ الناظر بالاعتبار في تكوين ذاته ثم بعدمه بعد الحياة . ودلالة ذلك الخلق على إثبات البعث بعد الممات وأن الله لم يخلق الخلق سدى ولعبا . فالمقصود منه إبطال الشرك ؛ لأن ذلك الأصل الأصيل في ضلال المعرضين عن الدعوة المحمدية .[1]

فهذه السورة تدور آياتها حول محور تحقيق الوحدانية وإبطال الشرك ونقض قواعده ، والتنويه بالإيمان وشرائعه . فكان افتتاحها بالبشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم على ما تحلوا به من أصول الفضائل الروحية والعملية التي بها تزكية النفس واستقامة السلوك .

فالإخبار بفلاح المؤمنين دون ذكر متعلق بفعل الفلاح يقتضي في المقام الخطابي تعميم ما به الفلاح المطلوب ، فكأنه قيل : قد أفلح المؤمنون في كل ما رغبوا فيه .

ولما كانت همة المؤمنين منصرفة إلى تمكن الإيمان والعمل الصالح من نفوسهم كان ذلك إعلاما بأنهم نجحوا فيما تعلقت به هممهم من خير الآخرة وللحق من خير الدنيا ، ويتضمن بشارة برضى الله عنهم ووعدا بأن الله مكمل لهم ما يتطلبونه من خير .

وأكد هذا الخبر بحرف (قد) الذي إذا دخل على الفعل الماضي أفاد التحقيق أي : التوكيد . فحرف (قد) في الجملة الفعلية يفيد مفاد (إن واللام) في الجملة الاسمية ، أي يفيد توكيدا قويا . ووجه التوكيد هنا أن المؤمنين

---

(١)ابن عاشور ، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير، موقع المكتبة الإسلامية على شبكة إسلام ويب

كانوا مؤملين مثل هذه البشارة فيما سبق لهم من رجاء فلاحهم، ثم تتابع في ذكر صفاتهم ، التي استحقت هذا الفلاح.[١]

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	خاشعون	ون	المؤمنون
٢	معرضون	ون	المؤمنون
٣	فاعلون	ون	المؤمنون
٤	حافظون	ون	المؤمنون
٥	العادون	ون	المؤمنون
٦	راعون	ون	المؤمنون
٧	يحافظون	ون	المؤمنون
٨	الوارثون	ون	المؤمنون
٩	خالدون	ون	المؤمنون
١٠	لميتون	ون	المؤمنون
١١	تبعثون	ون	المؤمنون
١٢	صلاتهم	هم	المؤمنون
١٣	لفروجهم	هم	المؤمنون
١٤	أزوجهم	هم	المؤمنون
١٥	أيمانهم	هم	المؤمنون
١٦	فإنهم	هم	المؤمنون
١٧	لأماناتهم	هم	المؤمنون
١٨	عهدهم	هم	المؤمنون
١٩	صلواتهم	هم	المؤمنون

(٢)ابن عاشور ، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير، موقع المكتبة الإسلامية على شبكة إسلام ويب

٢٠	يحافظون	ون	المؤمنون
٢١	يرثون	ون	المؤمنون
٢٢	ملومين	ي	المؤمنون

٢- الضمير المنفصل (هم) في الآيات التي تتحدث عن المؤمنين:

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	هم في صلاتهم	هم	المؤمنون
٢	والذين هم عن اللغو	هم	المؤمنون
٣	والذين هم للزكاة	هم	المؤمنون
٤	والذين هم لفروجهم	هم	المؤمنون
٥	فأولئك هم العادون	هم	المؤمنون
٦	والذين هم لأماناتهم	هم	المؤمنون
٧	والذين هم على صلواتهم	هم	المؤمنون
٨	أولئك هم الوارثون	هم	المؤمنون
٩	هم فيها خالدون	هم	المؤمنون
١٠	هم الفائزون	هم	المؤمنون

٣- الضمائر المتصلة في الآيات التي تتحدث عن قصص الأنبياء :

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	تشربون	ون	المؤمنون
٢	تُحملون	ون	المؤمنون
٣	مشفقون	ون	المؤمنون

٤	يؤمنون	ون	المؤمنون
٥	لا يشركون	ون	المؤمنون
٦	راجعون	ون	المؤمنون
٧	سابقون	ون	المؤمنون
٨	لا يُظلمون	ون	المؤمنون
٩	المفلحون	ون	المؤمنون
١٠	صبروا	وا	المؤمنون
١١	تعلمون	ون	المؤمنون
١٢	لا ترجعون	ون	المؤمنون
١٣	فيها	ها	المؤمنون
١٤	غيره	ها	المؤمنون
١٥	ربهم	هم	المؤمنون
١٦	ربهم	هم	المؤمنون
١٧	بربهم	هم	المؤمنون
١٨	وقلوبهم	هم	المؤمنون
١٩	أنهم	هم	المؤمنون
٢٠	ربهم	هم	المؤمنون
٢١	موازينه	ها	المؤمنون
٢٢	جزينهم	هم	المؤمنون

المطلب الرابع : الإحالة إلى المشركين :

أما الضمائر التي ترجع المشركون في هذه السورة فإنها تتصل بالأفعال التي توضح أنهم الذين أباحوا لأنفسهم حق التحليل والتحريم ، والذين كذبوا بالرسل من قبل ، وأشركوا بالله ، و استهزءوا برسول الله ﷺ والرسل من قبله ، والذين لم يؤمنوا بآيات الله ، ...إلخ من أعمالهم السيئة التي عملوها مع رسول الله ﷺ ومن قبله ، والتي أشارت إليها السورة في كثير من الآيات كما هو واضح من الإحصاء .

وربما يجيب هذا عن التساؤل القائل : لم كانت الضمائر التي تحيل إلى المشركين أكثر عدداً من غيرها ؟.

وهذا أمر طبيعي ؛ فالله واحد لا شريك له ، والرسل كلهم دعوة واحدة ، والمؤمنون كلهم طائفة واحدة ، لكن المشركين ملل وطوائف كثيرة ، وعددهم أكثر ، وما فعلوه من تكذيب وسخرية واستهزاء وإعراض وكفر ، هذا كله يحتاج إلى رد كثير على افتراءاتهم المتعددة [1]، ومن ثم كانت الضمائر أكثر .

فالمواجهة بل المواجهات كثيرة وصعبة ، وسبل الإقناع ينبغي أن تكون لذلك كثيرة من تعريف بحقيقة الألوهية التي تشمل الهيمنة على الوجود كله ، ومن تعريف بمواقف المكذبين على مر العصور ، ومصارعهم ، وتعريفهم بمواقفهم يوم القيامة ؛ يوم الحشر ، وأنهم الخاسرون .

---

(١)الفقي ، علم اللغة النصي – بين النظرية والتطبيق -،ج٢ ،ص١٨٣

هذا إضافة إلى السبب الرئيسي لنزول السورة ، فالمواجهة بالطبع معهم لا غيرهم .

و يمكن أن توزع هذه الضمائر عبر ثلاثة أنماط ضمائر الشخصية منها الظاهر والمستتر من خلال مقاطع السورة :

١ـ الضمائر المتصلة : في الآيات التي تتحدث عن قصص الأنبياء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ

بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ
أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا
مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا
عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾
وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ
قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ
هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي
ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ المؤمنون: ٢٣ - ٥٦

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	تتقون	ون	المشركون
٢	كفروا	وا	المشركون
٣	أترفناهم	هم	المشركون
٤	مثلكم	الكاف	المشركون
٥	عليكم	الكاف	المشركون
٦	سمعنا	نا	المشركون
٧	آبائنا	نا	المشركون
٨	فتربصوا	وا	المشركون
٩	ظلموا	وا	المشركون
١٠	إنهم	هم	المشركون

١١	مغرقون	ون	المشركون
١٢	الظالمين	الياء	المشركون
١٣	كفروا	وا	المشركون
١٤	كذبوا	وا	المشركون
١٥	مثلكم	الكاف	المشركون
١٦	تتقون	ون	المشركون
١٧	كذّبوا	وا	المشركون
١٨	تأكلون	ون	المشركون
١٩	تشربون	ون	المشركون
٢٠	مثلكم	الكاف	المشركون
٢١	إنكم	الكاف	المشركون
٢٢	فاستكبروا	وا	المشركون
٢٣	وكانوا	وا	المشركون
٢٤	عالين	الياء	المشركون
٢٥	فكانوا	وا	المشركون
٢٦	المهلكين	الياء	المشركون
٢٧	لعلهم	هم	المشركون
٢٨	غمرتهم	هم	المشركون
٢٩	لخاسرون	ون	المشركون
٣٠	مخرجون	ون	المشركون
٣١	تُوعدون	ون	المشركون
٣٢	لا يؤمنون	ون	المشركون

٣٣	عابدون	ون	المشركون
٣٤	يهتدون	ون	المشركون
٣٥	تعملون	ون	المشركون
٣٦	فاتقون	ون	المشركون
٣٧	فرحون	ون	المشركون
٣٨	لا يشعرون	ون	المشركون

٢- **الضمائر المتصلة في الآيات الآتية :** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٤ - ٧٧

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	إنكم	الكاف	المشركون
٢	عليكم	الكاف	المشركون
٣	فكنتم	التاء	المشركون

٤	أعقابكم	الكاف	المشركون
٥	عاملون	ون	المشركون
٦	يجأرون	ون	المشركون
٧	لا تنصرون	ون	المشركون
٨	تنكصون	ون	المشركون
٩	مستكبرين	الياء	المشركون
١٠	تهجرون	ون	المشركون
١١	يدّبروا	وا	المشركون
١٢	آباءهم	هم	المشركون
١٣	رسولهم	هم	المشركون
١٤	فهم	هم	المشركون
١٥	يعرفوا	وا	المشركون
١٦	منكرون	ون	المشركون
١٧	يقولون	ون	المشركون
١٨	كارهون	ون	المشركون
١٩	لتدعوهم	هم	المشركون
٢٠	معرضون	ون	المشركون
٢١	لا يؤمنون	ون	المشركون
٢٢	لناكبون	ون	المشركون
٢٣	يعمهون	ون	المشركون
٢٤	استكانوا	ون	المشركون
٢٥	يتضرعون	ون	المشركون

٢٦	مبلسون	ون	المشركون

٣- الضمائر المتصلة في الآيات الآتية : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

المؤمنون: ٧٨ – ١٠٠

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	ما تشكرون	ون	المشركون
٢	تحشرون	ون	المشركون
٣	أفلا تعقلون	ون	المشركون

٤	الأولون	ون	المشركون
٥	لمبعوثون	ون	المشركون
٦	الأولين	ون	المشركون
٧	تعلمون	ون	المشركون
٨	أفلا تذكرون	ون	المشركون
٩	أفلا تتقون	ون	المشركون
١٠	تعلمون	ون	المشركون
١١	تسحرون	ون	المشركون
١٢	لكاذبون	ون	المشركون
١٣	عما يصفون	ون	المشركون
١٤	عما يشركون	ون	المشركون
١٥	ما يوعدون	ون	المشركون
١٦	ارجعون	ون	المشركون
١٨	يبعثون	ون	المشركون

٤- الضمائر المتصلة في الآيات الآتية : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا

صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ
فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ
عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ
ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا
يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠١ – ١١٨

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	يتساءلون	ون	المشركون
٢	خسروا	وا	المشركون
٣	خالدون	ون	المشركون
٤	كالحون	ون	المشركون
٥	تكذبون	ون	المشركون
٦	ظالمون	ون	المشركون
٧	اخسؤوا	وا	المشركون
٨	ولا تكلمون	ون	المشركون
٩	تضحكون	ون	المشركون
١٠	عليه	ها	المشركون
١١	منهم	هم	المشركون
١٢	انهم	هم	المشركون
١٣	بعدهم	هم	المشركون
١٤	فيهم	هم	المشركون
١٥	منهم	هم	المشركون

١٦	منه	ها	المشركون
١٧	أخذتهم	هم	المشركون
١٨	فجعلناهم	هم	المشركون
١٩	بعدهم	هم	المشركون
٢٠	رسولها	ها	المشركون
٢١	كذبوه	ها	المشركون
٢٢	بعضهم	هم	المشركون
٢٣	وجعلناهم	هم	المشركون
٢٤	قلوبهم	هم	المشركون
٢٥	ولهم	هم	المشركون
٢٦	لها	ها	المشركون
٢٧	مترفيهم	هم	المشركون
٢٨	رسولهم	هم	المشركون
٢٩	جآءهم	هم	المشركون
٣٠	أكثرهم	هم	المشركون
٣١	أهوآءهم	هم	المشركون
٣٢	أتينهم	هم	المشركون
٣٣	بذكرهم	هم	المشركون
٣٤	ذكرهم	هم	المشركون
٣٥	تسألهم	هم	المشركون
٣٦	لتدعوهم	هم	المشركون
٣٧	ولو رحمنهم	هم	المشركون

٣٨	ما بهم	هم	المشركون
٣٩	طغيانهم	هم	المشركون
٤٠	أخذناهم	هم	المشركون
٤١	لربهم	هم	المشركون
٤٢	عليهم	هم	المشركون
٤٣	أتيناهم	هم	المشركون
٤٤	إنهم	هم	المشركون
٤٥	يتساءلون	ون	المشركون
٤٦	خسروا	وا	المشركون
٤٧	خالدون	ون	المشركون
٤٨	كالحون	ون	المشركون
٤٩	تكذبون	ون	المشركون
٥٠	ظالمون	ون	المشركون
٥١	اخسؤوا	وا	المشركون
٥٢	ولا تكلمون	ون	المشركون
٥٣	تضحكون	ون	المشركون
٥٤	عليه	ها	المشركون
٥٥	منهم	هم	المشركون
٥٦	انهم	هم	المشركون
٥٧	بعدهم	هم	المشركون
٥٨	فيهم	هم	المشركون
٥٩	منهم	هم	المشركون

٦٠	منه	ها	المشركون
٦١	أخذتهم	هم	المشركون
٦٢	فجعلناهم	هم	المشركون
٦٣	بعدهم	هم	المشركون
٦٤	رسولها	ها	المشركون
٦٥	كذبوه	ها	المشركون
٦٦	بعضهم	هم	المشركون
٦٧	وجعلناهم	هم	المشركون
٦٨	قلوبهم	هم	المشركون
٦٩	ولهم	هم	المشركون
٧٠	لها	ها	المشركون
٧١	مترفيهم	هم	المشركون
٧٢	رسولهم	هم	المشركون
٧٣	جآءهم	هم	المشركون
٧٤	أكثرهم	هم	المشركون
٧٥	أهوآءهم	هم	المشركون
٧٦	أتينهم	هم	المشركون
٧٧	بذكرهم	هم	المشركون
٧٨	ذكرهم	هم	المشركون
٧٩	تسألهم	هم	المشركون
٨٠	لتدعوهم	هم	المشركون
٨١	ولو رحمنهم	هم	المشركون

٨٢	ما بهم	هم	المشركون
٨٣	طغيانهم	هم	المشركون
٨٤	أخذناهم	هم	المشركون
٨٥	لربهم	هم	المشركون
٨٦	عليهم	هم	المشركون
٨٧	أتيناهم	هم	المشركون
٨٨	إنهم	هم	المشركون
٨٩	إنهم	هم	المشركون
٩٠	منهم	هم	المشركون
٩١	بعضهم	هم	المشركون
٩٢	نعدهم	هم	المشركون
٩٣	أحدهم	هم	المشركون
٩٤	إنها	ها	المشركون
٩٥	قائلها	ها	المشركون
٩٦	ورائهم	هم	المشركون
٩٧	بينهم	هم	المشركون
٩٨	موازينه	ها	المشركون
٩٩	أنفسهم	هم	المشركون
١٠٠	وجوههم	هم	المشركون
١٠١	فيها	ها	المشركون
١٠٢	بها	ها	المشركون
١٠٣	عليكم	الكاف	المشركون

١٠٤	تكذبون	ون	المشركون
١٠٥	قالوا	ون	المشركون
١٠٦	علينا	نا	المشركون
١٠٧	شقوتنا	نا	المشركون
١٠٨	كنّا	نا	المشركون
١٠٩	منها	ها	المشركون
١١٠	فيها	ها	المشركون
١١١	أخرجنا	نا	المشركون
١١٢	عدنا	نا	المشركون
١١٣	فإنّا	نا	المشركون
١١٤	فاتخذتموهم	هم	المشركون
١١٥	منهم	هم	المشركون
١١٦	قالوا	وا	المشركون
١١٧	أنكم	الكاف	المشركون
١١٨	كنتم	الكاف	المشركون
١١٩	تعلمون	ون	المشركون
١٢٠	وأنكم	الكاف	المشركون
١٢١	لاترجعون	ون	المشركون
١٢٢	حسابه	ها	المشركون

٢- الضمير المنفصل (هم) في الآيات التي تتحدث عن قصص الأنبياء :

التسلسل	التركيب في النص	الضمير	المرجعية
١	ولهم أعمال من دون ذلك	هم	المشركون
٢	هم لها عاملون	هم	المشركون
٣	إذا هم يجأرون	هم	المشركون
٤	وهم فيها كالحون	هم	المشركون

وهذه المرجعيات كلها بصفة عامة سابقة ،إذ ذكر الذين كفروا في آيات السورة ، لكن بالنسبة للآيات التي بها موصولات نجد أن المرجعية سابقة ولاحقة ؛فمثلاً قوله تعالى :﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٣

مرجعية

الذين ←كفروا ←بلقاء الآخرة

بعدية قبلية

وقوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٩

فعبارة الذين يحافظون تؤشر لمرجعية بعدية وقبلية لأن المحافظة على الصلاة وجبت عليهم وستجب .

ومن الملاحظ أن الضمائر تكاد تتوزع على الآيات كلها بصورة واضحة ؛وجدت في بعض الآيات ، مثل قوله تعالى :﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٢ ،وصل عدد الضمائر التي تحيل للكافرين ستة ضمائر، وقوله تعالى: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٥، ستة ضمائر. و هذه الضمائر تحقق التماسك الداخلي للآية التي هي نواة النص ، وذلك بعودتها إلى محال إليه واحد .

مما سبق، حيث لوحظ اراتباط الضمائر الشخصية بين كلمات الآية الواحدة ،وبين آيات السورة.

أما الموصولات ، فإن دورها في التماسك النصي يعتمد ، في أغلب الأحيان ، على الجملة الواحدة ، لكنها في النهاية ترجع إلى مرجع واحد هو الله تعالى[١]. . فمرجعية (الذي)على مستوى الجملة داخلية ، ولكن بملاحظة المرجعية العامة نجد أنها تعود إلى الله تعالى .

وكذلك (الذين) أغلب مرجعيتها إلى المؤمنين [٢]، وقليل منها يشير إلى المشركين [٣].

فالضمائر الشخصية تحتل المرتبة الأولى في الانتشار في أرجاء السورة ، وفي دورها في تحقيق التماسك النصي (الشكلي والدلالي) ، ومن بعد تأتي

(١)الآيات التي بها (الذي) وترجع إلى الله تعالى :٨٠,٧٩,٧٨.

(٢)الآيات التي بها (الذين) وترجع إلى المؤمنين:٦٠,٥٩,٥٨,٥٧,٥٦,١١,٩,٨,٥,٤,٣,٢

(٣)الآيات التي بها (الذين) وترجع إلى المشركين :١٠٣,٢٧,٢٤.

الموصولات والإشارات ومن ثم كان عدد الضمائر الشخصية أكثر من الإشارات والموصولات بأضعاف كثيرة .

فبلغت عدد الضمائر الشخصية عامة :٣١٠ ضميراً[١]، وبلغت عدد الموصولات :٢٢ ضميراً[٢]، و عدد ضمائر الإشارة :١٧ ضميراً[٣].

وبصفة عامة يلفت النظر وجود (٣٤٩)ضميراً في هذه السورة التي يبلغ عدد آياتها (١١٨)آية أمر يدعو إلى التأمل ، والقول بأن للضمائر دوراً بارزاً في تحقيق تماسك هذه السورة .

المبحث الثاني :العطف :

فقد عرضت الباحثة في المبحث السابق لكيفية اتحاد الضمائر المتنوعة في تحقيق تماسكها ؛ فقد وصل عدد هذه الضمائر إلى (٣٤٩) ضميراً منها إلى الذات الإلهية ،ومنها ما يعود إلى رسول الله ﷺ ، ومنها ما يعود إلى المؤمنين ، ومنها ما يعود إلى المشركين [٤].وعلى الرغم من اختلاف العناصر التي تحيل إليها الضمائر ، فقد رأينا اتفاقها جميعاً في إبراز قضية أساسية ؛ هي قضية العقيدة . وقد كانت دلالة الأرقام بارزة كذلك في هذا المبحث .

وإذا كان للأرقام دلالة ، فإن تتبع الإحصاء يبرز عدد أدوات العطف في السورة إذ بلغ عددها (١١٥)مرة .

---

(١) الضمائر الشخصية عند كلا من : الذات الإلهية ٥١ + عند الرسول ﷺ ١١+ عند المؤمنين ٤٤+عند المشركين ٢٠٤ = ٣١٠

(٢) الأسماء الموصولة عند كلا من : الذات الإلهية ٧+ عند المؤمنين ١١+عند المشركين ٤ =٢٢

(٣)أ سماء الإشارة عند كلا من : الذات الإلهية ٣+ عند المؤمنين ١٠+عند المشركين ٤ =١٧

(٤)هذا العدد يقتصر على المحاور الأربعة فقط ،دون بقية الضمائر التي تحيل إلى غيرهذه المحاور .

فالعطف أسلوب يربط بين أجزاء الكلام ويصل معانيه بعضها ببعض ،وبه تتآلف أركان القول ، وتتوحّد مجرياته ، وبه يحصل الإيجاز ، ويظهر أثره في ترابط النص ، وبناء تنظيمه.

إن أهميّة العطف وأثره البارز في الربط بين مكونات النص جعلت عبد القاهر الجرجاني يعدّه سراً من أسرار البلاغة وعلماً " لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلص ، وإلا قوم طبعوا على البلاغة و أوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد "[١] ، ويقول أيضاً فهو " فن من القول خاص دقيق"[٢].

ومعرفة أثر العطف في ترابط النص أمر دقيق ، فـ" قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان "[٣] ، ولا أدل على أثر العطف في اتساق النص من قول سيبويه في معرض تمييزه بين الواو والفاء " والفاء وهي تضمّ الشيء إلى الشيء ، كما فعلت الواو ، غير أنها تجعل ذلك متسقاً بعضه في إثر بعض"[٤].

وإذا تأملنا عدد أدوات العطف الواردة في سورة المؤمنون والقرآن عامة أدركنا إلى أي حد اتسم هذا النص بالإيجاز والترابط والانسجام . فكل أداة

---

(١)الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص٢٢٢

(٢)الجرجاني ، مرجع سابق ، ص ٢٤٤

(٣)الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص٢٤٤

(٤)سيبويه ، أبو بشر بن عثمان بن قنبر ،الكتاب ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، ط١ ، (القاهرة :دار القلم ، ١٩٦٦م) ، ج٤ ،ص٢١٧

من هذه الأدوات أدت استعمالها إلى حذف كلمات وجمل كثيرة كانت ستؤدي إلى الحشو الزائد والإطناب الممل اللذين يتنزه عنهما النص الكريم.[١]

فمن ناحية الانسجام بين مكونات النص القرآني نلحظ أنه كلما حفل النص بعدد وافرمن أدوات العطف ، كانت قوة التماسك والترابط بين مكونات النص أقوى و أوكد سواء تعلق الأمر بكلماته ، أو عباراته ، أو جمله ، أو قصصه ، أو سوره لتخرج في النهاية نصا متراصاً محكماً في السبك متماسكاً .

تواتر العطف في سورة المؤمنون تارة بالواو وهو الغالب ، وتارة بالفاء ، وأخرى بثم ، بنسب متفاوتة ، فالواو أكثر انتشاراً في السورة عن غيرها من أدوات العطف خاصة ،وعن غيرها من التوابع عامة ، فقد تكرر ورودها (٨٦) مرة ولهذا الأمر دلالة واضحة تتمثل على الخصوص في التأكيد على قوة تماسك آيات السورة ، وعلى دورها في التحليل النصي [٢] .

- وردت أو (٢) مرتين .
- وردت بل (٦) مرات في السورة
- ووردت الفاء (٨) مرات في السورة .
- وكذلك ثم (٩) مرات في السورة .

وقد كثر ورود الواو مرتين أو مرة واحدة في الآية الواحدة. هذا وإن دل على شيء فإنما يدل على دور أدوات العطف في تحقيق التماسك النصي بين

---

(١)رآغين ،بو شعيب ، بحث بعنوان : مظاهر انسجام واتساق الخطاب القرآني في ضوء المكاملة بين لسانيات النص الحديثة والدرس الأصولي،ص١٥

(٢)الفقي ، علم اللغة النصي – بين النظرية والتطبيق -،ج٢ ، ص٢٧٦

الآيات . وهذا التماسك من الملاحظ أن دور الروابط فيه، يسير على ثلاثة مستويات :

الأول : الروابط بين الكلمات داخل الآية الواحدة .ومن أمثلة ذلك :

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٨

فكلمة وعهدهم معطوفة بالواو على لأماناتهم ، ويقصد به : فالذين هم لأماناتهم التي يؤتمنون عليها وعهدهم الذي يأخذونه على أنفسهم .[1]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ المؤمنون: ١٨.

فقوله " فأسكناه في الأرض" معطوفه بالفاء على قوله " أنزلنا من السماء ".

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٠

فقوله " وصبغ للآكلين " معطوفه بالواو على قوله " بالدهن ".

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٧

فقوله " ووحينا " معطوفة بالواو على قوله " بأعيننا " ، وقوله " وفار التنور " معطوفه بالواو على قوله " فإذا جاء أمرنا ".

الثاني :الروابط بين العبارات والجمل داخل الآية الواحدة ، ومن أمثلة ذلك :

---

(١)صالح ، بهجت عبد الواحد ، الأعراب المفصل لكتاب الله المرتل ، د.ط، (دار الفكر ، د.ت)، مج ٧ ،ص٣٦٥

• وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٤

هذه الآية الكريمة معطوفة بحرف العطف الفاء " وهو عطف للترتيب " على قوله " فخلقنا العلقة مضغة " ، وقوله " فخلقنا المضغة عظاماً " ثم على قوله " فكسونا العظام لحما " ، والآية معطوفة على الآية السابقة " ثم جعلناه نطفة " بحرف العطف " ثم " التي تفيد التراخي .

الثالث : الروابط بين الآيات داخل السورة ، ومن أمثلة ذلك :

• قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٢ – ٩

فقوله " والذين هم عن اللغو " معطوفة بالواو على الآية التي قبلها ، وقوله " والذين هم للزكاة " معطوفة بالواو على ما قبلها ، وقوله " والذين هم لفروجهم" معطوفة بالواو على ما قبلها ،وقوله " والذين هم لأماناتهم " معطوفة بالواو على ما قبلها ، وقوله " والذين هم على صلاتهم "معطوفة بالواو على ما قبلها .

والمستويان الأول والثاني يمثلان الأساس الذي يقوم عليه المستوى الثالث

.

فإذا كانت الضمائر في المبحث السابق ، في الآيات الأولى من هذه السورة ، قد ركزت في الإحالة إلى الذات الإلهية و المؤمنين، كذلك أيضاً أسهمت أدوات العطف في الترابط والتماسك بين الآيات ، **نذكر منها على سبيل المثال :**

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ **وَٱلَّذِينَ** هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ **وَٱلَّذِينَ** هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ **وَٱلَّذِينَ** هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ **أَوْ** مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ **فَإِنَّهُمْ** غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ **فَأُوْلَٰٓئِكَ** هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ **وَٱلَّذِينَ** هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ **وَعَهْدِهِمْ** رَٰعُونَ ﴿٨﴾ **وَٱلَّذِينَ** هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ **وَلَقَدْ** خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ **ثُمَّ** جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ **ثُمَّ** خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً **فَخَلَقْنَا** ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً **فَخَلَقْنَا** ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا **فَكَسَوْنَا** ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا **ثُمَّ** أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ **ثُمَّ** إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ **ثُمَّ** إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ **وَلَقَدْ** خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ **وَمَا** كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ **وَأَنزَلْنَا** مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ **فَأَسْكَنَّٰهُ** فِي ٱلْأَرْضِ ۖ **وَإِنَّا** عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ **فَأَنشَأْنَا** لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ **وَأَعْنَٰبٍ** لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ **وَمِنْهَا** تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ **وَشَجَرَةً** تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ **وَصِبْغٍ** لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ **وَإِنَّ** لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا **وَلَكُمْ** فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ **وَمِنْهَا** تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ **وَعَلَيْهَا وَعَلَى** ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المؤمنون:١ - ٢٢

فنلاحظ الربط بين المفردات كالتالي :

قوله " من نخيل وأعناب " ، بالدهن وصبغ للآكلين " .

والربط بين العبارات والجمل كالتالي : قوله تعالى" فخلقنا العلقة مضغة " معطوفة على قوله تعالى " فخلقنا المضغة عظاماً " ثم على قوله تعالى" فكسونا العظام لحما " ،وقوله تعالى" فأسكناه في الأرض " معطوفه بالفاء على قوله تعالى" أنزلنا من السماء ".

والربط بين الآيات كالتالي : قوله تعالى" والذين هم عن اللغو " معطوفة بالواو على الآية التي قبلها ، وقوله تعالى " والذين هم للزكاة " معطوفة بالواو على ما قبلها ، وقوله تعالى" والذين هم لفروجهم" معطوفة بالواو على ما قبلها ،وقوله تعالى " والذين هم لأماناتهم " معطوفة بالواو على ما قبلها ، وقوله تعالى " والذين هم على صلاتهم "معطوفة بالواو على ما قبلها .

ولا نستطيع القول هنا إن المرجعية سابقة أو لاحقة . لكن نقول إن التوابع ربطت بين السابق واللاحق دون وجود ما يحيل إلى السابق من ناحية اللفظ . ومن الدلالة كذلك . فلا يمكن تصور هذه المفردات ، والعبارات ، والجمل ، والآيات دون وجود هذه الروابط ؛ فمحاولة قراءة هذا النص بدون هذه الأدوات يؤدي إلى غموض شديد ، وإلى تفكك واضح بين عناصر النص ، وهذا ما يتنزه عنه النص القرآني . بصفة خاصة ، والنص بصفة عامة كي تتحقق نصيته . فقد ذكرنا ، في المبحث السابق ، دور هذه الضمائر ،

الشخصية ، والموصولة ، في الربط بين هذه الآيات [١] عن طريق الإحالة إلى لفظ الجلالة ، والمؤمنين .

وهنا ترتبط هذه الآيات ، على الرغم من اختلاف أدوات الربط ، إلاّ أنها أحدثت تماسكاً فيما بينها ، **وهذا التماسك ناتج عن عدة وسائل هي** :

- الضمائر .
- أدوات العطف ، كما هو واضح في حروف العطف (الواو ،و ثم ،و الفاء ،و أو، و بل).
- علاقة الإسناد ؛ فهذه الأفعال كلها مسندة إلى اللّه تعالى .

فأدوات العطف تحقق التماسك النصي باعتبارها وسيلة من وسائل التماسك البنيوي، وكذلك فهي تمثل امتداداً متلاحماً لعناصر النص المختلفة .

وتوزيع الواو بهذه الطريقة يؤدي إلى نتيجة مؤداها أن العطف لا يتوقف دوره على الربط بين الجمل المتجاورة أو الكلمات المتجاورة فحسب ، بل يتعداها إلى الربط بين آيات غير متجاورة ، ليحقق التماسك النصي بناء عليه .

وإذا كانت دور العاطف هو المشاركة بين المتعاطفين ، فإن علاقة المشاركة تمثل تماسكاً دلالياً .

وهذا الدور ليس للواو وحدها ، بل تقوم (ثم) ، و(الفاء)و(أو) و(بل) ،بالعطف كذلك ، غير أن الواو أكثر وروداً ، ليس في هذه السورة وحدها بل في السور المكية كلها ، إضافة إلى أن الواو لمطلق الجمع أو العطف ،

(١)الآيات من ١إلى ٢٢ من السورة نفسها.

بينما نجد لكل أداة من الأدوات الأخرى معنى إضافياً غير العطف ؛ فـ(ثم) للعطف مع التراخي ، و(الفاء) للعطف مع التعقيب والسرعة ، و (بل) للإضراب ، و(لكن) للاستدراك ...إلخ .[1]

المطلب الأول :العطف للذات الإلهية :

يوضح استكمال النظر إلى الآيات التي فيها إحالة إلى الله تعالى تكوين هذه الآيات من أدوات العطف والدور الذي تقوم به .

ومن هذه الآيات قوله تعالى :

- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ المؤمنون: ١٢
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ المؤمنون: ١٣
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٤
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ المؤمنون: ١٥
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ المؤمنون: ١٦
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ المؤمنون: ١٧

(١)الفقي ، علم اللغة النصي – بين النظرية والتطبيق - ، ص٢٨١

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ المؤمنون: ١٨
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ المؤمنون: ١٩
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٠
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ المؤمنون: ٢١
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٣
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٧
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٧٨
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٧٩
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٠

وإمعان النظر في هذه الآيات يظهر أنها تدور حول معانٍ متعددة تتماسك فيما بينها **عن طريق أدوات العطف ومن هذه المعاني** :

الأول : آيات توضح نعم الله على خلقه ، مثل خلق الإنسان ، وخلق السموات والأرض ، وإرسال السماء مدراراً ، والإطعام ، والتمكين في الأرض

الثاني : آيات توضح إنذار العباد من بأسه تعالى ؛ مثل حشره للعباد يوم القيامة ، والإهلاك بالذنوب ، وبعث العذاب والبأس.

والتماسك بين هذه المعاني ، إذ إنها مسندة كلها إلى الله تعالى ، يسير على مستويين ؛ الأول داخلي وهو متعلق بالتماسك داخل الآية الواحدة ، والثاني خارجي وهو متعلق بالتماسك بين هذه المعاني فيما بينها وهذا التماسك ليس قائماً على أدوات العطف فحسب بل يقوم على الضمائر كما سبق .

وهذا التقسيم ليس معناه أن النص عبارة عن موضوعات متنوعة غير متماسكة ، بل نجد هذه المعاني متماسكة فيما بينها تماسكاً شكلياً وآخر دلالياً .

المطلب الثاني :العطف إلى الرسول ﷺ:

أما الآيات التي تحتوي على إحالة إلى رسول الله ﷺ بصفته المتلقي المباشر للنص القرآني ، فإنها تنتشر في هذه السورة لكن ليس بنفس قدر الانتشار الذي اتضح في الآيات التي بها إحالة إلى الله تعالى .

ومن أمثلة ذلك :

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٩
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٧٠

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٧٣
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٤
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٧
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٨

وقد عرض في المبحث السابق للآيات المحتوية على إحالة لرسول ﷺ . ونلاحظ أنه ليست آيات إحالة الضمائر كلها تحتوي على أدوات عطف تحيل لرسول ﷺ .ومع ذلك فالأمثلة التي ذكرناها هنا كلها تحتوي على هذين النوعين أو هاتين الوسيلتين من وسائل التماسك النصي ، الضمائر وأدوات العطف .

وأدوات العطف المستعملة هنا لا نستطيع القول بأنها إ حالية سابقة أو لاحقه أو خارجية ولكنها مجرد روابط تربط بين أمور مسندة إلى رسول الله ﷺ ، أو رابطة بين أوامر أو نواهٍ له ﷺ ومن ثم فهي داخلية فقط .

ومن ثم فإن دور العطف هنا في الربط ليس في قوة دور الضمائر في تحقيق التماسك النصي . ولهذا وجدنا كثرة الضمائر بأنواعها كما اتضح في المبحث السابق .[1]

ويلاحظ - الفقي - في هذه الآيات أن الربط حدث بين كلمة وكلمة ، وبين جملة وجملة ، وبين آية وآية . ومن ثم فدوره ليس على مستوى الكلمة

(١)الفقي ، علم اللغة النصي – بين النظرية والتطبيق -،ج٢ ،ص١٨٤

وحدها ،بل تعداها إلى مستوى الجملة مع قرينتها ، وعلى مستوى الآية ، مع الآية المجاورة لها .[١]

المطلب الثالث : العطف عند المؤمنين :

أما دور أدوات العطف في تحقيق التماسك النصي من خلال الآيات التي ذكر بها المؤمنون ، من أمثلة ذلك :

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٣
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٤
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾ المؤمنون: ٥
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾ المؤمنون: ٦
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٧
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٨
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٩
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠٢

وأدوات العطف هنا حققت التماسك عن محورين أساسين هما :

الأول: قيامها بالجمع بين صفات للمؤمنين كما في الآيات من:١ -٩ وغيرها .

الثاني : قيامها بالجمع بين الأوامر الموجهة من الله تعالى إليهم ، إضافة إلى جمعها بين الأفعال المسندة إلى المؤمنين .

---

(١)الفقي ، علم اللغة النصي - بين النظرية والتطبيق -، ص٢٨٤

المطلب الرابع : العطف عند المشركين :

أما الآيات التي بها أدوات عطف تعود إلى المشركين فإنها تحتل المرتبة الثانية من حيث عدد مرات الورود في السورة ، وقد ذكر سبب ذلك في المبحث الخاص بالضمائر .

ومن هذه الآيات :

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٣
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٥
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٧
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٨
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ المؤمنون: ٤١
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٤٤
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ المؤمنون: ٤٦

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٤٧
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٣
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٦
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٨
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠٣
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠٤
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠٥
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠٦
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠٨

يظهر أن أدوات العطف قامت بالربط بين الكلمة والكلمة وبين العبارة والعبارة ، وبين الجملة والجملة ، هذا ليس على مستوى الآية الواحدة فقط ؛بل على المستو ى الأكبر ، مستوى الآيتين المتجاورتين ، بل على مستوى السورة كلها . ودليل ذلك وحدة المتحدث عنهم ، ومن قبل وحدة المتكلم . فهذه الآيات كلها تتحدث عن المشركين . وهذا ما يمكن ملاحظته كذلك في الآيات التي تتحدث عن الله تعالى وعن الرسول ﷺ وعن المؤمنين .[1]

(١)الفقي ،علم اللغة النصي – بين النظرية والتطبيق -،ص٢٨٦

ومن الإعجاز أن أدوات العطف إذا نظرنا إلى دورها التماسكي ، فإننا نجده بين الآيات المتجاورة على مستوى السورة كلها من ناحية ، من بداية السورة حتى نهايتها . وكذلك نجد دورها واضحاً من خلال تحقيق التماسك بين الآيات التي تتحدث عن الله تعالى ، والآيات التي تتحدث عن الرسول ﷺ ، والآيات التي تتحدث عن المؤمنين ، وكذلك المشركين .

ومن المؤكد أن السبب في هذا يُعزى إلى وحدة الموضوع السورة كما سبق ذكره ، وهذا يؤدي إلى تماسك الآيات كلها من ناحية ، وتماسك المحاور الأربعة التي تتحد في خدمة موضوع السورة من ناحية أخرى .

المبحث الثالث :التكرار:

يعدّ التكرار عاملاً مهمّا من عوامل الاتساق المعجمي ، لما له من أثر في تأكيد المعنى وإبرازه ، وتمكينه المتلقي من الإحاطة التذكيريّة بالملفوظات السابقة من الكلام .

يطلق بعض الدارسين على هذه الوسيلة الاتساقية " الإحالة التكرارية " ويتمثل في إعادة عنصر أو عدد من العناصر اللغوية في بداية كل جملة من جمل النص لغرض التأكيد [١] .

تشير الدراسات اللسانية إلى أن هذه الظاهرة اللغوية تسهم بشكل واضح في ربط عناصر النص المتباعدة ، كما تحقق استمرارية النص وتلاحما بين عناصره من خلال استمرارية عنصر لغوي من أول النص إلى آخره ، وهذا العنصر يربط أجزاء النص مع تضافر عوامل تماسك النص الأخرى [٢].

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد هذا العرض النظري الموجز : كيف يمكن لهذه الوسيلة الاتساقية " التكرار " أن تسهم في تحقيق التماسك النصي لهذه السورة ؟

فقد رأينا في هذه السورة ، أربعة محاور :

١ - الله تعالى . ٢ - الرسول ﷺ.

٣ - المؤمنون. ٤ - المشركون .

---

(١)الزناد ، نسيج النص ،ص ١١٩

(٢)الفقي ،علم اللغة النصي – بين النظرية والتطبيق -، ج٢ ،ص٢٢

مع مراعاة أن التكرار قد يكون كلمة واحدة أو عبارة أو جملة أو قصة . فأول ما يلفت النظر تكرار لفظ الجلالة " ٣٣" مرة بين لفظي " اللّٰه " و" رب " مع اشتقاقاتها المتنوعة . هذا إضافة إلى الضمائر التي تحيل إلى اللّٰه تعالى ، فقد بلغت " ٦١" . وهذا كله يحيل إحالة داخلية سابقة إلى لفظ الجلالة .

المطلب الأول : التكرار عند الذات الإلهية :

تكرار لفظ الجلالة في هذه السورة ، لا يحقق التماسك النصي بين الكلمات المكررة وحدها ، لكنه يحقق التماسك النصي بين الآيات التي يقع لفظ الجلالة فيها . ويتأكد هذا عبر ملاحظة أن أغلب هذه الآيات تحمل أموراً مسندة إلى اللّٰه تعالى ، والتكرار لهذا اللفظ الكريم يسهم في إبراز علاقة الإسناد ، ومن ثم تحقيق التماسك النصي .[1]

ولنلاحظ – على سبيل المثال لا الحصر – بعض هذه الآيات :

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٤
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٣
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٤

(١)الفقي ،علم اللغة النصي –بين النظرية والتطبيق -، ج٢ ،ص٢٤

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٨
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٨
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٩

فهذه الأمور كلها ؛ استحقاق الحمد على حسن الخلق ، وبعث الرسل ،الامتلاك لكل شيء ، والقدرة على الإنقاذ من الهلاك ... إلخ ، هذه كلها تحتاج إلى مسند إليه . وما دامت هذه الأمور متفرقة في آيات كثيرة ، أصبح ذكر الله تعالى في هذه المواضع كلها أمراً ضرورياً لتأكيد الإسناد دلالة ، ولتحقيق التماسك النصي عبر التكرار . ولا يخفى ما لذكر الله بهذه الطريقة من تحقيق لاستمرارية النص .

ولم يتوقف دور التكرار على تحقيق تماسك النص على مستوى الآيات المتتالية وحسب، بل على مستوى الآية الواحدة؛ فنجد لفظ الجلالة مكرراً في بعض الآيات مرتين ، فمنه قوله تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المؤمنون: ٩١

فقد كان من الممكن – في غير النص القرآني – الاكتفاء بذكره مرة واحدة في أول الآية ، ثم تحل محله الضمائر في الموضع الثاني . لكن تكرار لفظ الجلالة " الله " مرتين بهذه الصورة يؤكد قدرته سبحانه وتعالى على القضايا المطروحة في هذه الآية ؛الاستدلال على إثبات الوحدانية لله تعالى بالاستدلال على انتفاء الشركاء له في الإلهية. ومن ثم تأكيد الإسناد إليه

سبحانه . ومن جهة أخرى يتحقق تماسكها نصياً عبر التكرار . ولم تستخدم الضمائر في هذه الآية للإحالة إلى الله تعالى ، لكن استخدم الاسم الظاهر مكرراً ، ولا يخفى أن التصريح بالاسم مكرراً له قوة في الدلالة وفي اللفظ ، ومن ثم في تحقيق التماسك .[1]

والدور الذي قام به لفظ الجلالة " الله " يقوم به كذلك المشتق " رب " " وربكم "، " وربنا" ، " وربي " ، " وربك " على اختلاف الضمائر المتصلة به . وكذلك ما تفعله الضمائر التي تحيل إلى الله تعالى ، ونؤكد أنها تقوم مقام الاسم الظاهر في الآيات ، ونذكر منها قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٩

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ المؤمنون: ٥٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٥٧

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٥٨

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٥٩

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ المؤمنون: ٧٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠٩

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٦

---

(١)الفقي ،علم اللغة النصي –بين النظرية والتطبيق - ، ص٢٩

ثم يتكرر ما يتصل بالله تعالى من لفظ الجلالة " اللّه " ، و " رب " وبعض أسماء اللّه الحسنى مثل : الرحيم ، والكريم ، والرّزّاق ،والغفّار. ثم الضمائر التي تحيل إليه ، وهذا الكم من التكرار لتأكيد انفراد اللّه تعالى بهذه الآلاء ، وتفضله وحده بها على عباده .

كذلك نجد تكرار كلمة "خلقنا " ثلاثة مرات بخلاف كلمة جعلنا ،في قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٢ – ١٤

وقد جاء ورودها في النص متساوقا مع طبيعة الهيكل التنظيمي للنص، هناك فرق بين الجعل والخلق؛ فالجعل هو أن تُغيّر الصيرورة فنقول جعلت الماء ثلجاً أي أنه لم يكن فصار. أما الخلق فقد دلت على خلق الإنسان، ومروره في المراحل التسع المذكورة دليل واضح على وجود اللّه تعالى و وحدانيته وقدرته العظمى.

فالخلق مرحلة مستقلة عن غيرها والخلق هو من مادة بخلاف الإبداع الذي هو من عدم بدليل قوله تعالى:﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحجر: ٢٧ والنار مخلوقة قبل الجان وقوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾ص: ٧١ ،استخدام حرف (من) يفيد أن الطين موجود وخلق آدم من مادة موجودة هي الطين .[1]

من هذا نستنتج وظيفة التكرار في تحقيق التماسك النصي للآيات التي تدور حول اللّه تعالى وصُنعه في خلقه . وهذه الآيات تنتشر من أول النص حتى

(١)السامرائى ، فاضل ، كتاب لمسات بيانية ،موقع الكتاب الإسلامي .

نهايته ، ومن ثم لم يكن التماسك النصي عبر التماسك النصي عبر هذا المحور فقط ، بل على مستوى السورة الكريمة كلها.

المطلب الثاني :التكرار عند الرسولﷺ :

أما **المحور الثاني** ، محور المتلقي المباشر للنص القرآني ، فهو تلك الآيات التي بها تكرار لأمر يتعلق بالنبي ﷺ .فلم يذكر اسمه ، ولا صفه من صفاته صراحة في هذه السورة ، لكن ما ذكر هو الضمائر التي تحيل إليه ، وسبق الذكر أن عددها "١٤"ضميراً . وكلها تتصل بأفعال وأوامر من الله تعالى لنبيه ، أو بخطاب خال من هذه الأوامر والنواهي . وبناء على تأكيدنا وظيفة الضمائر ؛ إذ إنها تقوم مقام الاسم الظاهر ، فإننا نعد هذه المواضع من قبيل التكرار لما يعود إلى شخص النبي ﷺ .

وأول موضع ذكر فيه ضمير يعود لشخصه ﷺ في قوله تعالى :﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٧

ثم تأتي الآيات التي تليها مباشرة في : ٧٠، ٧٢، ٧٣ ،٨٤، ٨٦ ، ٨٨ ،٩٣ ، ٩٤ ،٩٥ ، ٩٦ ،٩٧ .. لتمثل تكراراً يحيل إحالة خارجية سابقة لشخص الرسول ﷺ ؛ إذ لم يجر له ذكر صريح في السورة . نعم هذه الضمائر أحياناً للمخاطب وأخرى للغائب وثالثة للمتكلم لكنها في النهاية تحيل إلى شخص واحد .

وهذا التكرار للضمائر التي تحيل إلى النبي ﷺ لا يمثل تماسكاً بينها فقط ، بل تحقق هذا التماسك بين الآيات التي تحتوي على هذه الضمائر . وهذه الضمائر تبدأ في الظهور من الآية ٥٤ إلى الآية ٩٧ ، ومن ثم فهي تنتشر في ثنايا السورة لتحقق تماسكها عبر هذا المحور كذلك .وذلك من خلال

التماسك بين آيتين متجاورتين مثل قوله تعالى :﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٧٢ – ٧٣

فالهاء في (تسئلهم) و الكاف في (وإنك) يعودان إلى مرجع واحد ،على الرغم من اختلافهما من ناحيتي المخاطب والغائب . وكونها إلى مرجع واحد ، فإن هذا يحقق التماسك بينهما .

وتكرار فعل القول ، في صيغة الأمر ، من الله إلى الرسول ﷺ، من العناصر التي تحقق التماسك النصي بين الآيات التي تدور حوله . فقد تكررت صيغة الأمر من هذا الفعل في خمسة مواضع ، مشيرة بذلك إلى الحوار القائم بين الله ورسوله ، ليبلغ الناس من بعد. ولغة الحوار من الأنماط المحققة للتماسك النصي كذلك . والسؤال : كيف يتحقق التماسك عبر هذه الصيغة ؟ نقول على عدة محاور :

- تكرار صيغة " قل ".
- وحدة المتكلم وهو الله تعالى .
- وحدة المخاطب وهو الرسول ﷺ .

وكذلك قد يتكرر الضمير المحيل إليه في آية واحدة أكثر من مرة ، كما في قوله تعالى :﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٣

فنلاحظ أن " قُل – وتُريني " تحمل كلها ضمائر تحيل إلى الرسول ﷺ ، وثم فهي تكرار لهذه الضمائر التي تحل محل الاسم الظاهر . إضافة إلى كونها حواراً بين الله تعالى ورسوله ﷺ والمشركين ، فقد آذنت الآيات السابقة بأقصى ضلال المشركين وانتفاء عذرهم فيما دانوا به الله تعالى وبغضب الله عليهم لذلك ، وأنهم سواء في ذلك مع الأمم التي عجل الله لها

العذاب في الدنيا ، وادخر لها عذابا آخر في الآخرة ، فكان ذلك نذارة لهم بمثله وتهديدا بما سيقولونه ، وكان مثارا لخشية النبيء صلى الله عليه وسلم أن يحل العذاب بقومه في حياته والخوف من هوله فلقن الله نبيه أن يسأل النجاة من ذلك العذاب . وفي هذا التلقين تعريض بأن الله منجيهم من العذاب بحكمته ، وإيماء إلى أن الله يري نبيه حلول العذاب بمكذبيه كما هو شأن تلقين الدعاء كما في قوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٦. إضافة إلى دور أدوات العطف والضمائر في تحقيق التماسك في هذه الآية .

المطلب الثالث :التكرار عند المؤمنين:

هو **المحور الثالث** الذي تدور حوله الآيات ، وهو محور **المؤمنين** ، فلم يكن عدد آياته هو عدد الآيات التي تعود إلى الله تعالى ، والرسول ﷺ ، ولم يكن التصريح فيها بلفظ المؤمنين إلا مرة واحدة في بداية السورة بقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ المؤمنون: ١ ، أما المواضع الأخرى فإنها قد تكون بصفات لهم ، أو أوامر لهم ، فكانت مرجعيتها إلى المؤمنين سياقية . ومن النماذج التي ذكرت فيها صفاتهم ، قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المؤمنون: ٢ – ١١

وتلتقي هذه الآيات في نقطة واحدة تتمثل في كونها تتحدث عن المؤمنين ، وتحمل ضمائر تعود إليهم ، ومن ثم فهي ذات وحدة دلالية ، وهذا بدوره يحقق التماسك النصي لهذا المحور من السورة ، وكما هو واضح ينتشر في ثنايا السورة ويمكننا القول إن نمط التكرار الواضح في هذه الآيات هو " الترادف " ، فهي مترادفات توضح صفات للمؤمنين ؛ إذ يمكن إحلال لفظ المؤمنين محل هذه الضمائر والتي بلغ عددها نحو(٦٥) ضميراً في هذه السورة .

المطلب الرابع :التكرار عند المشركين:

هو **المحور الرابع** الذي يحتل المرتبة الثانية في عدد مرات الورود في السورة ، إذ إنهم ذكروا بالتصريح تارة ، وبالإضمار تارة أخرى في أكثر من (١٦٦) موضعاً من السورة [١].

بداية نلاحظ التصريح بلفظ " الكافرين " من الآية (٢٤) :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٤

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٣

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٧

---

(١)انظر " المبحث الأول الخاص بإحالة الضمير " .

وتأتي بعد ذلك الآيات إما بلفظ الكفر ، أو الشرك ، أو الاستهزاء ، أو السخرية ، أو الضلال ، أو الافتراء ، أو الجدل ، أو التكذيب بالبعث ،... إلخ من الصفات المتعلقة بهم .

ومن نماذج الآيات التي ذكر فيها لفظ المشركين ، وهو قرين للكافرين ومرادف له ،ومنها :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ **المؤمنون: ٩٢**

وهكذا تنطلق الآيات في سرد صفاتهم وأفعالهم مع رسول اللهﷺ . ويظهر انتشار الآيات التي تتحدث عن الشرك والمشركين من الآية الرابعة والعشرين حتى آخر السورة ، ولا شك أن ذكر اللفظ الدال صراحة ، أو بصفة من صفاته ، أو بضمير يعود عليه ، أو بمشتق من مشتقاته ، أو بذكر شيء يتعلق به ...إلخ .

هذه كلها أمور تتعلق بالتكرار . وبناء عليه يتضح انتشار التكرار عبر هذا المحور من بداية السورة حتى نهايتها ، ومن ثم دوره في تحقيق تماسكها النصي ، فلو تأملنا مرجعية هذه الأمور إلى الكافرين **لأمكن تمثيلها كالتالي** :

الكفار
- الشرك .
- الظلم .
- الإعراض.
- التكذيب .
- الاستهزاء.
- السخرية .
- الخسران .
- الندم والحسرة
- العذاب الشديد.

وهذا يبين انتماء هذه الصفات إلى عنصر واحد ، وأن الاستمرارية للكفر تسرى من خلال هذه الصفات . ومن ثم فهي تكرار بالدلالة لأن هذه الصفات من مستلزمات الكفر كما أظهرت الآيات . فهي تتحدث عن إعراضهم عن شرع اللّه وإشراكهم غيره وظلمهم لأنفسهم ، فهي إذن ذات وحدة دلالية ، ومن ثم يظهر تماسكها النصي شكلياً ودلالياً .

ومرجعية هذه الصفات كلها ، بناء على ما سبق ، داخلية سابقة من ناحية ، وكل هذه الصفات قد تكون مرجعيتها خارجية ، أما الوجهة الأولى فلأن لفظ الكافرين قد ذكر في بدايات السورة ، وما جاء في السورة من مستلزمات هذا الكفر ، ومن ثم فهي تحيل إليه . أما الوجهة الثانية فهي نابعة من عدم التصريح بهؤلاء الكافرين ؛ من هم ؟ وهذا يوضحه سياق السورة كما حدث في بيان مرجعية الضمائر التي تحيل إلى المشركين ، واعتمادها كثيراً على هذا السياق . وبما أنهم لم يذكروا صراحة ، ولم يجر لهم ذكر ، فإن مرجعية هذه الصفات التي تُعد تكراراً خارجياُ .[1]

وبصفة عامة يتحقق التماسك النصي في السورة عبر نمط ظاهر وهو "المقابلة" ؛ وهي واضحة بين المؤمنين وصفاتهم وأفعالهم وثوابهم ، والكافرين وصفاتهم وأفعالهم وعقابهم . غير أن هذه المقابلة ليست بين كلمة وأخرى ، أو جملة وأخرى ، بل بين وحدة دلالية ووحدة دلالية أخرى . وهذا جلىٌّ في النص القرآني بصفة عامة ؛ بين المفردات ، والجمل ، والآيات والفقرات . فالنص القرآني يعكس الطبيعة التي جُبل عليها البشر ، إما الخير أو الشر .

(١)الفقي ، علم اللغة النصي – بين النظرية والتطبيق -،ج٢ ،ص٤١

وأخيرا.... نجد إن التكرار أسهم في تحقيق التماسك النصي لهذه السورة الكريمة .

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، أحمده حمد العارفين بفضله، وأشكره على نعمه الظاهرة والباطنة..

وبعد...

ولقد توصّلَ البحث بفضل من الله تعالى إلى النتائج الآتية:

أولاً :أشارَ البحثُ إلى أنّه بالرغم من تباين تعريفات النصّ إلا أنها تشترك في تأكيدها على خاصية ترابط النص وتماسكه.

ثانياً : إنّ عدم تكوين نظريّة نصّيّة متكاملة في اللُّغة العربية لا يعنى أنّ العلماءَ العربَ لم يتجاوزوا حدودَ الجملةِ إلى النّص، ولكنَّ التطبيقات النصية لديهم تعكس بجلاء أهمية النظرة الشمولية للنص عامةً والنص القرآني على وجه الخصوص.

ثالثاً :تلتقي آراء علماء النّص مع أراء العلماء المسلمين القدامى في ضرورة النّظرة الشّمولية للنّص، وإنّما ظهر الجانب النّظري عند علماء النّص الغربيين، في حين ظهرت التطبيقات النصية عند العلماء المسلمين ولاسيما الذين عكفوا على دراسة القرآن الكريم للوصول إلى فهمه وبيان إعجازه.

رابعاً :يُمثل التماسك النصي حجر الأساس في التّحليل النّصي المعاصر.

خامساً :أثبتَ البحثُ دور الإحالة في تماسك النص إذ تقوم بربط أجزائه من خلال عودة اللفظ المحيل على مُفسِّره.

سادساً :يسمحُ العطف بتكوين جملة أو فقرة جديدة مرتبطة بالجملة أو الفقرة السابقة فيسهم في اتساع النص.

سابعاً :أكدَّ البحثُ أنّ كلّ تكرار في القرآن يأتي ليؤكد فكرة أو يثبت عقيدة، فلا يتكرر اللّفظ بالمعنى نفسه في السّياق نفسه.

ثامناً: أسهمَ موضوع الخطاب في إدراك تماسك النص عندما عادت الأحداث الأساسية إلى ذلك الموضوع والغرض.

تاسعاً: أثبتَ البحثُ دورَ المناسبة في تماسك النّص من خلال وسيلتين هما: التّناسب على مستوى السورة عموماً، والتّناسب على مستوى آيات السّورة.

أما أهم التوصيات التي توصي الباحثة بها:

أولها : استعمال هذه الدراسة أثناء صناعة مقررات تعليمية تدرج ضمن متطلبات دراسة البكالوريوس ، أو أقلها في الدراسات العليا .

ثانياً : استخدام هذه النظرية في تطبيقها على السور المدنية للقرآن الكريم .

ثالثاً :الدعوة إلى تطبيق هذه الدراسة من قبل طلاب وطالبات اللغويات ، في تطبيقها على الحديث النبوي الشريف كمثل : التطبيق في الأحاديث القدسية ، التعرض لها من خلال صحيح البخاري أو صحيح مسلم .

رابعاً: ضرورة خلق مقرر خاص بلسانيات الخطاب في الخطة الدراسية لمرحلة الماجستير والدكتوراه بقسم اللغة العربية بجامعة طيبة .

الباحثة :لمياء السراني

الفهارس الفنية

مصطلحات لسانية

(أ)

إبيستيمولوجية: Epistémologie

الإحالة أو المرجعية : Reference

الاستبدال : Substiution

إجراء:procédure

الإخبارية أو الإعلام: Informativity

استدلال:déduction

استقراء:induction

اشتقاق:dérivation

إعادة صياغة:paraphrasage

إلحاقية (علاقة) : relation(appenditive)

أوامر:instructions

الالتحام :Coherence

الاتساق: Cohesion

الانسجام: Coherence

الاتساق المعجمي : Lexical cohesion

الإحالة التكرارية : Epanaphora

إحالة سابقة: Anaphora

إحالة لاحقة أّو بعديّة : Cataphora

استبدال داخلي:Endophoric

الاستبدال الخارجي Endophoric

(ب)

بنيوية: Structuralisme

(ت)

تأليفي:Combinatoire

تأويل:Interprétation

تجريبي:Empirique

تحليل مقطعي:Syllabation

ترتيب:Ordre

تفسيري: Explicatif

تمثيل: Représentation

توافق:Correspondance

توزيعي:Distributionnel

التناص : Intertextuality

(ج)

جدولية (علاقة):Paradigmatique

جمل مترادفة:Paraphrases

(ح)

حقل:Champ

الحبك :Coherence

الحذف :Euipse

(خ)

خبري: Declarative

خطاب: Discours

(د)

دليل: Signe

(ذ)

ذكاء اصطناعي: Artificielle intelligence

ذهني: Mental

(ر)

رمز : Symbole

رعاية الموقف Situation

الربط أو العطف : Conjonction

الربط الإضافي : Additive

الربط العكسي : Adversative

(س)

مركبية Sgntagmatique

سمات، ملامح تمييزية:Traits pertinents

سياق: Context

السبك أو الربط النحوي:Cohesion

(ص)

صورة، شكل:Forme

صياغة صورية: Formalisation

(ع)

عائدية (بنية): anaphorique (structure)

علم الدلالة: Sémantique

عميق (مستوى): profound (niveau)

(ق)

القبول أو المقبولية: Accptability

القصد: Intentionality

(ك)

كلمة: Mot

كلمة لاحقة: Proclitique

(ل)

لاحقة: Suffixe

لسان: langue

لغة: langage ، langue

لفظة : lexie

(م)

مؤلفة: Composante

موضوع/ متغير: Argument

مجموعة: Ensemble

مستمر: Continu

مطابقة: Accord

المقامية :(Situationality)

معجم: lexique

معنى: Sens

متفصلة: Articulation

Conceptualisation:مفهمة

Sous-catégorie:مقولة فرعية

Constituant : مكون

Sous-constituant:مكون فرعي

Discontinu:منقطع

(ن)

Accent : نبر

Grammaire universelle : نحو كلي

Texte : نص

Système : نظام

Text Grammar : نحو النص

(و)

Semantic Unite وحدة دلالية

Attributive : وصفية (علاقة)

قائمة المراجع والمصادر

-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

-إبراهيم ،عبدالله ومؤلفون ،سعيد وعلي ،عواد ،(١٩٩٠م) معرفة الآخر :مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ،(ط١)،بيروت والدار البيضاء :المركز الثقافي العربي.

-إبراهيم ،عبدالله ،(٢٠٠٠م)،التلقي والسياقات الثقافية،(ط١)،القاهرة : دار الكتاب الجديد .

-الأخضر، جمعي ،(٢٠٠٢م)، قراءات في التنظير الأدبي والتفكير الأسلوبي عند العرب ،(د.ط)، الجزائر : رابطة الإبداع الثقافية .

-الألوسي ،(د.ت) ،تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (د.ط)، القاهرة : دار النشر إدارة الطباعة المنيرية .

-بارت ،رولان ،(١٩٩٢م)،لذة النص .(ترجمة : منذ عياشي)،(ط ١) ،حلب : مركز الإنماء الحضاري .

-الباقلاني ، القاضي أبي بكر ،(١٩٧٣م) ، إعجاز القرآن ، ج ١ (د.ط)،بيروت : المكتبة الثقافية .

-الباهي ، حسان ،(٢٠٠٠م) ،اللغة والنطق : بحث في المفارقات ،(ط١) ، الدار البيضاء :المركز الثقافي .

-براوند ويول ،(١٩٩٧ م) ،تحليل الخطاب ، (ترجمة : محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي)، (ط١ ، ، الرياض : منشورات جامعة الملك سعود .

-البحيري ، سعيد حسن ،(١٩٩٩م) ،دراسات لغوية تطبيقية في البنية والدلالة ،(ط١)،القاهرة : مكتبة زهراء الشرق .

-البحيري ،سعيد حسن ،(١٩٩٧م)، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، (ط١)مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.

١٣.البستاني ،كرم وآخرون ،(٢٠٠٢ م) ، المنجد في اللغة والأعلام ، (ط٣٩)، بيروت : دار المشرق.

-البقاعي،برهان الدين ،(١٤١٥ هـ)، نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، (د. ط)، بيروت : دار الكتب العلمية.

-البهنساوي ، حسام ،(١٩٩٤م)،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ، (د. ط)، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية .

-البيهقي ، أبو بكر أحمد الحسن ،(١٩٩٠م) ،شعب الإيمان ، تحقيق :أبي هاجر محمد السعيد بن سيوني زغلول، ج٢ (ط١)، دار الكتب العلمية .

-بوسته ، محمود ، الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، رسالة ماجستير من جامعة الحاج لخضر بانتة في الجزائر ، (د.ط ،٢٠٠٩م) .

-بوسقطة ،السعيد، مجلة الموقف الأدبي، شعرية النص بين جدلية المبدع والمتلقي ، -مجلة – إلكترونية -أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العدد ٣٧١ آذار ٢٠٠٢ م .

-الجاحظ ،(١٩٩٨م)،البيان والتبيين ،تحقيق:عبدالسلام هارون،ج٢ (د.ط)،مكتبة الخانجي .

-الجراح ، عبدالمهدي ، الخطاب وأثره في بناء نحو النص : تطبيق على المعلقات السبع . رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد ، الأردن، غير مطبوعة.

-الجرجاني ،علي بن محمد،(٢٠٠٠م) ،التعريفات، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود ،(ط١) ، بيروت: دار الكتب العلمية.

-الجرجاني ،عبد القاهر،(١٩٩١م)،أسرار البلاغة ، تعليق:محمود محمد شاكر ، (ط ١) جدة : دار المدني.

- الجرجاني، عبدالقاهر ،(د.ت) ،دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تصحيح: محمد محمود الشنقيطي، تعليق: محمد رشيد رضا ،(د.ط).

-الجرجاني ، عبد القاهر ،(د.ت) ،العوامل المائة النحوية في أصول علم العربيّة ،تحقيق: البدراوي زهران ،(ط١) ، دار المعارف .

-ابن جني ،(١٩٨٦ م) ،الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، ج١ (ط٣) ،القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب .

-حسان ، تمام ،(١٩٩٨م)، اللغة العربية معناها ومبناها ،(ط٣)، القاهرة : عالم الكتب .

-حسنين ، صلاح الدين صالح ،(٢٠٠٥ م) الدلالة والنحو ، (ط١) ، القاهرة : مكتبة الآداب .

-حمودة ، عبدالعزيز ،(٢٠٠١م)،المرايا المقعرة ، (د.ط)، الكويت : عالم المعرفة.

-حوى ، سعيد ،(١٩٩٩م)، الأساس في التفسير ،مج ١ (ط ٥)، القاهرة :دار السلام .

-خرما ،نايف،(١٩٧٩م)، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، (ط٢)، الكويت: عالم المعرفة.

-خطابي ، محمد ، (١٩٩١م) ،لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب ، (ط١) ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي .

-الخلف ، نوال ، الانسجام في النص القرآني سورة النور أنموذجا – رسالة دكتورة من جامعة الجزائر .

-خليل ، إبراهيم ،(١٩٩٧ م) ، الأسلوبية ونظرية النص ، (ط١)، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر

-الخوالدة ، فتحي رزق الله ،(٢٠٠٦م) تحليل الخطاب الشعري ، ثنائية الاتساق والانسجام ، (ط ١) ،الأردن : أزمنة للنشر والتوزيع .

-الخولي ، أمين ،(١٩٤٧ م) ،فن القول ، (ط١)، القاهرة : دار الفكر العربي .

-دايك ، فان ،(٢٠٠١م)، علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ،ترجمة. سعيد حسن بحيري ، (د.ط)، القاهرة : دار القاهرة للكتاب .

-دايك ، فان ، (٢٠٠١ م) ،علم النص : مدخل متداخل الاختصاصات ، (ترجمة : سعيد بحيري) ، (ط١) ، القاهرة : دار القاهرة للكتاب .

-دايك ،فان، (٢٠٠٠م)،النص والسياق : استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، (ترجمة : عبدالقادر قنيني) ،(ط١) ، الدر البيضاء : أفريقيا الشرق .

-دوب، رابح ،(١٩٩٧م) ،البلاغة عند المفسرين في نهاية القرن الرابع الهجري ،(ط١)، القاهرة : دار الفجر .

-دي سوسير ، فردیناند ،(١٩٨٥ م) ،علم اللغة العام ،(ترجمة : يوئيل يوسف عزيز) ، (ط١) ،بغداد : دار آفاق عربية للصحافة والنشر .

-الرازي : محمد بن أبي بكر ،(١٩٩٣م)، مختار الصحاح ، (د. ط) ، مكتبة لبنان ناشرون .

-رآغين ،بوشعيب، بحث بعنوان : مظاهر انسجام واتساق الخطاب القرآني في ضوء المكاملة بين لسانيات النص الحديث والدرس الأصولي .

-روبرت ،دي بوجراند،(١٩٩٨ م) ،النص والخطاب ولإجراء ، (ترجمة : تمام حسان)، (ط١) ،القاهرة : عالم الكتب .

-الزبيدي ،محمد، (د.ت) ، تاج العروس من جواهر القاموس ،ج ١(د.ط)، طبعة الكويت .

-زحيلي، وهبه ، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ،موقع نداء الإيمان .

-الزرقاني ، محمد عبدالعظيم ،(د.ت)، مناهل العرفان في علوم القرآن ،(ط ٣) ،مطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه.

-زناد ، الأزهر،(١٩٩٣ م)، نسيج النص : (ما يكون به الملفوظ نصا) ، (ط ١) ، بيروت: المركز الثقافي العربي.

-أبو زنيد ، عثمان ،(٢٠١٠ م) ، نحو النص – إطار نظري ودراسات تطبيقية ، (ط١)، اربد: عالم الكتب الحديث.

-أبو زيد ، حامد نصر ،(١٩٩٢م)، إشكاليات القراءة وآليات التأويل ،(ط٢)، الدار البيضاء : المركز الثقافي .

- السامرائي ،ابراهيم ،(د.ت)،لمسات بيانية ،ج٧،(د.ط)، دار ومكتبة هلال.

-السد، نور الدين ،(١٩٩٧م)،الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ج ٢ (د.ط) ، الجزائر : دار هومة للطباعة والنشر ، .

-.سيبويه ، أبو بشر عثمان بن قنبر ، (١٩٦٦م) ،الكتاب ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، ج٤ ، (ط١)،القاهرة :دار القلم .

-السيوطي ، (د.ت)، الأتقان في علوم القرآن ،تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج١ ،(د.ط)، القاهرة :دار التراث.

-الشاطبي ، أبو إسحاق ،(د.ت)،الموافقات في أصول الشريعة ،.تحقيق .عبدالله دراز ، ج٣ (د.ط)، بيروت : دار الكتب العلمية .

-الشافعي ، (١٩٩٠م)،الرسالة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر، (ط ١)، بيروت : دار الكتب العلمية .

-الشاوش ، محمد ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحويّة العربيّة : تأسيس نحو النص ، (ط١ –د.ت) تونس : كلية الآداب بمنوبا ، وبيروت : المؤسسة العربيّة للتوزيع .

-الشرقاوي ، عفت ، بلاغة العطف في القرآن الكريم ، دراسة أسلوبية ، (د.ط ، د.ت) دار النهضة .

-صالح ، بشري ، (٢٠٠١م)، نظرية التلقي (أصول ... وتطبيقات) ، (ط١)،الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي .

-صالح ، بهجت عبد الواحد ،(د.ت)، الأعراب المفصل لكتاب الله المرتل ، مج ٧ (د.ط)، دار الفكر.

-عباس ، عبدالواحد محمد ، (١٩٩٦م)، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب لغربية الحديثة وتراثنا النقدي ،(ط١)، لبنان : دار الفكر العربي .

-ابن عبد ربه ، (١٩٨٣م) ، العقد الفريد ،تحقيق : مفيد محمد قميحة ، ج١ (ط١) ،بيروت : دار الكتب العلمية .

-عبدالرحمن ،طه،(٢٠٠٠م)،في أصول الحوار وتجديد الكلام ، (ط٢) ، بيروت : المركز الثقافي العربي .

-عبدالقادر شرشار ،(د.ت)، تحليل الخطاب الأدبي ، (د.ط) ، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

-عبدالله ، وليد ، دور المنهج الاستبدالي في وصف العربيّة وتقعيدها ، (د.ط ، ٢٠٠٢ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمّان ، الأردن .

-عبدالمجيد، جميل ،(١٩٩٨م)، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ،(د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

-عبدالمجميد ،جميل ،(د.ت)، بلاغة النص : مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، (ط١) ،القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .

-العبد ،محمد ،(١٩٨٩م)،اللغة والإبداع الأدبي ،(ط١)،القاهرة :دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع .

-.عزام ، محمد ،(د.ت) ،النص الغائب : تجليات التناص في الشعر العربي ، (ط١)،دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العربي .

-عضيمة ، محمد عبدالخالق ،(د.ت)، دراسات في أسلوب القرآن الكريم، مج٤ (د.ط)، القاهرة : دار الحديث .

-عفيفي، أحمد ،(٢٠٠١م)،نحو النص ،(ط ١) ، القاهرة :مكتبة زهراء الشرق.

-العمري ،محمد ، (١٩٩٩م)، البلاغة العربية ، أصولها وامتدادها ، (د.ط)، الدار البيضاء :أفريقيا الشرق .

-الغانمي ، سعيد ،(١٩٩٣م)،اللغة والخطاب الأدبي ، (ط١)،الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي .

-ابن فارس ،(١٩٧٩م)،معجم مقاييس اللغة، ج ٥ (د.ط)،دار الفكر .

- فجال، أنس محمود ،مقال بعنوان: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني .

-الفراهيدي ،الخليل بن أحمد ، (د.ت) ، كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي ، (د.ط).

-.فرنسيس، مريم، (١٩٨٩م)، بناء النص ودلالته (محاور الإحالة الكلامية) ، (ط١) ، دمشق :منشورات دار الثقافة.

-فضل ، صلاح ،(د.ت)، بلاغة الخطاب وعلم النص . (ط١) ، مصر : الشركة المصريّة العالمية للنشر – لونجمان .

-الفقي ، صبحي ،(٠٢٠٠ م) ،علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق – دراسة تطبيقية على السور المكية -، (ط١)، القاهرة : دار قباء للنشر .

-ابن قتيبة ، أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، (١٩٧١م)، تأويل مشكل القرآن ،شرح ونثر السيد أحمد صقر ، (ط ٣)، المدينة المنورة : المكتبة العلمية .

-القاسم، محمد أحمد يوسف،(١٩٧٩ م) ،الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره،(ط١).

-قريرة ، توفيق ،(٢٠٠٣م)، التعامل بين بنية الخطاب وبنية النص في النص الأدبي ،(ط٢)، عالم الفكر .

-القسي ، مكي بن أبي طالب ،(٢٠٠٨م) ، الهداية إلى بلوغ النهاية ، تحقيق : مجموعة من الباحثين ، ج٧ (ط١)،جامعة الشارقة .

-قطب ،سيد ،(١٩٩٠ م)،في ضلال القرآن، ج ٤،(ط١٦) ،مصر : دار الشروق .

- قطب ، سيد ،(١٩٥٩م) التصوير الفني في القرآن، (د.ط)، القاهرة : دار الشروق.

- قطب ، سيد ، (٢٠٠٧م)،مشاهد القيامة في القرآن ، (ط١٧)،القاهرة : دار الشروق.

-القلقشندي ،(د.ت) ،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ،ج١٠ (د.ط)، بيروت :دار الكتب العلمية.

-القزويني الخطيب ،(١٩٩٩م)، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : عبدالحميد هنداوي ، (ط ١)، مؤسسة المحتار

-قميحة، مفيد،(٢٠٠٥م) ،المعلقات العشر ، شرح ودراسة وتحليل ، (ط٥)،بيروت :دار الفكر اللبناني

-قياس ، ليندة ،(د.ت) ، لسانيات النص – النظرية والتطبيق – مقامات الهمذاني أنموذجاً ، تقديم : عبدالوهاب شعلان ، (ط ١)، القاهرة : ميدان الأوبرا ، مكتبة الآداب .

-المبرد ،أبو العباس محمد بن يزيد ،(١٩٩٧ م)، الكامل في اللغة والأدب ،تحقيق : محمد أحمد الدالي ،ج١ (ط٣) ، مؤسسة الرسالة.

- المبرد ، المقتضب ، (١٣٩٩هـ)تحقيق : عبدالخالق عظيمة ، (د.ط)، القاهرة :المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية ، ،ج٤،ص٧٣

-محمد ، عزة شبل ،(٢٠٠٩م) ،علم لغة النص – النظرية والتطبيق – تقديم د.سليمان العطار ، (ط٢) ، القاهرة : مكتبة الآداب .

-مرتاض ، عبدالملك ،(١٩٩٧ م)، قراءة النص بين محدوديّة الاستعمال ولانهائية التأويل (د.ط)،سلسلة كتاب الرياض .

-.مرتاض ، عبدالملك ،(١٩٨٣ م)،النص الأدبي من أين ؟ وإلى أين ، (د.ط) ، الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية.

-مرتاض ، عبدالملك،في نظرية النص الأدبي،المجاهد (الأسبوعية الجزائرية) ،عدد ١٤٢٤ ، نقلا عن : رابطة أدباء الشام

-المسدي ، عبدالسلام ،(١٩٨٦م)،التفكير اللساني في الحضارة العربية،(ط٢)،تونس : الدار العربية للكتاب .

-المسدي ، عبدالسلام ،(١٩٨٢ م)،الأسلوبيّة والأسلوب ، (ط٢) ،تونس : الدار العربيّة للكتاب .

-مصطفى ، مسلم ،(١٤١٠هـ) ،مباحث في التفسير الموضوعي، (ط ١) ، دمشق : دار القلم .

-مصطفى ،ابراهيم وآخرون ، (٢٠٠٥ م)، المعجم الوسيط ، (ط٤)، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية .

-ابن منظور ،(د.ت) لسان العرب مج١٤ (ط١)،بيروت :دار صادر .

-مفتاح ، محمد ،(١٩٩٢م)،تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، (ط ٣) ، المغرب :المركز الثقافي العربي.

-.مفتاح ، محمد ، (١٩٩٩م) ،المفاهيم معالم : نحو تأويل واقعي ، (ط١)، بيروت : المركز الثقافي العربي .

-المناوي ، ،عبد الرؤوف ،(١٩٣٨ م)،الكواكب الدرة في السادة الصوفية ،(د.ط).

-ناصف ،مصطفى ، (١٩٩٥ م)، اللغة والتفسير والتواصل ،(د.ط) ، المجلس الوطني الكويتي .

-نور الدين السد ،(١٩٩٧م)،الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ج٢ (د.ط) ، الجزائر : دار هومة للطباعة والنشر .

-نيوبرت ،ألبرت وغريغوري ،شريف ،(٢٠٠٢م)،الترجمة وعلوم النص ،ترجمة :محي الدين حميدي ،(ط١)،الرياض :منشورات جامعة الملك سعود .

-ابن هشام ،(٢٠٠٣ م) ،مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، (د.ط) ، ج١ ،بيروت: المكتبة العصرية .

-يقطين ، سعيد ،(د.ت) ،من النص إلى النص المترابط ،(ط١)، الدار البيضاء :المركز الثقافي .

-يونس ،محمد محمد، مقال بعنوان : الإحالة وأثرها في دلالة ، مدونه تخاطب النص وتماسكه.

المواقع الإلكترونية :

-الجزائري ، أبو بكر ،محاضرات مقروءة في تفسير سورة المؤمنون، موقع اسلام ويب.

-حطيبة :أحمد ، محاضرة تفسير سورة المؤمنون [١ - ٦] ،موقع الإسلام ويب .

-الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، موقع نداء الإيمان

-ابن عاشور ،محمد الطاهر ،التحرير والتنوير، موقع المكتبة الإسلامية على شبكة إسلام ويب.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
صفحة العنوان	أ
صفحة البسملة	ب
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
ملخص البحث	هـ
المقدمة	و
التمهيد :التعريف بعلم النص	١
الباب الأول : نظرية نحو النص بين التراث العربي والدراسات اللغوية المعاصرة .	٤
الفصل الأول : النص ونحو النص (الحدود والمكونات).	٥
المبحث الأول :مفهوم النص :	٦
المطلب الأول : النص في التراث العربي (قديماً وحديثاً).	١١
المطلب الثاني : النص بين التراث العربي و التراث الغربي .	١٨
المطلب الثالث : النص في الدرس اللساني.	٢١
المبحث الثاني :نحو النص والبحث اللغوي :	٢٧
المطلب الأول : المصطلح والتعريف .	٢٧
المطلب الثاني: فضاء النشأة.	٢٨
المطلب الثالث : مهمة نحو النص .	٣٤
المبحث الثالث : البحث اللغوي بين نحو الجملة ونحو النص.	٣٨
الفصل الثاني : معالم نظرية نحو النص في التراث العربي.	٤٧
المبحث الأول: خصائص النظرية في التراث العربي الإسلامي.	٤٨
المبحث الثاني :بين النظرة التجزيئية والنظرة الشمولية للنص.	٤٩
المبحث الثالث: تجليات علم النص من خلال علم التفسير و علوم القرآن ومنها :	٥١

المطلب الأول : الطبري في: الربط بين الجمل . ٥١
المطلب الثاني : البقاعي في تناسب الآيات و السور. ٥٤
المطلب الثالث : السيوطي " التنظير لعلم المناسبات. ٦٢
المبحث الرابع: العلاقة بين النص والسياق في المساهمات العربية . ٦٦
المطلب الأول : عند الأصوليين : ٦٦
المطلب الثاني: عند البلاغين . ٦٨
المطلب الثالث: عند النحويين. ٧٥
المطلب الرابع : عند المفسرين. ٨١
الفصل الثالث : الحاضر الغربي ونحو النص. ٨٨
المبحث الأول :هاليداي ورقية حسن ونحو النص. ٨٨
المطلب الأول : النص عند هاليداي ورقية حسن. ٨٨
المطلب الثاني : أدوات الاتساق عند هاليداي ورقية حسن: ٩٠
١ - الإحالة . ٩٠
٢ -الاستبدال . ١٠١
٣ -الحذف . ١٠٣
٤ -العطف. ١٠٩
٥ -الاتساق المعجمي. ١١١
المبحث الثاني : فنديك وجهوده ١١٤
المطلب الأول: من أهداف " فنديك". ١١٥
المطلب الثاني: فنديك ونحو النص. ١١٦
المبحث الثالث : براون ويول ونحو النص. ١٢٠
الباب الثاني :التحليل النصي لسورة المؤمنون ١٢٥
الفصل الأول : الدائرة النصية معالمها ونحو النص. ١٢٦
المبحث الأول : معالم الدائرة النصية. ١٢٧
المبحث الثاني : البنى النصية الكبرى. ١٣١

المبحث الثالث: البنى النصية الصغرى ١٣٦
الفصل الثاني : سورة المؤمنون والتماسك النصي. ١٤٥
المبحث الأول: مضمون السورة ومقاصدها. ١٤٦
المبحث الثاني: المناسبة. ١٥٢
المطلب الأول : المناسبة ، التعريف بالمصطلح . ١٥٢
المطلب الثاني : أهمية المناسبة وعلاقتها بالتماسك النصي ١٥٣
المبحث الثالث : المناسبة في سورة المؤمنون . ١٥٧
المطلب الأول : أنواع المناسبة في سورة المؤمنون : ١٥٧
١ – مناسبة اسم السورة لمضمونها . ١٥٧
٢ -مناسبة أول السورة لآخرها. ١٥٨
٣ -المناسبة بين اسم السورة والسورة عبر الآية الأولى. ١٦٠
٤ - مناسبة آيات السورة لبعضها البعض ١٦١
المطلب الثاني: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها . ١٧٢
المطلب الثالث : مناسبة السورة للسورة التي بعدها . ١٧٦
الفصل الثالث : الوحدة الموضوعية للسورة ،على ضوء أدوات الاتساق. ١٧٧
المبحث الأول : الإحالة . ١٧٨
المطلب الأول: الإحالة إلى الذات الإلهية . ١٨١
المطلب الثاني: الإحالة إلى الرسول ﷺ . ١٩٢
المطلب الثالث: الإحالة إلى المؤمنين . ١٩٥
المطلب الرابع :الإحالة إلى المشركين . ٢٠٠
المبحث الثاني : العطف . ٢١٦
المطلب الأول: العطف عند الذات الإلهية . ٢٢٤
المطلب الثاني: العطف عند الرسول ﷺ. ٢٢٦
المطلب الثالث: العطف عند المؤمنين . ٢٢٨
المطلب الرابع :العطف عند المشركين . ٢٢٩

المبحث الثالث :التكرار.	٢٣٢
المطلب الأول: التكرار عند الذات الإلهية .	٢٣٣
المطلب الثاني: التكرار عند الرسول ﷺ.	٢٣٧
المطلب الثالث: التكرار عند المسلمين .	٢٣٨
المطلب الرابع :التكرار عند المشركين.	٢٤٠
الخاتمة.	٢٤٤
الفهارس الفنية.	٢٤٦
فهرس المصطلحات اللسانية.	٢٤٧
قائمة المصادر والمراجع.	٢٥٢
فهرس الموضوعات.	٢٦٣